

مارون عسبود

دوؤ جدو وقتدماو

دراسات، نقد، مناقشات



دار الثقافة بشريوت

obeykandi.com



obeykandi.com

جِدُّ وَقَدَمَاو

دراسات، ونقد، ومنافسات

لم يكن في إيماننا تنتقد بترجمة كما يجب . كانت
تأخذنا في بعضهم هوادة ، أحيانا ، فكم غرضنا
النظر ، وكم غمرنا العالم والمتعالم بفيض من
التقريظ والثناء .

ان واجب الناقد هو ان يعرف كيف يجد
الخطأ ، وان ينتقد حيث يجب الانقاد .

ان اتول فرايس

obeykandi.com

الأدب السافر

كما تقتضينا بعض الحفلات والسهرات طرازاً معلوماً من الثياب كالسموكن وغيره ، او لوناً خاصاً على الاقل كالاسود او الكحلي ، هكذا قضى نقادنا على احفاد امرئ القيس ، فأمسى الشاعر كالقطار الحديدي ان تنكب عن سكته وخطوطه بضع سنترات تدهور وتخطم .

وكما ان في اوربا ثياباً معدة تستأجر للتلبس في تلك الحفلات ، هكذا استعار شعراؤنا بزاتهم من عند امرئ القيس ليمثلوا بها في ديوان العرب . بقي مخزن الملك الضليل مشرّع الابواب مئات السنين ينتقي منه الغادي والرائح ثوباً على قده فتنتفتح له ابواب القصور ويهتك دونه الحجاب الصعب . وظلت صفة الطلول قيد التجويد والتنقيح ادهاراً كأنها احدا اكتشافات باستور التي نجت البشر من اعدائهم غير المنظورين . وكان عنقرة ذلك الغراب الغريد اول من شك في هذا المذهب الشعري ، وما علينا لو سمينا (الطقس الادبي) ، فالشعراء طقوس يمارسونها بورع وخشوع . شك عنقرة وآمن في مطلع مطولته المشهور :

هل غادر الشعراء من متردم ام هل عرفت الدار بعد توهم
و كأنه لم يطمئن ففتش عن مرعى لتربجته فراه في جالده فاستغله ، والارض
السوداء مغلل .

واستيقظ العصر العباسي الاول ، وهو عصر الثورة في الادب العربي ، فتفتحت عيون شعرائه الخلعاء على حضارة مجنونة بالترف والجمال ، ففطموا انفسهم عن الحليب واللبن وعبدوا الاحمرين : الخمر واللحم . وكان شك وكان مجنون وكانت حرية بعيدة

المدي ولكن الى اجل مسمى . فتقديس القديم من سجايا الناس الرئيسية ، وهو منبع العبودية .

ثم همدت تلك الثورة بانطواء سجل هذه العصابة ، وعاد الشعر بعدها الى تزمته فخلع ثياب المرافع ليلبس البجاد المفروض ، فعاد الشعر الى سبته لا يتعداه الا بمقدار محدود ، فدار شعراؤنا على انفسهم في حلقة ضيقة اختطها لهم القدماء كأنهم اجرام النظام الشمسي ، كل في فلك يسبحون .

واذا كان النثر كالمشي ، والشعر كالرقص ، فجل شعرنا رقص الدراويش . اغراض موجزة كحياة البدوي . في ناقته تتجمع كل مرافق حياته ، من وبرها يكتسي ، ومن درها يفنذي ، وبفحمها يصطي ... وهي مركبة اذا اسرى ، وخيمته اذا لدعه الهجير ، فمن يلومه ان وصفها جملة وتفصيلا ، ومن ذا يعنفه ان استبدت صورتها بخيالها ، فتجلت لنا في تعابيره . فلو لم تخصه الطبيعة بذوق سليم لاضاف : لله وبرها وبعرها الى الله درها ، واورثناها .

ليس هذا عجيباً ، ولكن العجيب الغريب هو ان يفرض اناس اوليون اساليبهم على من سكنوا الدور والقصور من ذريتهم ، فانحلت الشخصية العربية ، وذابت في خطة امرئ التيس فلم يخرج عليه غير نفر قليل . وقف هذا النفر في باب الصورة وتنشقوا الهواء الذي فليلا ، فلا يستسلمون الى سجيبتهم حتى يتذكروا الوقار والحرص المفروضين فيخدموا مبادئهم ليندسوا في بزة الشعر الرسمية ، وهذا « مالوش » الادب العربي و « فيلكسورا » الشعر .

تترامى الشخصية في خلفاء امرئ التيس كوميض الجباحب في عتمة الغسق ، فيسخر طريقة طرفة عين ، ويتهمكم زهير بال حصن عابراً ، ويهزأ ابن حلزة ناخوانه الارقم مقتصداً ، ويرشد الخطيئة ايثاره العافية الى ذاته ، من حيث لا يدري ، فيقول لمهجوه التارنجي :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي
واتشر نهار الاسلام ، فاضحلت ظلمات الجاهلية ، وتراجعت لتتعد القرفصاء في
دياميس الشعراء . لم يفسخ الدين الجديد روح الشعر الجاهلي فظل الاخطل وجريرو

والفرزدق جاهلين قلباً وقالباً . اكبر همهم من الفن مضارعة الاقدمين فعبروا عن الحياة الجديدة بالتوالب المعهودة ، اللهم الا ومضات تنل عند الاخطل وتكثر عند جري . اما الفرزدق فما انفك يقرع مروة الجاهلية وصفاتها ...

ارسل الاخطل نفسه على سجينها في هذه الابيات :

ونجى ابن بدر ركضه من رماحنا ونضاحة الاعطاف مابهة الخصر
كأنها والآل ينجاب عنهما اذا انغمسا فيه يجوبان في غمر
يسر اليها والرماح تنوشه فدى لك امي ان دأبت الى العصر
فظل يفديها وظلت كأنها عقاب دعاها جنح ليل الى وكر
تتق بلا شيء شيوخ محارب وما خلتها كانت تریش ولا تبری
خفادع في ظمء ليل تجاوب فدل عليها صوتها حية البحر
وهو لو نحاً في شعره هذا النحو لترك في صحراء الشعر الجاهلي قطعاً من الرياض .
اما جرير صاحب الهجاء الخلو المر ، كما نعته القدماء فكان أوقع من الاخطل ، وأفتح
عيناً ، فلم يحفل بعبوات السلطان واهية سريره فضحك في حضرته مادحاً فقال :
هذي الارامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
وهزي ، متغزلاً :

وتقول «بوزع» قد دببت على العصا هلا هزئت بغيرنا يا بوزع
وامتاح البحور مازحاً :

ماذا ترى في عيال قد برمت بهم لم تحس عدتهم الا بـ
كانوا ثمانين او زادوا ثمانية لولا رجائوك قد قتلت اولادي
وهجا ساخرأ :

زعم الفرزدق ان سيقتل مربعاً ابشر بطول سلامة يا مربع
وقال في خصمه الآخر :

قال الاخيطل اذ رأى راياتهم يا مار سرجس لا اريد قتالا
وما زال ينحو هذا النحو ، كلما انفتح له مجال ، حتى نام عن السخر وتولى رعيه
الاسد الاعمى ، فاطلق لذاته العنان واستولى على الامد . سخر بشار من كل شيء ،

وفي كل شيء ، سخر في المدح ، وسخر في الرثاء ، وسخر في الفجوة ، وسخر في الحديث وفي وفي .. فلم ينج من خزانه المؤلمة وجراحاته الدامية الا من لا يعرفه . تهكم مر ، وسخر مؤلم ، لا الصداقة تقى ، ولا الاحسان يعصم . غريب امر هذا الضير فقد بذ البصراء في كل ميدان ، اتخذ مما حوله مادة لصوره ، ولم تتوار شخصيته في مجالات القريض جميعها . فهو في جده شخصي ، وفي هزله شخصي ، وفي مدحه ووقوفه على الاطلاع شخصي . نفس عاتية متردة ، نفقت عنها رماد الماضي ، واضرمت ناراً جديدة في هيكل الادب .

ثم نام الجبار على اشواك تمرده نومة الابد راسماً صورته للذرية في ثلاثة خطوط خالدة :

صمت جنينا والذكاء من العمى فبحثت عجب الظن للعلم مؤثلاً
وغاض ضياء العين للعلم رافداً لثلب ، اذا ما ضيع الناس حصلاً
وشعر كنور الروض لامت بينه بقول ، اذا ما احزن الشعر اسهلاً

وآلت زعامة السخر بعده الى المستهتر ابي نواس ، فضحكك الادب العربي حتى بدت نواجذه . وكانت ثورة ادبية فوضت الخيام وكثت اللبن واحلت الخواني والدوارق على دست الحكم . وما اغنانا عن سرد شيء من شعر ابي نواس بكل عربي يلم بطرف منه .

ويطوي الدهر مدرسة الخلاء فيقطع الشعر طيلسانه ، ويستعيد عباءته ، فتتجهج الوجوه حتى يطلع ابن الرومي بسخره الذي يكشر له القارىء ولا يتسم . ثم ينطوي العلم مع المتنبي ، ولو اسرف ابو الطيب في سخره لغاز بسهمي فاطمة امرى القيس . ولكن كبرياه ابت عليه الا التزمت والتوقر ، وقدماً جنت الكبرياء على الملائكة فبدلت الاجنحة الخضراء باذنان سوداء واذان وطواطية ...

ولزم الشعر وقاره ، حتى الساعة ، فما بانت له سن وانتهت به هذه العبوسة الى الجفاف فالعبوسة .

اما النثر فما نبه له شأن قبل الجاحظ . أنزله هذا الزعيم العبقرى منزلة الشعر ، فانفتحت بوجهه القصور . كانت عناكب الاقلام لا تنسج خيوطها الا حول رجال

الحول والظول والأيمة والوقار ، فذا بها في يد الجحظ تدور حول عبد الرحمن
واخراجه فخلق الادب الشعبي . جد الجحظ ضاحكاً ، وتفلسف ساخراً ، وحل
أخطر المضلات وأدها هازئاً ، فكان كل من جاء بعده عيالا عليه حقاً ، فهو استاذ
الاصبهاني في اغانيه ، وهادي ابي العلاء ابي سلاح العميان وعتادهم ...

قرأت في ملحق لكتاب اليتيمة قال فيه مؤلفه انه عرف في المعرة شاعراً ظريفاً
يعني ابا العلاء . لم استغرب نعمت ابي العلاء بالظرف ، فالرجل ظريف اي ظريف . ولئن
لبس الثوب المفروض ليدخل ديوان العرب فقد خلعه في رسالة الغفران ووقف
بين الخالدين .

ونام السخر نومة آل الكهف حتى ايقظه الشدياق في منتصف القرن التاسع عشر ،
فكتب « الفارياق » والواسطة « وكشف الخبا » ، فأخرج العتل العربي من دياميس
الحريري وكهوف القاضي الفاضل ، فابتم الادب حيناً . ثم عاد الى تجهمه لا يتجه
زعماءه الى هذا الصوب كأنهم مسمرون على صلبانهم ، ما خلا كاتباً واحداً طواه
أموت منذ اعوام هو فيلسوف الفريكة ، قدبت روح المرح ، وفاضت الابتسامة على
حقافي كتب رحلاته ، من (ملوك العرب) الى (قلب لبنان) .
ثم كانت الضحكات الغامضة النادرة في كلام الكاتب العبقرى عمر فاخوري ، رحمها
الله وخلف علينا ...



أدب الظل

كان أقصى أماني الأديب أن يشارف قصر ملك أو أمير ، والسعيد من يفتح له الباب ويدنو من السدة والسرير ، حيث ينعم بعيش أخضر فيذهب ويبب حتى الغلمان والجواري والضياح أن صار وزيراً . فحسن التحرير والتجوير كان سلباً للوزارة كما قال المأمون لأحدهم حين جود كتاباً عرضه عليه .

وكذلك قل في الشعراء من أبي سلمى حتى شوقي ، فالأدب وخصوصاً الشعر منه ، ما نبت وحن الألفاظ في ظلال القصور ، وعنه نشأ هذا الأدب الذي تقرأ — أدب الظل — . فما أشبهه إلا بتلك النباتات التي تنمو في الأصص زينة للدار ، تصفر خدها إذا هب لها نور النافذة الحليم ، وتستنيم أخادعها إذا ضربتها الشمس خربة فوزدقية ، فتعود إلى البوق كالحلزون .

فلا يلومن أدباء اليوم زملائهم أدباء الأمس فلا يكون التماس الألفاظ على هوى العصر . فصل أسلافنا نسيج الكلام وفقاً للطراز المرغوب فيه ، فكانت منهم الخياط الماهر ، وكان منهم كالذي خاط قباء لبشار فوقع في لسانه . فلا تظن أنهم كانوا أقل عقلاً منا يقلدون ولا يطبخون إلى التجديد ، فكم تبرم زعمائهم بشهوة أمرائهم للهدح ، فغرفوا لهم الشناء من بحور الشعر حتى صار المديح كالعبث والسخرية .

إنك تلمع الجديد في آثار هؤلاء الأدباء بين العتيق المعفن ، فكانت في دكان (سمانة) فيه كل ما يحتاج إليه البيت ، ولا غرابة فيما أقول فالشاعر أيضاً كان من حوائج العصر ، كالهراج والتديم والسمير ، فالناس الهية الناس .

فلو قرأت عمر ابن أبي ربيعة ، وبشاراً ، وأبانا نواس ، وابن الرومي ، والبحري ،

والمتنبي ، لوأيت ان كلا منهم قال شعرين : شعرا ارضى به نفسه ، وشعرا رضى عنه
كيسه . انفق ما اجداه شعر الكيس على اثناء شعر النفس ، وانضي في الطريق الحديث
الذي هداه اليه وجدانه الحكيم .

مساكين الشعراء ، فلا يغرك ما تقرأ في كتب الادب عن اخلاوة بهم واعظامهم ،
فقد كان يقف الشاعر بباب الامير الشهر والشهرين ، والعام والعامين ، ولا تطأ رجله
البساط ليقبل الارض بين يدي سيد السرير ، وينشده قصيدة سداها الكذب ولحنها
التعليق ، وكم كان هؤلاء الاسياد يعثوث بالشعراء ، بل كم كانوا يثدون بناتهم .
فهذا صراخ ابن الرومي يجرح القلب على بعد العهد به ، فيقول :

رددت الي مدحي بعد مطل	وفد دنست ملابسه الجديد
وقلت امدح به من شئت غيري	ومن ذا يقبل المدح الودي
ولا سيما وقد اعقت فيه	مخازيك الوافي لن تبيدا
ومما للحي في اكفان ميت	لبوس بعد ما امتلأت صديدا

ارأيت ماذا تعقب خيبة الشاعر ؟ ! وان تسمع بالاخلطل المدلل فهذا واحد لا
غير ، وقد مات ذلك الدلال بموت بمدوحه عبد الملك ، وعفى عليه عمر بن عبد العزيز
فطرد الشاعر فتزوى في صحرائه للقاحه حتى مات ، وهو يذكر بطن القوطة
(والخبر) الذي اتى ...

مساكين الشعراء ، مات المتنبي وفي قلبه جرح اليم من خربة الدواة التي خلد
مدادها سيف الدولة ، وان قال : فما لجرح اذا ارضا كم ألم ، فلا تصدقه فقد رافقه
ذلك الألم الى القبر ... وخيبة ابي نواس بالخصيب والمتنبي بكافور تنبئك كم كان
يكدح قوالو الشعر في ادراك الرغيف فتركض ويركضون ويعلم الله من يسبق .
وان شعبوا حمدوا الله على تلك النعمة وقالوا في الامير ما يزهى به كالغراب ، والجور
منهم كان يهجو اذا استبطأ العطاء فطورا ياتيه وتارة يقضى عليه .

وما كانت حال الشعراء في غير امتنا الا كما لهم عندنا ، فهذا كورنيل يسترحم
النهر ليجري على بوالو قليلا من المال يتقوت به ، كما اوصى قبله ابو تمام امرأ المعرة
بابن عمه البعثري ، فاكرموه على بذاذته ، واخيرا نهض الغرب فابى اديه ان يكون

كالدجاج يذرب في الحوش وينثر له الحب ويشرب الماء الاسن من الجرن ، فطار في الافق الفسيح يفتش عن هوا طليق وشمس حرة وماء طهور ، والف الجنات فالهته غناء اطرب الصور والاكواخ ، وزأر — والشعراء اسد وطير — فارعد قرائن العروش. وشعر انه ملك دولة — الراي العام — فبسط عليها سلطانها ، واوغل في طلب حريته وذاقت الامم حلاوتها ، قهاقت على ما يطبخ وينضج ، فكان للتبايع الثروة والسعادة والمجد ، ألم يتوجوا فولتير قبل موته بشهر ، ألم تمس فرنسا في مناحة هيفو الخ ...

اما المتطفل على موائد الادب في كل جيل وامة فظل قلبه يتعصر مشتهيا عضة كسرة كاليمازار ولا يجدها ، وان يش علل نفسه بالجلوس في حضن ابراهيم ، ولكن ليس في الادب لهؤلاء المعاتيه جنة يخلدون بها .

اما عندنا فظل الادب يتسكع في الظلال حتى كانت الحرب الكبرى التي نفخت في العالمين روحاً جديدة ، وخلقت ادبا جديدا ، فادرك ادباؤنا انهم خلقوا لغير التسول والشعادة ، فابت عليهم انفسهم ان يظلوا راسقين في تلك القيود — الا الذين ما برحوا مداحين نواحين — فتعوا منهم جديدا في كل الران الادب ، وان لم يعرفوا بعد بصنف خاص ، فانهم سيظفرون بالطابع ان فكروا بعقولهم لا بعقول جيرانهم كأكثر الناس ، وان عبروا بلغة جيلهم وزمانهم تعبيرا صحيحا ، ولم يروا مثلهم الاعلى في تلك الرواسم ، التي يمدحون من سويتها ولا يأتون ، ولم يخالوا الادب كله في عبارة متقمية ، وجملة جاحظية وسجعة همدانية . فالجاحظ الاديب الساحر لم تثر له الاجيال بالامامة الا لانه فكر بعقله ، ونطق بلسان جيله ، وابى ان يتكلم كالمتقدمين فقال للناس : انا ابو عثمان ، انا الجاحظ ، ولست قسا ولا سحبان ، ولا اكتم بن صيفي .

لسنا نبحث الان تطور الادب ونهضته الحديثة — هذا بحث طويل كشمير الصوم ، وانا صائم دائما ولا أرثجي اجرا — ولكنها كلمة عرضت ، ساقنا اليها فرحنا (بينك مصر) الواهب الالف الجنيه ، ولمن ياخذونها المنة والشكر . فلا عذر بعد اليوم ولا شكوى لادباء القطر الشقيق . فالى الميدان ايها الجياد ، وارونا فتحا لا غزوا ، ارونا

فأليفا لا ترجمة ونقلًا .

قلنا فيما مضى للاستاذين الرافعي والعتاد ان المستقبل للقصة ، فليتركها الشباب وشأنهم فيها ، فجادلا وماحكا لان ليس لها قصة . فما يقولان اليوم وقد رددت اجواء مصر صدى النفي العام . عفوًا بل النفي الخاص ، ينفع فيه بنك مصر داعيًا الكتاب الى الجهاد التلمي ، وما علينا نحن الا ان نردد : نصر من الله وفتح قريب .

اية كلمة تفي بالثناء الواجب لبنك مصر ، قتشت فما وجدت الا كلامًا مبتذلاً ، فلو كلنا المدح بالمدح . بن حقيق امالنا لتصرنا ، فخير من المدح تمنيات قلبية لهذه المؤسسة ، وحث كل عربي ليجعلها بيت مسأله فيستثمره ويفيد امته ، فهي رافعة رأس العرب ان شاء الله .

كنا نحس الما حين نقرأ في صحف الغرب عن الجوائز الادبية التي جلت صدأ العقول وفتحت للاتساج الفكري ابوابا ، فعقد التوم لكل لون من الادب جوائز ، اما نحن فكنا نلهو بالثافة ، كأن الادب سباق اطفال يجربهم فكاه في المصارف ونلجج ككرة او ليمونة ...

فكرنا منذ اشهر بخلق جائزة ولو زهيدة ، وطرقنا باب كثيرين فعندنا من عندهم نردد قول الخطيئة :

لقد مرتكم لو ان درتكم يوما يجي ، بها مسحي واباسي
لم يخطر على بالنا ان نقرع باب (بنك) لعلمنا ان صناديقها حديدية ، وليتيند انها لا تعنى الا (بن والى) حتى طلع علينا بنك مصر بهذه الاريحية . ويأتيك بالاجبار من لم تزود .

نعم ان الجائزة للكتاب المصريين ، كما يدل ما قرأت ، والموضوعات ايضاً قصص مصرية محضة ، فمن لا يعيننا من يأخذ المال ، فسواء عندنا امصرياً كان ام عراقياً ام مراكشياً ما دام اللسان عربياً . فكل ما نعلم به ونصبو اليه ان تبرز ثروة الادب العربي ويرزق مولوداً جديداً ولو انش ...

وان كان لي ما اقول في هذا الصدد فرجاء الى طلعت حرب باشا ان لا تكون لغة (الحوار) عامية لان القصص تفقد طرافتها متى عرضت في الاقطار العربية التي لا

تفهم اللسان المصري ، على ظرافته وحسن جرسه . فكم كنت اتالم — لا شيء —
ألا لاني لم افهم — حين اسبع حديثاً تنطق به اشباح السيناء المصرية .

اما الذين هزناهم للجائزة الصغيرة وظلوا جامدين كالصخر فليعذرونا ، ظننا بهم
خيراً فازعجنناهم ، وما علمنا انهم لا ينفقون مالهم الا على جاه باطل ، وصيت زيف ،
على موائد خضر ، ودفاتر غير دفاترنا السوداء ...

نحن لم نكلفهم ارباحية بنك مصر ، فليتهم ارونا عذرهم ولم يرونا بخلهم ، ما طلبنا
منهم الا فلس الارملة لادبنا اليتيم ، فكنا من المفلسين ، والسادة معذرون لأنهم لم
يتعودوا الاتفاق على الادب ...^(١)



(١) كبت يوم لم تكن عندنا جوائز

فسح انطون

سيرته وآثاره واثره

في مجلته الجامعة

فرح انطون القصصي

الدين والعلم والمال

الوحش الوحش الوحش

أورشليم الجديدة

مريم قبل التوبة

obeykandi.com

سيرته وأثاره وأثره

في صيف عام ١٩٣٧ اذيعت في القاهرة هذه الكلمة :
في الشهر القادم يكون قد مضى على وفاة فرح انطون خمسة عشر عاماً ، وبحسن
برجال الادب الذين يعرفون فضل هذا الاديب العظيم في النهضة الحاضرة
ان يحتفلوا به . فان في الاحتفال تنوياً بالتجديد التي قام بها في
توجيه الادب الحديث نحو الثورة ، واعترافاً بفضله على التفكير المصري .
ونحن لا نعرف اديباً ممن يؤبه بهم في مصر لم يأتوا باحسن التأثيرات من
فرح انطون ، وكثير من النزعات الحسنة في ادبنا يعود اليه . وقد كان
دأبنا في كل فرصة ان نعترف بفضله ، ولذلك نحن نلتهم الفرصة الحاضرة
لتنبيه الوجدان الادبي في مصر الى ضرورة الاحتفال بمرور خمسة عشر
عاماً على وفاته .

سلامه موسى

هذه كلمة سلامه موسى في عدد حزيران من (مجلته الجديدة) عام ١٩٣٧ ،
وسلامه هذا من رؤوس كتاب مصر ، اديب ثائر من الطراز الاول يفيض كل قديم
حتى نفسه اذا عمر طويلاً . يرى الخير كله في الغرب الذي يبدل كل يوم ثوباً ، ويؤمله
الشرق المنكش القابع في قبضه وسراويله كأنه السلحفاة . يحذو سلامه في العسادات
والاداب واللغة حذو مصطفى كمال في الدولة . يريد ان يلحقنا بالغرب في كل شيء .
حتى دعا الى استعمال الحروف اللاتينية بدلا من العربية ، وقلع الطربوش ولبس القبعة ،

وجهته ان لبس البرنيطة يحير تفكيرنا غريباً كأننا عقل الانسان في رأس طربوشه ، كما يقول المثل اللبناني ...

ان سلامه يسير الى التجديد طافراً ، ونحن نعجب بالكثير من آرائه الطريفة وان شجبنا دعوته الى الحروف اللاتينية وما اشبهها ، ام الطربوش فحسبه احمد حسن الزيات نصيراً .

ليست هذه ساعة تحليل سلامه ، موسى وتصويره بالالوان ولكنها خطوط نرسبها لعلها تطبع شيئاً من صورته في اذهان قرائنا ، فهذا الاديب الذي يريد ان يخلق مصر خلقاً جديداً يتم بحماسة رسالتين اثنتين : رسالة الشميل وصروف ، ورسالة فرح انطون في الجامعة . وهو ينقل لنا في كل ساعة ما يتدعه الغرب ، وبحسبنا « العقل الباطن » الذي فتن سلامه موسى ففتن به عقل العالم العربي .

لست اضع الاسناد سلامه على محك الشدياق وابن خالويه بل اقول فيه كلمة قبل الانتقال الى فرح انطون : ان سلامه موسى كاتب يجري الى غاية ، وهدفه تجديد الشرق اجتماعياً وادبياً . ومجلته التي يدل اسمها عليها نشرة ثمينة لا يسد مسدها غيرها ، واذا انطوت — وقد انطوت — كان في الشرق فراغ كالفرغ الذي أحدثه انطواء جامعة فرح انطون ومقتطف صرّوف .

ان سلامه يجدد من مزارب برنيطته الى شريط بوطه ، والايام كفيّسة بتحقيق الكثير من امانيه . قد احسن هذا الاديب بتذكير مصر بأديب افضل عليها وهو ، بعد الشدياق ، من رسل اليقظة الفكرية في الشرق كما قلنا عنه مرة في « عكاظ مدرسة الحكمة » وهذا كلمتنا بحروفها :

« واذا نظرنا الى المدارس الفكرية وأينها ايضاً بنت هذا البلد الطيب — لبنان — فتبل الشميل وصرّوف لم يتحرك لسان في الشرق العربي بجديث النشوء والارتقاء ، وقبل فرح انطون لم يعالج احد المشكل الاجتماعية العويصة ، وفرح فتح باب التفكير الحر وشرّعه للناس ، ولكنه جاء قبل اوانه ، فحولته الحاجة عن مجراه الى مسرحي سطحي يكتب ليعيش الخ »

وكتبنا ايضا بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٣٤ في جريدة « صوت الاحرار »
ما يأتي :

« وهذا فرح انطون ماذا بقي في هذا الوطن ؟ واخبة التاريخ منك يا ابا المدرسة
الخرة ! فمن نشر آراء رنان ، وروسو ، وتولستوي ، وروسكين ، ونيتشة وغيرهم
وغيرهم قبل فرح ؟ وماذا فعلنا نحن له غير الاغارة على آثاره التي اتخذ سويداء قلبه
مداداً لتحريرها ؟ فهذا المنفلوطي — غفر الله له — صديق فرح قد قرظ قصة بولس
وفرجينى التي توجها فرح ، وعملها قصيدة يوم كان ينظم الشعر ، حتى اذا ما مات
فرح شن الغارة على بيت صاحبه فسبى بناته وكساها ثوباً عربياً من طرازه ، فافسد
خطوطها ورسومها ، فصارت لا عربية ماحقة ولا فرنجية مشمرة » .

وفي ذاك المقال عتبت عتياً عيفاً على خليل مطران لانه كتب مقالا في هلال
حزيران سنة ١٩٣٤ عنوانه (رواد النهضة الحديثة) لم يذكر فيه فرح انطون
وجبران وولي الدين ، ثم لمت مؤلفي (المنفلوطي) لانهم اغفوا ذلك فقلت في فرح :
« وفرح يحيا بآثاره الخالدة يوم يؤرخ الادب تاريخاً نزيهاً لا عوج فيه » .

فليراجع المقال من يحب التفصيل ، اما نحن فقد طابت الان نفسا ، واليوم
الذي ظنناه بعيداً كان قريباً جداً اذ قام اديب خطير كسلامه موسى ، بارك الله في
عمره ، ودنا الغافلين الى احياء ذكرى فرح . ليس ابلغ في مجال شكرنا للاستاذ سلامه
من الكلمة العربية الماثورة : الفضل يعرفه ذووه .

والان فانتا تساءل : اذا لبث مصر نداء اديبها الحر وشامت ان تزور ضريح
فرح انطون ، فهل تعرف اين هو ؟ هل لفرح ضريح خاص ؟ اليس فرح في ضيافة
احد انسابه كبودليز قبل ان نهض ادباء الامة الفرنسية وبنوا له ضريحاً ؟ فهل من
يعمل هذا لفرح في مصر العزيزة ، منبع الخير والبركة ؟

ولكي نعرف فرح انطون الى شبابنا الذين مجهولونه — كما جهلوا الشدياق من قبل —
لا بد من كلمة موجزة في سيرة حياته ، نكتبها ونسأل صديقنا الاستاذ جرجي نقولا
باز ، ان يتفضل علينا بترجمة الرجل . فهو يستحقها كالذين يؤرخهم صاحبنا . ومن

إلرب نطلب ان يوفق الى الحاق نسه بنسان او فريش ... كما يفعل في ككتابة
(السير) غالباً .

ولد فرح في طرابلس سنة ١٨٧٤ وتخرج في مدرسة كفتين يوم كان جبر ضومط
وانطون شعير استاذين فيها . كان ابوه من تجار انشب في طرابلس فاراد ان يجعله
تاجراً مثله فحرب فرح ثم ابي ، وعكف على مطالعة روسو ، وتولستوي ، وورذن ،
وسيون ، وكارل ماركس ، وبرناردشو ، وغيرهم . ودعي لرئاسة مدرسة للروم
الارثوذكس بطرابلس فتولى ادارتها بضع سنين . وشرع يكتب في تلك الاثناء
فاجعب الناس . ورأى بحال الدول ضيقاً في طرابلس فتزح الى مصر سنة ١٨٩٧ وهناك
انشأ مجلة الجامعة التي ملأ حيتها الشرق وديار هجرة العرب ، وكانت بوق الحرية
العارخ في اذن اترافدين . ثم ضاقت عليه مصر فتزح الى نيويورك سنة ١٩٠٧ فقال
احمد محرم احد شعراء مصر قصيدة في هجرته هذا مطلعها :

ان كنت لا تبغي لنفسك راحة فارح ، طبتك والدني وبنيها

وفي نيويورك وسع البيكار فأصدر الجامعة : يومية بيثاني صفحات ، واسبوعية ،
وشهرية . ولكن افامنه لم تطل هناك فعاد الى مصر واصدر الجامعة — المجلة — سنة
او اقل ، ثم حجبا عن الناس . وانصرف فرح الاديوب الى تحرير الصحف الوطنية
السياسية وخذ يؤلف الروايات ويترجمها . ووضع الروايات التمثيلية الغنائية ، والف
جوقة منيرة انهدية فتامت بتمثيلها ، واخيراً انضم الى صفوف الوفدين المجاهدين
فعاون الأستاذ عبد النادر حمزه في تحرير جريدة الاهلي الى ان مات بغتة قبل صباح
ديك ثالث تموز سنة ١٩٢٢

آثاره الادبية

الجامعة — مجلة شهرية اصدرها سبع سنوات .
فلسفة ابن رشد — جدال بين فرح والامام محمد عبده
اورشليم الجديدة — قصة فلسفية اجتماعية
مريم قبل التوبة — قصة اجتماعية ماثية ولم يتبها
الوحش الوحش الوحش — قصة اخلاقية لبنانية
الدين والعلم والمال — قصة
بولس وفرجينى . الكوخ الهندي . لبرنوردين ده سانبيار
اتالا — لسانو بريان
نهضة الاسد — رواية ديماس عن الثورة الفرنسية
تاريخ المسيح — لرنان ملحه تلخيصاً
اما رواياته التمثيلية فعديدة: البرج الهائل ، ابن الشعب ، الساحرة ، اوديب الملك ،
المتصرف فى العباد ، صلاح الدين ، مثلها جميعها الاستاذ جورج ابيض .
كرمن ، كرمينا ، روزينا ، تاييس ، هذه الروايات الاربع مقتبسة مثلها جوق
منيرة المهدي .
مصر الجديدة ، بنات الشوارع وبنات الحدود ، روايتان غنائيتان مثلها جوق آخر .
ابو الهول يتحرك ، رواية غنائية وهي ابداع ما الف فى التمثيل ، ورواية ذات
الورد ، لديماس .
اما ما اودعه فرح فى « جامعته » فكانت ثمين بل ذخيرة للذين يرغبون فى مرافقة

الفكر الانساني واتبعاع تطور الخلق والدين ، وفرح اول كاتب عرف العرب
بالفيلسوف الالماني نيتشه والمعلم كارل ماركس .

عندما قرأت في رسالة الزيات ان صديقي ورفيقي الاستاذ فليكس فارس عزم
على ترجمة كتاب فردريك نيتشه « هكذا تكلم زرادتوسترا » فرحت كثيراً لعلمي ان
فليكس يصدق اللغتين وهذا اول شرط الترجمة . ثم توقعت ان اقرأ لفليكس كلمة
يترحم بها على فرح وينوه به ، فاذا به يقول : « لم يفكر احد بترجمة هذا الكتاب
العظيم الخ .. » مع انني كنت اقرأ وفليكس ما ترجمه فرح من زرادتوسترا وما كتبه
من الفصول عن نيتشه وفلسفته .

ان في صدور ادبائنا حبا شديداً للاحتكار ، ورغبة في الاستبداد بالاصناف ، ففي
كل بلاد الوف من الشعراء والتصيين والمؤرخين والكتاب ولكنهم لا يتزاحمون هذا
الزحام المزعج ، ولا ينسى المتأخر المتقدم . واول ضحايا هذه الانانية الجائعة كانت
فرح انطون ، فقد كاناه ميئاً ، ونسيته نسياناً مشيناً .

في مجلاته الجامعة

كلما رأيت دير كفتين الناظر الى طرابلس تذكرت فرح انطون ، وكلما مررت في الشمال تذكرت قصته (الوحش الوحش الوحش) ، وتأملت الامسكة التي وصفها هذا الاديب الشار ، من دير حماطوره الى الحدث والارز .

فرح ابن الشمال ، ولد في طرابلس ، وتعلم بدير كفتين . رأى التعصب الديني في طرابلس والكورة والجة فثار على محيطه — ومحيطه محيط الشرق كله — ثم اغرق في مطالعة كتب المحررين فحلح التير .

قال بول بورجه : « كل من يصفيه التفكير والمطالعة يتعرض لعدم الاتزاج بجماعته ، فاما ان يشور على بيته التي يالم منها ، او يحاول الدخول في غيرها ، فهو كالنبنة التي تشق جذورها الازاء الذي نشأت فيه فيجب ان تنفل منه . »

وهكذا فعل فرح ، نوح الى مصر وانشأ الجامعة . كانت في عامها الاول عثمانية تدعو الشرق الى الالتفاف حول عرش الاستانة وتكرهه باوروبا ، فكان فيها فرح شرقياً يحب الكثير من عقائد الغرب الاجتماعية . كان كالإستاني الخبير يؤصل ويطلعهم . اذاع مبادئ جول سيمون بل اعلن في مقدمة مجلته انها لسان حال هذا الفيلسوف ، ورأى معه ان تربية المرأة والنشء تمنع كل فساد ، فانصرف الى بحث التربية فرآها في ثلاثة اقسام : بدنية وعقلية وروحية ، وحيث لا تتجمع ثلاثها يظل الانسان ناقصاً .

ونظر فرح الى التعليم فرأى المدارس كافية ، فكان اول الداعين الى اصلاح تربيتها وتعليمها لا الى زيادة عددها ، والاكثر منها ... وانشأ فرح في السنة الاولى باوين بدلان على ذوقه السليم : الاول غذاء البدن القوية ، وفيه نشر حكم مفكري

الشرق والغرب ، وخصوصاً لا بروير . والثاني غذاء المعد الضعيفة ، وهو لفكاهات والنوادر .

وما اطلت الجامعة حتى قالت فيها مجلة الهلال : « ان الجامعة جاءت الشرق في ابان حاجته اليها . ورأى فرح في القصة معلماً ومهذباً للناس فدعا الى انشائها ، والف قصة (الحب حتى الموت) اقامها دليلاً على امانة المرأة المحصنة . وعرب رواية البرج الهائل ، لتكون برهاناً على خيانة الفاجرة وقتلها النفوس اشباعاً لشهوتها .

ففرح انطون اديب اجتماعي قبل كل شيء ، وفي كل شيء ، في مجلته ، ومقالاته ، وقصصه ، ومسرحياته ، وهو رسول الديموقراطية في الشرق العربي . نشر تراجم الرجال ، شرقيين وغربيين ، ليجعلها امثولة للشرق الغافي . وكثيراً ما كان يذكر مزايا الحيوان ليبكت اخاه الانسان ، وان ذكر خبراً علمياً فليعجب بالعقل البشري ويتفأل .

شكا في اول عدد من الجامعة قلة الايمان بالله وضعف الثقة به ، ولكنه نسي ذلك اخيراً حين اعتنق مبادئ نيتشه كما سيأتي . ولم يسل فرح الشعر والشعراء فهو اول من اطراً احمد شرقي ، لا لانه شاعر الامير بل لانه رأى ان سيكون عظيماً اذا كد واجتهد . ونشر كثيراً من سير الشعراء المتقدمين والمعاصرين حتى حشر الامير عبد القادر الجزائري في هذا المضيق واورد شيئاً من نظمه .

فرح كاتب ثوري وعلمي بروح رومنتيكية ، فالتربية والمدرسة حديثه الدائم منذ مولد الجامعة حتى موتها ، يشبهه من كتابنا اليوم الذين لهم عقيدة لا ينفكون عنها الكتابان الشهيران امين الريحاني ويوسف يزبك ، وكلاهما يتفقان معه في التأليف عن الثورة الفرنسية ، الريحاني في نبذته وهي اول آثارة الادبية ، ويزبك في (٤٤ تموز) ، كما لا يختلفان عنه في المثابرة على خطة لا يحيدان عنها .

كل ما خطه قلم فرح انطون يتفق وروحه ، بل قل لم يكتب كلمة تخالف عقيدته ، وروحه الحية ظاهرة في جامعته ، فكانها كتاب خاص لا مجلة جامعة .

طبع على نصرة الضعفاء فما نشبت حرب البوير حتى كتب تحت عنوان «الترانسفال

ظالمة ام مظلومة» سلسلة مقالات طار فيها على اجنحة الخيال ، وعنف الانكليز
تعنيفاً معقولاً ، وتكلم بلغة اشعيا وارميا ينذر الدنيا بالويل . ثم رأى حاجة الشرق
الى معرفة سير اصحاب الاديان فنشر المقالات الضافية عن بوذا وفلسفة الصينيين الخ ،
فأثار الاذهان وفتح العيون .

وكان حرم السينودوس — المجمع المقدس — للفيلسوف تولاستوي فقام فرح
يكتب عن هذا المعلم العظيم . نشر سيرة حياته ، وحلل فلسفته ، ومحيطه ، ونخص
رواية (البعث) رأس كتبه ، ثم اذاع ما دار حول (حرمه) من مناقشات ، ورده
على المجمع ودفاع زوجته عنه ، وبعض رسائل تبادلها الفيلسوف ومعاصريه .

ففي الجامعة يتعرف القارىء برجال الفكر العظام ، ولا اظلم صاحب فرح انطون
ان قلت معرفة وجهه ، او كما يلم ناظر السيناء بما يعرض عليه من مشاهد . نخص فرح
كتباً كثيرة في فصول ، وهو ان اساء الى اصحابها والفن ، فقد احسن الى الجمهور اذ
كان كمن يعطي المريض ددهم كينا بدلا من حزمة قنطاريثون .

أرانا فرح برنودين دي سانت بيار في الكوخ الهندي ، وبولس وفرجيني ،
وساتوربريان في اقالا ، وحدثنا طويلاً عن الاسكندر ، وبحث نظرية داروين ، وتكلم
عن الحلقة المفقودة ؛ ولم يمل شيئاً حتى سكان الكواكب ، ولكن ليس بتعمق
المقتطف ، فهدفه تنوير العقول وتعريفنا باحبابه من الكتاب الغربيين مثل جون
ووكسن رسول الفنون الجميلة ، والمبشر بحب الطبيعة ، والمناذي بدعة ملكة ايار
— الاحتفال بعيد الربيع الذي نعظمه اليوم .

يرى روسكن ان الفن ضرب من العبادة ، لان الانسان لا يبلغه الا بعد فهم
الطبيعة وحبها (ص ٥٦٧ سنة ثانية) أما رأيه الاجتماعي فينحصر في ان سبب الفساد
والشقاء هو استبداد ارباب الاموال بالشعب ، وحفظهم هذا الاستبداد بواسطة
المعامل والآلات .

وينشر قاسم امين كتابه (المرأة الجديدة) فينصره فرح ويلخص الكتاب لقراء
الجامعة كما يلخص اشهر الكتب العالمية ، ويعبر هذا الكتاب اهتماماً عظيماً فيقابل بين

اراه قاسم وجول سيمون . ويموت المحولي موسيقي زمانه فيكتب عنه فرح كعظيم ،
ويتكلم بهذه المناسبة عن الطفل (اربولا) الذي صار موسيقياً في عامه الثاني . هذا
شأن فرح في كل مناسبة تعرض . اما حبه للتشيل فشديد ، وقد كتب عنه كثيراً في
الجامعة مناصراً هذا الفن الرفيع ، وان عدته مجلة الرسالة للزيات من الادب الخفيف .
وتدخل الجامعة في الحول الثالث فيصدرها فرح بقائل (تاريخ الاندلس من اوله
الى آخره) فيسبكي الرافعي ، فينظم قصيدة ادبية الغافية . وكأني كان اقضى هم فرح
تعريف الشرق بالغرب فيلخص كتباً لويذر كبلدغ ، وينشر مقالات علمية ترمي
كلها الى غرضه ، حتى اذا عرف انست رنان الشهير ترجم له ونوه به تويماً عظيماً ،
ونقل كتابه (حياة يسوع) مع مراعاة مقتضى الحال ... متصرفاً حتى في عنوان
الكتاب فجاء اشبه بالشيئة (كتاب صلوات وتأملات روحية) .

ولم يلبه كل هذا عن شؤون مصر وسورية خاصة ، والشرق عامة ، كما لم يغفل عن
تشر سير العصاة بين فكتب سيرة فليكس فور تحت عنوان : « من معمل الدباغة الى
رئاسة الجمهورية » ولا ينسى برتولو الكياوي فيترجم له وينف : المجد للعلماء .

ولا يهاب النظر في الشعر ، على قلة بضاعته منه ، فيحدد حافظ ابراهيم واحمد شوقي
تحديداً جيداً ، ويتكلم عن باكون وشكسبير باسهاب مبتدئاً هكذا : مشاهير الناس
الهة للناس في هذه الحياة ، ولكنهم الهة لا تعبد الا بعد الممات .

وتحتفل فرنسا بذكرى ميلاد هيغو المثوبة فيكتب درساً مطولاً يفتحه بكلمة
كاتب دغركي شهير : ان ظهور اعظم الرجال في الارض منحة الهة من السماء — كذا
كان ظهورك يا فرح يرحمك الله — ويجول في الموضوع جولة صادقة كأنه من كبار
النقاد . اقول هذا ولا اشك في انه ممن طالعوا كثيراً النقد الفرنسي في اهم مصادره .
ولا يتوك فرح مقالته هذه بلا استنتاج فيقول لكتاب الشرق وشعرائه : ان رجلاً
كهيفو لا يثبت من الارض ولا يهبط من السماء ، بل هو ينشئ نفسه بنفسه ، وذلك
بالصبر والعمل والسير (ص ٥٢ سنة ٣) .

قلت : هلا يسمع شعراؤنا الذين يريدون ان يكونوا كباراً غصباً عنا ؟

وقبل ان يحتم فرح مقاله عن هيفو يتذكر مهمته التربوية فيدير وجهه صوب النساء ويقول لمن بلسان رومستان : « ايها النساء ، لا تهملن ولداً ، اذ من يعلم متى يمر في الارض ذلك الولد الذي سيكون الهاً . ومتى اخذتن رأس ولد كن لتقبيله فلا تضغطن عليه كثيراً فانه ربما كان هذا الرأس وحده يضم عالماً عظيماً » .

ويعطف على رنان فيعرب (حرمه) لحارميه ، ويذيع صلاته المشهورة عند الاكروبول ، ثم جواب اتاتول فرانس عليها بلسان الهة الحكمة ، يوم الاحتفال بتمثال رنان . وهنا ينتقل فرح الى دارة جديدة فيلخص فلسفة ابن رشد ويذكر محنته فتبعه الجامعة اتجاهاً جديداً تتجلى فيه ابهى خدماتها للفكر العربي ، وهي اذاعة اعقد المسائل والقضايا بلغة يفهمها كل قارئ . فكان فيها فرح من اولئك الذين ينشرون العلوم بلغة القراءة المصورة ، فما انتشر عدد ابن رشد حتى نشبت معركة جدلية حوله فينصرف فرح الى الرد على الامام محمد عبده .

خبرنا فرح بهذه المناسبة قال : « (وعصبت رأسي) كما يقال ، وانصرفت ثلاثة شهور الى درس هذا الموضوع وحده حتى فقدت النوم والقبالية . » ان الاشهر الثلاثة التي صرفها فرح في الرد على الامام لا شبيه لها في التاريخ الا مناظرة الخوارزمي والهمداني ، بيد ان فرح انطون الشاب اظهر اسماً الاحترام للشيخ الذي يستعفه ، وهكذا ذاعت شهرة فرح ، الذي نسبناه ، في العالم العربي . وتجاوزته الى الغرب فطلب المنشرقون تأليفه .

قال حافظ ابراهيم شاعر الامام في هذه المناقشة :

وانت لها ان قام في الغرب مرجف وانت لها ان قام في الشرق مرجف

يعني حافظ بالمرجفين : هانوته وفرح انطون . أما فرح فعلق على هذا البيت بقوله : حافظ ، حافظ ، انك لم تحاسب نفسك لما نظمت هذا البيت .

وتدخل الجامعة في السنة الرابعة (١٩٠٣) فيبدأها فرح باذاعة الفلسفة الحسية فاشراً ترجمة اوغست كنت واضع ديانة الانسانية والعلم . ثم يلخص تاريخ الرسل لرنان . ويقترح على حكومة مصر احداث مدارس زراعية ، كما دعا السوريين في اميركا الى

الزراعة فيها بعد . ونظر فرح الى السماء فلهخص اقترانه شيئاً من كتاب فلامريوت
الفلكي الشهير . وظهرت اكتشافات بابلية فنشر سيرة حمورابي وشريعته وما احدثه
اكتشاف الواحها من قلق فكري وشك في التوراة . وترجم رسالة الامبراطور غليوم
لاحد اصحابه العلماء ، فكأنما كان فرح مذنباً ينقل خطة الفكر في العالم .

كان يعلن احياناً ولا ينجز ، لكثرة اشغاله ، واضطرابه العصبي . بدأ اشياء
كثيرة ولم يتمها ، ككتاب فلامريوت ورواية مريم قبل التوبة . وقصة اسبالية نجب
عربياً ، وعد بها ولم ينشر شيئاً منها .

وفي هذه السنة — الرابعة — الف فرح ثلاث قصص اهداها الى قرائه ، وتامت
الجامعة على اثرها سنة كاملة حتى استيقظت في نيويورك سنة ١٩٠٥ ، وهناك ارخى
فرح لقلبه العنان فحيا تمثال الحرية نحية حادة ضمنها اصدق عواطفه الاجتماعية . وكتب
بعدها عن عظمة اميركا فصولاً اضافية ، ودرس مدليتها ، ولكنه لم ينس الشرق بل
ظل يحن اليه . واسناله روسو فكتب عنه ونشر رسوماً عدة له ولدام دي وارين التي
احبته . وعرب رواية ابن الشعب ونشرها متقطعة ، وفتح باباً جديداً نشر فيه روائع
الفن التصويري . وكتب عن القصة فصلاً جميلاً (٣٠٦ سنة خامسة) وتحدث عن
مشاهير اميركيين مثل تافت وهارست ، ونشر ترجمة ماربولس حبيب الاميركيين .

وفيها عرف فرح الفيلسوف نيتشه ونقل شذرات من فلسفته الهوجاء . وجاءت
السنة السادسة فنشر فصولاً من رائعته (مريم قبل التوبة) . واثرت اميركا المادية به
فراى في نيتشه كل شيء ، ونهوس حتى قال شعراً هو الاول والآخر من نظمه ،
فجاء كالاراجيز . والتي خطاباً امام شلال نياغرا شبه بخطبة رنان امام الاكروبول
فيه روح نيتشية او نازية ، ان شئت ، واليك بعض ابياته الشعرية التي بناها على
فلسفة نيتشه :

ان شئت رؤية هذه الابداح
عصر النياق وصوت ذاك الحادي
(مهلاً فانك سائر بفؤادي)

عج بالجبال ولا تعج بالوادي
واركب لها قطر البغار فقد مضى
واطلب اليها ان تطير ولا تقل

ع كل معترض سبيل جهاد
ما بيننا من رجعة ومعاد
والنشاط) وليس وحي الدين والارشاد
مرفاة كل تمدن وبلاذ
مقوم المعوج والمعاد
فيه فابقيه الى ميعاد

فالوقت وقت ارادة صماء تصر
مات القديم فكفتوه فما له
الارض تحتاج (الارادة والعزيمة
فيها ارتقت هذي البلاد وانها
هذا كلام نيتش ان نيتش كان
في زعم بعض الناس اما مذهبي
ولكن هذا الميعاد لم يأت ...

رأى فرح صراع المدة في اميركا وعاد الى القاهرة مقهوراً غير ظافر ، فصرف
العام السابع دارساً نيتشه . ترجم كتابه الفريد (هكذا قال زاراتوسترا) - ولم يتمه -
ولخص رأيه فأكده وهاليفي فيه ، ونقل ايضاً قول نيتشه نفسه في كتابه ، واليك فقرة
منه : ليس دانتى بالقياس على زاراتوسترا الا مؤمناً ، وما شعراء الفيدا الا كهاناً لا
يستحقون ان يحلوا سيور حذاء زاراتوسترا الخ .

وبينا فرح غارق في لجة مبادئ نيتشه الهائجة اذا به يقف نشر رواية مريم واعداء
بطبع تسمتها على حدة ، لينشر رواية ملفاً للروائي مكسيم غوركي ، وهكذا التقى
الصيف والشتاء على سطح واحد . فكان صاحب الجامعة اراد ان يوفق بين اسمها
ومسماها . وفي هذا العام لفظت الجامعة آخر نفس ، فهانت مبكية من احرار العالم
العربي ، او انكتاب الديمقراطيين كما يسميهم اخي الاستاذ يوسف يزبك .

*

فرح انطون القصصي

لماذا لا تكتب عن اديب اسحق ، عن نجيب الحداد ، عن ناصيف اليازجي وابنه
ابراهيم ، عن بطرس البستاني وابنه سليم ، عن الاحدب والاسير ،
عن كرامه ومراس وزيدان ، عن البارودي وشوقي وصبري
وحافظ وولي الدين الخ .
من كتاب اديب

الجواب ياسيدي : هذا لا يعنيك ، وكتابك يذكركني بلوائح المطاعم ، فاذا كنت
جائعاً حتى توى الحجارة خبزاً كما سيعدت يوم يجي المسيح الدجال ... أنتستطيع أن
تزور جميع القدور المذكورة في اللائحة ، أم تختار ما تشتهي نفسك أكثر ، وتؤجل
ما تحب الى علفة ثانية ؟ فبهيانك تدعني ومعلمي ، انا احب الهريسة فلا تكرهني على
الملوخية . الادب كالطعام يا سيدي ، فكل انت ما تشتهي ، ودعني وشأني . أما لك
معدة واضراس مثلي !

*

مات فرح انطون فكتبت مجلة الهلال : ان الجامعة خير آثاره ، ونتاجه بعدها
دورها قيمة . فسأت كأنها هذه شقيقته الكريمة السيدة روزا فردت على الهلال . ثم
ضرب جورج دوماني في مجلته الريفو اجبسيان على هذا الوتر ، فرد عليه الاستاذ
محمد لطفي جمعه .

ليس لدي من تأليف فرح الاخيرة الامسرحية واحدة (صلاح الدين ومملكة
اورشليم) ، وهذه اذا وضعت في الميزان قبالة الجامعة رجحت الجامعة وشالت هذه

كأني جري في ميزان الاخطل . واذا قلنا الجامعة عنينا سبعة مجلدات ضخمة كلها جديد طريف ، وعنينا ايضاً تلك الكتب النفيسة التي ألفها فرح : ابن رشد وفلسفته ، الحب هو انوت ، الدين والعلم والمال ، الوحش الوحش الوحش ، اورشليم الجديدة ، مريم قبل التوبة . والتي ترجمها : الكوخ الهندي ، بولس وفرجين ، اقالا ، ابن الشعب ، نهضة الاسد ، تاريخ المسيح ، تاريخ الرسل ، زاراتوسترا ، ملقا ، وكلها من كنوز الادب العالمي . ولن نذكر ما يخص من كتب ، فقد مر ذلك في المقال السابق .

وعندي ان قول الهلال هذا لا يضير فرح انطون كما لا يبخس الجاحظ اشياءه . قول القائل : كتاب الحيوان خير اثر الجاحظ عمرانا . فادباء مصر اقرؤا لفرح بالسبق في ميدان الادب العالمي ، ثم بالنضال السياسي والدفاع عن اسمى قضاياهم فقال فيه محمد لطفي جمعه يؤبنه :

عندما ذهب الآخرون يلعبون بذهب المعز كنت انت ايها الغريب ، لا ترهب سيفه ، فما اعظم هذا الفضل لك علينا ! ها نحن فئة قليلة من الاقارب والاحباب حول قبرك لانك لم تكن من هؤلاء الذين تتحرك في ركاب نعشهم المركبات الضخمة ويسير في جنازتهم ذوو النفاق والخديعة .

وقال سلامه موسى ، زعيم المجددين في مصر ، يوم مات فرح : (ان الفراغ الذي أحدثته وفاة فرح انطون في الادب العربي لن يملأه احد في ايامنا الهوجاء هذه ... كان ميدانه الادب لا يتعداه الى غيره ولذا بز فيه والم باطرافه وابتدع فيه واخترع . فهو اول من تطاول الى نجمين من نجوم الادب الافرنجي تولسنوي ونيتشه ، وحاول ان يستضيء بضوئها ولكن الظلام الذي كان يكتنفه كان اشد مما يحسب) .

وقال صاحب جريدة الاكسبرس : لم يتزوج فرح لانه لم يجد متسعاً في وقته لاداء واجب العائلة ، وكان مع ذلك مستقيماً عفيفاً . ولم نره يوماً في كنيسة ، ولا سمعنا انه حضر قداساً ، على ان ذلك لا يمنع من ان يكون مسيحياً مخلصاً كما يفهم من كتاباته .

وكتب الشيخ ابراهيم الدباغ : كتبت عنه - عن فرح - الصحف بأقلام فاتوة عن نفوس جامدة غير جازعة كأنها تكذب عن بعض الافراد ، فأوجد نصير الصحف تجاه فقيدنا الجليل عندنا موجدة عليها . ثم قال : فرح انطون الكاتب السوري تقوم فيامة تأيينه في جامعة اميركية . أتوى الجامعة المصرية تضيق جوانها بأحياء ذكرى رجل لو كان من الحاضرين فيها لشاد للعلم بتياناً ، وللآداب والاخلاق مكاناً . لم أدر لماذا ضافت هذه الحظيرة بتلك النفس الكبيرة . لأنه كان من أحرار الفكر ؟ ان الدكابة طه حين وهيكل ومنصور من احرار الفكر ايضاً بل من اشد أحرار الفكر وحماة على العقائد . ام لانه سوري مسيحي ، مع ان مصر ليس فيها اليوم مسلم ولا مسيحي ولا يهودي بل فيها مصري . فتى ينصف الشرق ابناء الشرق ومتى يقف الشرق في صفه ويأخذ محله ؟

ويقول عباس محمود العقاد : قتلت له مواسماً : انك يا فرح افندي طليعة مبكرة من طلائع هذه النهضة العامة ، وسيعرف لك المستقبل من عملك ما لم يعرفه الحاضر ، وستكون حين تغتوق الطريقان خيراً مما كنت في هذا الملقى المضطرب .

فلوما برأسه ايماءة شاكرة وحرك يده حركة فاترة وقال : ماذا يحمل المستقبل بالحاضر ، وماذا يبالي السائر للغد بمن كان قبله في مفتوق الطريق (مطالعات ٦١ و٦٢) تلك سنة الطبيعة يا فرح ، فكما نذكر الشمس بالاحمرار الذي تتوركه بعد غروبها كذلك يذكرنا ابناؤنا ثم يوارينا الليل . أراك احسنت اذ أسأت الظن باناس طولي الابدي ينقبون البيوت وينبشون القبور ليسرقوا الحبايا والاكفان .

*

قال فرنسوا مورياك احد مشاهير كتاب فرنسا الحاليين : (انا من الذين يؤمنون بالناس لا بالاجناس ، واؤمن بالشعر خصوصاً ، واؤمن انه ليس غير الشعر ، وانه من العناصر الشعرية وحدها يؤلف الفن في كتب الادباء ، وهي التي نهجها البقاء والخلود ، فالروائي هو شاعر قبل كل شيء . وهكذا كان تولستوي وبروست لان قوة

المهم واستيعابهم كانت واسعة)

اذا صح هذا القول وسمعنا للقصي ان يحدثنا كما يشاء ، اذا لم تفرض عليه نوعاً من القصة نخبه حتى نرى كل فن القصة فيه وما عداه خرافة ورقاعة ، كان فرح انطون قصصياً من الطراز الاول . قلت (اذا) ولا بد من اذا لثلاث تقوم القيامة . وازيد على على ما تقدم لو لم يولع فرح انطون بالترجمة واذاغة المبادئ الجديدة ، ولو لم يتروك بعض آثاره الرائعة ناقصة ، ليترجم للشرق روائع الغرب ، بل لو كمل هذا الاديب المخلوق قصصياً روايته (مريم قبل التوبة) لكانت رائعة من الروائع العالمية ككتاب الفارياق . ان في الاثنتين والتسعين صفحة يقوم الدليل على ما ازعم فليقرأها المخلصون لهذا الفن اذا لم يصدقوا ما قلت وسأقول فيها ، اما الآن فأبتدىء باولى قصصه .



الحب حتى الموت

هذه اول قصة الفها فرح انطون وهي سلسلة نصف سنة الجامعة الاولى ، قطع فرح هذه السلسلة ليترجم قصة ديماس عن الثورة الفرنسية ، وملخصها : شابان لبنانيان من (الكورة) هاجرا الى اميركا فاجتمعا قبل سفرهما بخوري الضيعه وهو راهب فزودهما ، مع دعاه وبركته ، بعض ارائه الاجتماعية . واستقل الشابان باخرة واحدة وحلا في اميركا ببيت واحد تقريبا ، المعلم اميل عند الخواجا بولس ، وبطرس عند الخواجا حنا عديل بولس . وكان الزحام على الانسة ماري بنت الخواجا بولس ، بنت وحيدة وابوها غني ، ولأجلها سافر الشابان من حامات ، ففضلت ماري المعلم اميل — هذه اول مرة يفوز بها المعلم ولكن على من ... — على بطرس الذي ارادها له زوج خالتها الخواجا حنا . وكانت الدعوة لوليمة في بيت ابي ماري اقامها للمعلم ودعا اليها وجوه الجالية . فجاؤوا جميعاً ، اما الخواجا حنا فتجاوز حدود اللياقة واخذ يضحك على المعلم المختفى به ويتهمهم نهكماً لاذعاً ، حاول الخواجا بولس اسكات عديله ووقف حملته على ضيفه فما نجح وساء ذلك ماري فانغمي عليها .

وكان لماري صديقة اسمها فدوكي تعمل ككاتب في محل تجاري ، فرأى بها الخواجا حنا قوة عظمى من القوات المتجمعة على مرشحه بطرس ، فكاد للمعلم اميل وعطل سمعته فقتله تجارياً وسد بوجهه ابواب الرزق ، وسعى في فدوكي فعزلها من وظيفتها لظنه انها تدبر الامر لماري واميل ، فترض فدوكي ويشير الطبيب بارسالها الى كليفورنيا ، فيؤثر الجميع العود الى لبنان ويعودون كلهم : ماري وابوها وامها ، وفدوكي وامها ، والمعلم اميل ، ويتوجهون الى الارز بطريق حامات فيرى اميل امه

والراهب (خلانور) ويسير الموكب الى الارز ولكن الارز لا يجي الموتى فتسوء
حالة فدوكي وتوصي ماري باميل .

وبعد ايام يلحق بهم الراهب وأم أميل فتتحل عتدة الرواية حين وصولها فتكون
فدوكي اخذاً لاميل . وتفصيل الخبر انه كان لام فدوكي بنت غرقت في الباخرة
مع ابي اميل وسلمت اخت اميل الصغيرة — فدوكي — فاخذتها هذه المرأة على انها
بنتها لأنها لا تستطيع ان تعيش بلا ولد ، كما اعترفت ، وبراء لدمتها اشعرت ام اميل
بالامر ، وكان هذا التعارف اثر بفدوكي فشعرت بدنو اجلها فقالت للراهب :
باركني يا ابيه ! فقد الكاهن يده ليباركها والجميع سيكون بكاء مرأ حوها ، فعلا نعيب
الغربان في اعالي الشجرة : فاق قاق ، واجتمعت بكثرة على التجمعين تحتها فنظرت
فدوكي الى اعالي الشجرة وقالت يهدوء : اتيت . اتيت .
وبعد شهرين يقتون اميل بماري لابسين ملابس الحداد على فدوكي .

*

تسير القصة سيراً لنا وخطتها واسعة فكان الكلام فيها كالشرب المتصل على التده
ولكن هذا الراهب الذي افترضها واختتمها فكانه لم يكن في اولها الا ليشهد اخرها ،
وبيارك الصبية على فراش الموت ، مع ان الحل من الخطايا — في الكنيسة
الارثوذكسية — يجوز بعد الموت ، وليس وجود الخوري ضرورياً كعندنا ، والا
هلك الميت الى ابد الابد ودهر الداهرين ... اما نعيم الغربان فوق الرؤوس فما
استطعت تحليله الا هكذا : كأن الغربان رأت في ثوب الراهب ما يغريها على التجمع
فتجمعت ... قد يكون اوحى الى فرح هذا السرب من الاغربة التشاؤم البشري
بحضور الخوري الى بيت المريض ، كما انهم يسمون الموت غراب البين ، وهي عقيدة
موروثة مع ما ورثنا من خرافات . اما قول فدوكي للاغربة اتيت اتيت فيشبه
اسطورة امية بن ابي الصلت الذي علل نفسه بالنبوة ومات بحسرتها حائناً على النبي ،
ولا شك ان فرح انطون قراها .

قلت انه جاء بالراهب في آخر الرواية ليحضر الدفن ويجنز ويأخذ « الجزء » أما

في اول القصة فسخره فرح ليشجب الحياة الرهبانية بلسان احدا افرادها ، ولا يفل الحديد الا الحديد ، ولا يقطع الشجرة الا فرع منها كما يقول المثل اللبناني .

ذم فرح بلسان الراهب حياة الكسل التي يعيشها الرهبان ، ودفع الشابين الى المهاجرة والكسب . اما هذا الامم الغريب الثقيل ظلانور فيلوح لي ان المؤلف نخته من ظل ونور ، وعندي ان وجود هذا المحترم فضوي في القصة كما هو في غيرها ...

في الرواية شخصيتان بارزتان : فريد مدير العرائس ، فهو طيب الحديث لولا فصاحته وبلاغته ، ولولا انه اقلت من شق قلم فرح نحوياً يلوك لسانه . والخواجه حنا الذي يمثل اللبناني المهاجر اصدق تمثيل ، فهو جبلي كما كان قبل الهجرة ، لم يتظرف ولم يتكلف مضغ الكلام ، فحواره وتفكيره وحركته ومشيته لبنانية محض ، لم ينس شيئاً من اثار محيطه الذي عاش فيه ونشأ ، فدخوله على المدعوين في بيت عديسه ، وسلامه عليهم وسؤاله حالاً : اين مريمنا ؟ ثم صراحته الصارخة ، كل هذا يدل على ان الرجل لبناني عتيق ، لا يروقه حتى التلغظ باسم ماري . فلولا الخواجه حنا وفريد لكنت رواية فرح هذه تصلح لكل محيط لا يدل على شيء على ان اشخاصها من اللبنانيين المهاجرين الى اميركا ، فاري وامها وابوها متأمركون ، وكذلك فدوكي وامها .

يفهم فرح الفن التصصي فيها صحيحاً والدليل على ذلك لباقة في الازق الحرج فانه بحسن الفرار ، اراد ان تمثل فتاة بيت المتنبي فقال : (ولو كانت تعلم الفتاة هذا البيت :

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى
عدواً له ما من صداقة بدّ
لردده .)

يشبه عمل فرح هذا ما فعله الشدياق في مقدمة فارياقه العجيب اذ قال معتذراً عن حديث امرأته فيه : « فان قيل انه — اي الشدياق — قد نقل عنها ألفاظاً غريبة غير مشهورة لا في التخاطب ولا في الكتب ، فلا يمكن ان تكون نطقت بها — اي الفارياقية — قلت ان النقل لا يلزم هنا ان يكون بحروفه وانما المدار على المعنى .»

الدين والعلم والمال

فرح انطون كاتب اشتراكي محوم حرارته ، دائماً ، فوق الاربعين ، والميكروب
إذا افتتح بهذا كان افوى وافنك . كان فرح من هذه المبادئ التي تشغل الدنيا في هم
مقيم ، وتلك مزية المصلحين الذين يحملون البشرية على ظهورهم ، عرف هذه المبادئ
في الكتب فصيح فيه قول الشاعر : والاذن تعشق قبل العين أحياناً . جاشت نفسه
وقرت كالقدر ولو لم ينفس عنه القلم لانشق ، كان جو الشرق كالقطب الشمالي
فصيرته انفاس فرح دالماً للاستيطان . واشرفت شمس المعرفة فأوت الوطاويط الى
خرايبها تنظر الغروب كالأجير ، ولكنه ان يأتي ، وما هذه الغيوم المعترضة الاسعب
صيف ستكنسها ربيع الشمال .

رأى فرح أن تكون القصة معرضاً لأرائه الهدامة فنحا نحو قصصي اوربا والاجتماعيين
الذين احبهم ، اما (الدين والعلم والمال) فليست قصة مبدئية على الطراز الفني ولكنها
قضية عظمى البسها فرح ثوب النص ، فتشكرت فيه كما يتذكرون في السهرات . يدور
موضوعها حول الربين : الله والمال ، وليس فرح بمن يعبدون الاخير ولا بمن يتكلمون
على الاول انكالا مشيناً للعقل شالاً للفكر .

يتناول للكتاب الدين والسياسة بالبحث العميق ، والناس في الدين والسياسة
قسيان : واحد يذر ويجرف في منطق ، وآخر يأبى ان يهتم . فالذي نسميه مبادئ
ليس اكثر من ميول قوية عنيفة لبست بواقع نظريات كذابة خداعة ، لان الحياة
كلها ، واحدة فقط . اما نحن فنصفها بما يبدو لنا ، اقول : الحياة حلوة بدلاً من أن
اقول وجدت الحياة حلوة ، وبالعكس ، فبين (فكر) و (شعر) هوة اعظم من

التي قال عنها يسوع في مثل (الغني والفتير)

ان ذواتنا كفلك فيه نجوم منظورة ونجوم غير منظورة ، وهناك نجوم سديمية لم تدرب بعد على ذواتها دورانياً وافياً لتكتمل ، وفي هذا الفلك ايضاً شمس قريبة وشمس بعيدة ، وفي اعلى ذات الانسان اسرار قد تبدى (الانقلابات) كما تكشف الزلازل ارضاً جديدة .

كان فرح كهذا الفلك ولكن نجومه لم تكمل ، وشمسه احتجبت صلاة الظهر ، كان من محي الحقيقة ومحبة الحقيقة واجبة قبل أية محبة اخرى ، ولكن البحث عنها بالحاح يحول دون الحصول عليها ، وكثيراً ما يسبب انكارها ، فاهيك ان طلبها بعنف قد يؤدي الى السفسطة والعناد ، فاستنطاقنا الحياة وفحص معاني الاشياء السرية يعرضها للابادة . ان ما نسميه اليوم فضائل سيكون الكثير منه بلا جدوى ، والبيادى . الادبية الرئيسية التي تدعم الحياة الحاضرة ستهدم وتقضي الحياة تحت الردم كالولاد ايوب .

ان مرض المعرفة آكلة لذاتهم السعادة البشرية وتشل اجساماً كثيرة ، قال آراسم Erasmus : (يأكل البدوي لحمه التلثة كأنها عنبر ، بينما انت لا تطيق رؤيتها ، فمن هو على حق ؟)

الحقيقة اذن ان تكون سعيداً ، وما المعرفة التي ذاق غيبها فرح الاغذاء يقدم للنفس ليس اكثر . وبكلمة اوضح هي غذاء تقدمه النفوس الكبيرة للنفوس الصغيرة بلائئ ، وفي العقول اوهام تولد واوهام تموت لان الاوهام الضرورية للحياة تتبدل وتتغير اذ يكبر العقل ، فليست اوهام الفيلسوف كاوهام الرجل العادي ، ولا احلام الشاعر كاحلام القروي فالاوهام والاحلام لا تفارق الانسان .

وليست هي التي تغير بل مادتها ، قنبنى على اسس جديدة . نحن لا نشك ابداً ان العلم سيضع — ان لم يكن وضع — النجوم الفاصلة بين الارض والسما ، اي بين الله والدنيا ، ولكن ماذا يحدث ؟ يصح فينا اذ ذاك قول الشاعر :

توقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما توقع

ان الدنيا كلها تختفي تحت بوقع الرياء والطمع ، واحسن عمل فيها يسبب الخجل ، وليس فيما حولنا ما يستحق احترامنا الكامل ، وليس في انفسنا ما يحب ، فليجبه شهواتنا عميقة ، نائرة ابدآ ، ومدىها وجورها يعلمان كالقلب ، ليس نهار .

كيف رأيتني ؟ اما تفلسفت كثيراً اليوم ؟ فالمعذرة يا اخي ، من حضر السوق باع واشترى . ان هذه القضايا التي لا تحل ، هذه المعضلة التي مات لاجلها يسوع ، واضطهد محمد ، وشتم موسى وبوذا هي التي شغلت بال اديبنا فرح انطون فاشنجت اعصابه حتى التوتر ، وتهور قلبه الكبير ... ففي كتابه الدين والعلم والمال اراد اصلاح المدينة الفاضلة التي بناها (الشيخ سليمان) فلم يقدر ، فعمل بها عمل الله في سدوم وعموره ، كما زعموا ، وبنى على انتقاضها مدينة (الرفق والاخاء) .

ان مكان مدينة الدين والعلم والمال غير معروف لانها استتھبط فرح ، اما تخطيطها فهكذا كان ، كما روى شيخ قرية (الدخول) حلیم النازل عليه : (اشترى الشيخ سليمان — سيظهر ايضاً هذا الشيخ في اورشليم الجديدة — هذا السهل الراسع الذي امامنا ومساحته ٥٠٠٠ فدان ، واسكن فيه قتيانا وفتيات من طبقة الرعاى ، واحضر لهم زراعاً وصناعاً يدربونهم على الزراعة والصناعة ^(١) واقام لهم حكومة وسن لهذه الحكومة قوانين الخ (ص ٣) فعدا حلیم — هو فرح بعينه تظهر لك صفساته في صفحة ٦٥٥ و٦٥٦ — الى المدينة ومعه رفيقه فرأى مدينة المال كيروت ، او اعظم مدينة رأيتها انت ، وفنش فيها عن فتاته ذات الحلة البيضاء التي رآها في الطريق فما وجدها في مدينة المال . وتقدم فرأى مدينة العلم كمصح بحنس ، هدوء شامل وصمت رهيب ، اما مدينة الدين فهي كما قال اعمى المعرة :

قس بعالج دلبة والشيخ من حنق يصيح

ويجول حلیم في المدن الثلاث فيلتقي في الحديقة العامة بمن يعرفونه فيدعونه جلسة المساء العامة بين رجال الدين والعلم والمال ، فيحضر ويحسى الجدال والخصام بين العمال والرأسماليين وبين رجال الدين والعلم ، ثم يستتب النظام فتدرس مشكلة العمال

١ - - حقق فرح في أميركا شيئاً من فكرته هذه

وارباب الاموال ، فيعرفنا فرح بكاول مار كس — ارأيت كيف سبق فرح زمانه ،
فان بلاشفة البلد يكرمون واحداً اعتنق القضية يوم كانوا في احضان امهاتهم — وينادي
بذهبه في ذلك الزمان ، فيقول زعيم العمال ما قاله مار كس : ان معامل الامة
ومصانعها ومتاجرها واراضها هي من مرافقها ومنافعها كالانهر والبحر والهواء ، فعلى
الامة ان تتولى ادارتها بنفسها وتوزع ارباحها بين ابناءها — اي ان تجعل الحكومة
نفسها التاجر الكبير . (ص ١٩) .

ثم يذفر فرح بثورة العمال (سنة ١٩٠٣) وقد تحقق حلمه الذي رآه ، ولكنه لم
يجل من مرارة الخيبة المزوجة بالرجاء .

وينتصر رجل العلم للعمال فيناضله رجل الدين ويناطعان حول تنازع البقاء وبقاء
الانسب ، فيستشهد فرح ينيوتن الضعيف ضد مذهب القوة الذي اذاعه حين عرف
نيشه ، او حين تغيرت احلامه وتبدلت اوهامه ، كما قلنا . وفي الحوار بين رجال العلم
والدين يندد فرح يزيمات في الدين يجب قطعها ، كما يرى فيه اشياء نخرة يجب ترميسها ،
واخيراً يتراءى له ان الكمال البشري يمكن دون الدين .

ويشتد الخصام والجدال فتخضب الجلسة بالدم . ثم تعتد ثانية وتختتم بتسعة بنود
نصها شيخ العلماء انصافاً للعمال ، وفي احدها وضع الضرائب على الدخل (ص ٤٢) .
فقامت قيامة الرأسماليين . وبندسية منهم علق اعلان يحرض الشعب ، فيثور وتحترق
المدينة . فنجأ حليم ورفيقه بسلم صنعاه من ستائر وسجاد الفندق . وتشارك الطبيعة
البشر فتثور الزوابع وتنقض الصواعق ويلجأ حليم ورفيقه الى شجرة يتدريان بها من
المطر والبرد ، وينظران الى خراب المدينة العظمى ، وهنا تظهر الفتيات الحسنات
راكبات ، وفي وسطهن حسناء حليم ذات الحلة البيضاء كثيبة حزينة باكية فيلاطفها
حليم ، وبالاختصار يتزوجها ، ورفيقه يتزوج اختها ، واخوانها الباقيات يجعلهن فرح
اوفر حظاً من بنتي لوط ... فيستقدم ثلاثة من اصدقائه ليكونوا ازواجاً لهم ، ويعيد
بنيان المدينة على اسس الرفق والاخاء .

لأمر ما جعل فرح الفتيات خساً ، أما أنا فما وفقت إلى فك هذا النفر ، والأفلا إذا
سلمن خستهن وهو يعلم أن هذا غريب . أيعارض بهذا قصة لوط وبنتيه وولديها
— من أبيهما — موآب ونعمي ؟

ومهما اجتهدنا تظل حسناء حلیم اختاً للمحترم (ظلاتور) مزقة نزيقاً كالشوارب
التي كنا نضعها صفاراً تشبهاً بالرجال ، يوم كانوا يخلفون بشواربهم .

لا نعرض لهذا الكتاب بالنقد القصي فهو ليس قصة كما قلنا وكما يعترف فرح ،
ولكن خاتمته ، أن كان قصة أو لم يكن ، غريبة عجيبة لا تصدق ، وأن رأينا لها
شبهاً في التوراة فما عند الله ليس عند الناس ... والذي صنف قصة التوراة أخرج
لوط وعائلته الكريمة قبل أن أحرق المدينين بالنار والكبريت ...

وبمناسبة الكلام عن هذا الكتاب نقول نو عاد قرح ورأى ما نحن فيه اليوم لعقدنا
وأياه مساحة يبلغ الجو خيرها ، بل لم يجر مثلها اليهود على أسوار اورشليم .

ليت عينك ترى يا فرح ، فالوطن عندنا هو الدين كما جاء في اورشليمك (ص ١٤٧)
أن سياستنا في أيدي رجاله ، صاروا ولاية أجسادنا كما هم أولياء القوس ، فعلينا العمل
بقول بولس الرسول : اطيعوا مدبركم واخضعوا لهم كأناس يؤدّون حسابكم .

كان الدين صم العالم أمس ، أما اليوم فضمه العلم ، فباسم العلم والتمدن تستعمر
الشعوب الضعيفة ، أما في لبنان فباسم الدين غرقت البلاد في (الطائفية) . وأقرب الناس
إلينا وإدراهم بنا يحسبوننا همجاً يقضي عنا (رعائنا) بالامر ، يعبدونهم لاجلنا ، وعلى
حسابنا . أن مجد الله يكفيهم ، فنحن نطلب العمل النافع لا هذه السخرية المبهمة
والضحك الصامت .

طلبت كثيراً للشعب يا فرح ، أما الشعب فشعاره : الناعة كنز لا يقنى ، أنه
لا يطلب إلا البركة والدعاء وملكوت الله وبره ...
انظروا هذا الملكوت ، فلعنه يأتيكم .

الوحش الوحش الوحش

او سياحة في ارض لبنان بقالب رواية فلسفية اجتماعية ادبية . هكذا عنوانها فرح
ودفعها الى القراء ، وملخصها :

تاجر من صيدا اسمه متى حاروم جاء بيروت وعظم . أن تجارته فيها ، فتزلف
اليه تاجر صغير اسمه لوقا طمعون ، فاصلعه على اسراره التجارية ، فانقلب الصديق
مزاحماً لئلا فكسدت تجارة متى وافلس . ويشت بنت متى لان ابها اغتتر ولوقا
جفاها بعدما علها بالزواج ، فالقت نفسها في البحر فالتقها شاب من تلامذة بيروت
الجامعيين صوري المنشأ . واحبها الشاب واحبته ولكنها رأتة فقيراً مثلها فهاجرت
تاركة له كتاباً تسأله فيه ان ينساها ، فساء يعقوب نكرانها الجميل واستد به العشق فجعن .
اما متى ابو اميليا فتنط اذ لم يبق له بيت يستره فاختفى عن الابصار ، وهام
عاشق اميليا — يعقوب درمان — في البلاد على وجهه ، وعرفه الناس باسم مخلوف .
اما اميليا فتزوجها في اميركا غني عظيم — المستر كلدن — فعاشت سعيدة لولا ذكرى
ابها التي لم تكن تفارقها . وجمال زوجها جائزة سنوية لمن يأتيه بخبره فغاب الرجاء .
وحنت اميليا الى وطنها لبنان فجاءت وزوجها اليه ، وابت ان تمر بيروت هرباً من
الذكريات المؤلمة فكانت خطة الموكب : طرابلس — الحدث — الارز .

وعرف لوقا طمعون بقدوم المستر كلدن المثري الاميركي الشهير ، فحدثته نفسه
ان يكون معتمده في الشرق ، فكتب اليه يسأله ذلك فاستشار كلدن زوجته فواقعت
عينها على رسالة لوقا طمعون حتى اقشمر بدنها وبكت امر البكاء . وجاء لوقا طمعون
ليقابل كلدن في الارز فكان مشهد غريب . عرفه مخلوف المجنون — يعقوب درمان —

فانقض عليه وهشمه نهشياً . وحضر ايضاً متى حاروم ، منك راس القضيبي ، وفي يده
بندقية فغرفه مخلوف وصاح بصوت كالرعد : (متى حاروم ، حنا حاروم ، جئت في
وقتك ، وفي يدك بندقيتك ، انظر صاحبك لوقا طمعون)

فاطلق متى بندقية فخافته فالقاهها وانكل على باعه وذراعه يدعوته مخلوف . وكان
في الارز جماهير وفدت لتعضر يوم كندن - يوم في العام يوزع فيه هذا القني الاف
الدولارات ، اراد عمله في الارز حياً يزوجه اللبنانية - فقبضوا بعد جهد على المجنونين
وحبسوهم في كنيسة الرب .

اما لوقا طمعون فتجار واحلج من هندامه ما استطاع ودخل على المستر كلدن ،
وبعد جدال عنيف بين اميليا ولوقا وكلدن حول الشهادات التي جاء بها لوقا الى المستر
اختصر كلدن الحديث بقوله : (هل تريد ان اجعل احد خدامي يجلب مثلاً - بينها
شهادة رئيس ديني كبير - بعشرة ريبالات فقط . يا مستر لوقا جئنا بشهادة شرف
واستقامة من الخواجة متى حاروم في صيدا) .

فاغتم لوقا وقال : (ان متى حاروم مخفي وزوجه ماتت ، وابنته الطائشة فرت
وتركته) . فاتفقت مسر كلدن لهذا الكلام ، وحاول لوقا ان يخرج فاحذه كلدن
بعنف وقال له : مسـتر لوقا ! اجث ! اطلب العفو من مسر كلدن ابنة الخواجة
متى حاروم .

فالتصب لوقا المتهور مدافعاً عن نفسه زاعماً ان لم يتعد المنافسة التجارية التي بها
نفسها تغلب كلدن على الاسواق ، وختم كلامه بقول غوت : الى الامام ولو فوق الجثث .
فلم تبال اميليا بحججه وبراهينه وامعنت في اهنته ، ثم تفرق دمعها لذكرى
اييها قتال لوقا : انا اعرف مكان ابيك ، وسأجيئك منه بالشهادة المطلوبة . فدهشت
وصاحت : قل اين فاملاً فاك درأ . فقال : الآن في الارز .

فخرج الجميع تتقدمهم اميليا فرأت اباها المجنون مقيداً في الكنيسة ، فشفي حالاً
حين رآها ، ووزع هر عطايا (يوم كندن) ودعا عن لوقا طمعون الذي سار مع
موكب كلدن ، وترك مخلوف الشقي تهيجه الذكرى ، ثم سبق الى دير (قزحيا)

المستشفى البلدي للمجانين ...

أما بسط فرح لحظة قصته ففيه شيء كثير من فن ولباسة التصفي المطبوع .
وللقدر على غرس المبادئ جعل فرح الكلام على لسان شابين متعلمين وكلم وسليم .
سفرهما من قلعات قبل الفجر بكثير فتحدثوا عن الجداجد التي سمعوا صوتها في الليل
— لا أدري إذا كانت تعني فصائدها في الدجى — وجعلا بخطان لافونتين . فشم
المكاري وغضب على جواده غضب سليمان حين فاته الصلاة . فادرك الشابان خطاهما
وسألا المكاري لماذا اختار هذه الطريق ، فحدثها عن خصام أهل قلعات وبيع بسبب
نشام الاولاد .

وينعس الشابان فيعني المكاري الحنيانا والميكانا ويا دوم حالي يا دوم ، فينشط
الراكبان ويعجبان بهذا الادب الساذج الرفيع الذي يمثل الامة وحبها العنيف .
وتطلع نجمة الصبح فيناجيهما الرفيقان متفلسفين . ولاح لهما دير حاطوره مع الشمس
فكان حديث طويل عن الحياة الرهبانية ، بخطها كلم ويصوبها سليم . ودخل المكاري
في القضية شخصاً ثالثاً خائفاً على جواده اذا ظل كلم يجدف على الرهبان ، فيتراخى
كلم ليغلب سليم ، فيسر المكاري ويأمن عثار الخيل ...

وبلغوا عين السديانة فاخذ رجل معنوه بحلة انكليزية من الخرج بلا استئذان ،
وقرأ فيها حادثة غرامية فطوى الحلة واعادها قائلاً : كلهن سواء . وردد :
جننا بليلي وهي جنت بغيرنا واخرى بنا مجنونة لا نريدها

وانهي عليه فاسعفوه فأفاق ، ولم يعرفوا من امره الا انه مجنون اسمه مخلوف ،
وتركاه على ان يلاقىها الى الارز ، وسارا الى الحدث فدخلوها والاهالي في جلبة
وضوءاء . يريد واحد ان يكري بيته من بروتستانيين قدموا اليها ، والضيعة لا تريد ،
وينتهي الامر بقبولهم لان ابا مرعب ، وهو من الذين حاربوا مع يوسف بك كرم ، قد
اراد ذلك . ويتعرف كلم وسليم بالامير كيين فاذا هم طلائع حاشية المستر كلدن لا
مرسلون بروتستان كما توهم موارد الحدث .

ويبيت كلم وسليم عند صديق لهما مسلول وهذا ايضا من ضحايا لوقا طمعون . وفي

الغد يذهبان الى الارز فينامان في العراء ويعوي الذئب فيطير النوم . ويصبحان
فيطلبان الصيد في ذلك الوعر فيضلان في الجبل ويسقطان في واد صغير . وتنطلق
بندقيتهما فتجيبهما اخرى ويصرخ صوت : الوحش الوحش الوحش .

ثم يقبل شبح كالوحش رافعاً بندقيته في الفضاء انذاراً لها فسلما . وتعارفوا فسألاه
عن تلويخ وجوده في القفر فاجاب : منذ تكوين العالم .

واستغرب كيف لم يصدقه . وحاولا كشف سره فاستحلفاه باولاده فغضب اسد
الغضب . وذكرا له الله فخر الى ذقته ، ثم انتصب واخبرهما انه في هذا القفر (يكون
العالم الحقيقي الذي يسود فيه الخير والصلاح ... وان اصل الشر الوحش الذي في
الانسان ...

وتم له ذلك بمعوة الله وانه سمع صائحاً يقول : (لقد انتهى) . ويلوح ذئبان
يقتتلان على رابية فيعدو اليها ويصرعها ويجرهما الى كوخه ويقول لضيفي بملكته :
كلاهما معتد فارحنا المملكة منها) .

فأدرك كلم وسليم سره وسألاه : لماذا لا يذهب الى المدن ؟
فغضب وقال : اني لا اقدر على جميع الوحوش التي فيها ، اذ ليس لي غير يدين
ولا اقدر أن امسك بها اكثر من بندقية واحدة ... لا تصدقوا انني ولدت هنا بل
انني ولدت في المدن وعشت في المدن ، ولكن الوحوش فيها اكلتني وطعنوني ففرت
منها ، ولكن لا بأس ستأتي نوبة المدن وحينئذ ادخل اليها باذن الله دخول المنتقم لله
من وحوشها الضارية (ص ٥٠) .

أظنك عرفت الرجل ، هو متى حاروم ، ملك رأس القضيبي ، أبو أميليا الذي
انقض مع مخلوف على لوقا طمعون في يوم كلدن .

*

على القصة مأخذ شتى . لا يعني اذا كان حشاها فرح فلسفة اجتماعية ممكنة
ومستحيلة ، فهذا هدفه الادبي والمرء لا يساق الى الهدف . ولكن فرح انطون أغرب
جداً في الاستنباط وكان اعظم من الله في (الخلق) . فوجن مثل متى حاروم ابن

تغر ، نشأ على سيف البحر وفي صيدا الحامية كالتنور لا يستطيع ان يحيا في رأس
القضب شهرأ واحداً فكيف بالسنين ! فهذا ما يعجز عنه ابن بقمكفرا وهي اعلى ضيعة
في لبنان . الوحوش ترحل عن تلك الارض في الشتاء لتشتي بالاقاليم المعتدلة فهل
يستطيع تاجر مرفه كمتى هذا ان يعيش هناك كما وصفه لنا فرح : (فعلمنا — اي سليم
وكليم — انه رجل اضاع صوابه لظلم اصابه فبرح بلده واقام في تلك الجهات المقفرة
وهو يعتقد ان الله ولاء عليها نحو الظلم والشر ، ثم ملكه المدن لاستئصالها منها ايضاً .
وقد افتقد كليم وسليم كوخه ومعيشته فوجدوا انه يعيش في اسوأ الحالات . ورب يوم
لا يتناول فيه غير كسرة خبز اسود يصنعه من دقيق يعجنه ويشويه على النار ، او
قطعة من لحم الوحوش المعتدية التي يصطادها . وكان يمر عليه في زمن الثلج والشتاء
عدة ايام يظل فيها مخبوءاً في كوخه الختير لتراكم الثلج عليه في ذلك الجبل . وكان
قد تعود احتمال البرد كالحيوانات فاذا ذاب الثلج زحف من كوخه وخرج على الثلوج
يسير زائلاً لا مشياً كأنه سائح فوق ثلوج القطبين (٥١) .

قرأنا عن سليم وكليم انها لم يطيقا برد جبل الارز صيفاً ، افلا تكون الحياة في
الشتاء معجزة المعجزات ؟! وقول فرح وكان قد تعود احتمال البرد كالحيوانات لا
يجعل الامر ممكناً ، ولكن الاستاذ اراد ان يتبع خطة ديماس فاغرب كبونسوت
دي ترايل . اما شخصية مخلوف المجنون الثاني فاجاد في خلقها كل الاجادة ، فمخلوف
ابرز اشخاص النصة . طبيعي في كل شيء ، في حواراته وتفكيره ، وحركاته وسكناته ،
ونفسيته ، وحكماته ؛ ومشهده مع حبيته حين رآها في الارز من اروع المواقف .
وقد لحظت في هذه القصة ، وفي اورشليم الجديدة ، اجادة فرح في تصوير المعتوهين
وانطاقهم . وتركه هذا المجنون يطوف في البلاد واقعي جداً في ارضنا ، وهذا ما
عرفناه عن المجانين ، وليس في حديث مخلوف واطواره ادنى غرابة فقد رأينا باعيننا
وسمعنا باذنانا معتوه حمانا ، فيلسوف الشاغور ، يكتب اياته على الصخور بالقلم العريض
بل بالفصحة الغليظة وبرزها قوله : من خلق علق . انها لحكمة جموح يتمنى الفلاسفة
الكبار ان تكون لهم .

كان اجتماع ايليا بابيها قريباً من التصديق لولا هذا الجو الذي وضع فيه متى

حاروم . يتراعى لي ان فرح انطون احب الارز حتى العبادة فاراد ان يجترح فيه عجيبة تصديقاً للتسمية ، افليس هو ارز الرب ؟

اما بنية الاشخاص فطوع قلم فرح ، وان تعقد الحوار احياناً . فرح ابن مدينة اراد ان يصف اطواراً قروية رآها مرة او مرتين — وهذا لا يكفي — فجاء عمله احياناً مطابقاً للواقع واحياناً لا ، ففي (الحوار) ما هو جيد كتقول كلدن للوقا طمعون : انا لا احب كثرة الكلام يا مستر لوقا ، فاذا شئت ان تكون وكيلاً لاشغالنا فجئنا بشهادة شرف واستقامة من الخواجه متى حاروم .

فعندي ان استعمال (مستر) للوقا وخواجه لمتى فيه تدقيق وفن . وكذلك قول اميليا للوقا : يا ظالم ، تخرب بيته ، وتميت زوجته ، ونهب ابنته ، وتبيع منزله وتمحو اثره الخ .

ثم بالعكس قولها له بعدئذ : قل فاملاً فاك درآ . فهذه نابية وكان على الاستاذ ان يقول (فاك) بدلاً من (فاك) على الاقل ، فهي اقرب الى حديثنا من تلك .

واشع من هذه سؤال كليم للمكاري : هل ظهر نجم الصباح يا جرجس ؟ فاجابه المكاري بابشع : سيظهر بعد نصف ساعة على الكثير ، والارجح ان الشمس تشرق لنا عند بطرام . فيقول : كليم فلنعمل اذن ، فانتا تروم الوصول الى الجبل قبل اضطرام وطيسها فراراً من الحر . فوطيسها تركية في اذن المكاري اللبناني . ومثل هذا قول كليم ايضاً لرفيقه سليم : هل نركب يا سليم ، فان مضيتنا حاضرتان ، وللبس ملابسنا اولاً .

فكيف غفل فرح عن هذا وهو يعلم ان في الحوار كل جمال القصة . وهناك طفيليات علقها فرح كالقراذ في جسم قصته ، كبعض حكايات من العقيد الفريد ، لا يتسع المجال لسردها كلها . وفي احدث يقلد فرح الشدياق ولكنه لا يوفق ، يقول المستر كلدن : يس يس سنأمل يوم كلدن في الهرز . يعني : سنعمل يوم كلدن في الارز (ص ٥٢) . ثم في اليوم الثاني يرينا المستر كلدن فصيحاً كأنه بدوي لا لكنة ولا رطانة .

وكذلك تمثل لوقا طمعون بتقول غوث : الى الامام ولو فوق (الجثث) . فتعريف

فرح له لا يؤهله للتفوه بهذا الكلام السامي ، فنفسية دنيئة فذرة كنفسية لوقا لاتتعالى الى هذا الافق . فالتأنيب دساس جبان يطعن في الظهور لا في الصدور ، فلو قوته كلمة عربية لافصح العرب كان الخطب اهون ، وجاء الكلام اقرب الى الفن . وارى كما رأيت في اسم ظلاتور ان لفرح ولعاً باشتقاق خاص لاسماء ابطاله مثل حاروم وطمعون ودرمان ، فانها تأتي كرية وان دلت على شيء .

اما تخلص فرح في (المازق الحرج) فاليك في هذه القصة شيئاً منه . يشفى متى حاروم حين يرى بنته فيعلم فرح ان ذلك مستحيل لا يصدق فيقول : ولم يدون علم الطب شفاء كهذا : (٦٤) .

اما سير القصة فسرير نحو النهاية سرعة المسافرين الى الارز ، وهذه حسنة من حسنات القصص . اما غاية فرح الاجتماعية فتتحقت اذ سرد اراء كثيرة في كل فن ومطلب حتى كتب صفحتين عن السل (٣٣ و ٣٣) وقد وطأ لهذه الراء كلها احسن توطئة فلا تشعر ان المؤلف يقصدها الا حين يعلم المكاري الديمقراطية فيأبى بعد قليل ان يسقيه ، ولو لم يبرطله بقينة عرق لما فعل .

ان جعل فرح محيط قصته في وطنه يدلك على معرفته ان القصص لا يخلق قصته في مكان لم يعرفه ، ولكن كلامه عن غوغاء الحدث وتخطيهم بيا ابن طنوس وبيا ابن مرقص وبيا ابن .. بدلا من الاسم ، فهذا لا يكون الا نادراً وللتحقيق .

في القصة مبادئ كثيرة عرضها فرح بلسان اشخاصه ، واحسن عرضها كما قلنا وقلما تخلو صفحة من حكمة . وفي القصة فصول رائعة كالفصل السابع ، وموقف اميليا وكلدن ولوقا ، ومخوف في ساعة الرحيل كما قلنا ، اما العفو عن لوقا طمعون فتولستوي . واظن ان غرابة (العقدة) نست القراءة هذه القصة الطيبة ، وجعلتهم لا يذكرون لفرح الا (اورشليم الجديدة) رائعتها الكاملة ، فالى اللقاء في القدس والمجدل .

اورشليم الجديدة

تلخيص القصص قتل للفن ، ولكن الناقد كالجراح فلا غنى عن البضع احياناً ،
وفتح البطن حيناً ، فعلى من يعينهم الامر ان يقرأوا النص المتقود ليدركوا الجمال
الذي يسقط تحت الردم ويروا الاعضاء مركبة متناسقة لا اسلاء على وضم .

ان اورشليم الجديدة ابعد اثار فرح شهرة ، واكثر القراء يذكرونه بها ، ولو
طول الله عمر (مريم قبل التوبة) لفاقتها ، ولكنها ماتت ولما تبلغ الرشد . علم فرح
ان سقوط مملكة الروم وتقلص ظلها عن سورية كان اول اسبابه تلهي القوم بالقشور
الدينية فبنى ، قصته اورشليم الجديدة على هذا الاساس .

ورأى ايضاً ان القصة بلا حب وغرام كالطعام المسلوق وهو ان غذى فلا يكون
شها ، فوضع من هذه التوابل ما قدر عليه ، فدارت قصته حول فتاة يهودية اسمها
استير تيمناً باستير احشوروش ، ولكنها ماتت مقهورة . وجدت هذه الفتاة مع
ابيه في بيت لحم ليلة عيد الميلاد سنة ٦٣٦ ، وانطفأ مصباح كنيسة المهد فترك النصارى
المعيدون مباحثهم الدينية واثروا يطلبون لليهودي ، لان وجود يهودي في بيت لحم
يمنع المصباح ان يشتعل ، فيهازأ بخرافتهم شاب مسيحي اسمه ايليا فيقبضون عليه
ويشبعونه ضرباً ولطماً زاعمين انه يهودي . فتهرع سيدة نبيلة اسمها تيوفانا الى معنوه
يلقبونه النبي ارميا فيخلص ايليا من الفوغاء فيشكره ايليا ويمضي مفتشاً عن الذي حرض
عليه ، فيلتقي باستير وابيه اليهوديين خارجين من بيت لحم ، فيضعك لصدق وهم
العوام ويتبعهما ليخلصهما من الاعتداء ، فيلتقي ايليا بجهاير قادمة الى بيت لحم اذ بلغهم
انطفاء القنديل فيعترضون البنت واباها على انها يهوديان ، فينتصر لها ايليا مدعياً انهم

نصارى ويرسم اشارة الصليب ويفعل مثله ابو اسير. اما البنت فتأبى ذلك ، فتمسك
الجمهور بها فيقول هم ايليا انها وثنية من بصرى لان الوثنيين احب الى قلب النصارى
من اليهود اذ ليس بينها دم وثار ، فتصر الجماهير على تعميدها ويفرحون ببداية نفس
بشرية يوم العيد المبارك وحينئذ يطل موكب البطريك تتقدمه المشاعل والمصابيح
فيتنظر الجميع الموكب ، فيأمر البطريك بسوق البنت وايبها الى بيت لحم رغم مساعي
ايليا لديه . واعاد ايليا الكرة في بيت لحم فلم يفلح ايضاً اذ قطع البطريك الكلام
بقوله : قد يكونان جاسوسين للعرب ، ولكنه امر بعزل الفتاة في دير الراهبات ولم
يعتدها .

وبينا القوم لاهون بهذه الترهات والسفاسف بلغ البطريك اقتراب العرب من
المدينة ، فقدس مستعجلاً ليعود الى اورشليم قبل ان يدهمها العرب .

وبينا كان البطريك وحاشيته مشغولين بالعرب كان كيريه ايليا يزحف على الدير
متسلقاً جبل الزيتون ليرى ما حل باستير . اما سبب حب ايليا الفجائي لاستير فانه
راى منذ سنوات واحدة مثلها مع ايبها في يافا فأحبها ، ولكن حبه مات جنيئاً فبعث
اليوم حياً . وهناك سبب آخر قوي وهو تأثير التوراة وتاريخ يوسفوس فقد ارت
قراءتها ايليا ان اليهود معاصريه بقايا امة عظيمة حلت قوة نفوس نساءها وجمالهن
مشاكل كثيرة في التاريخ .

وفي جبل الزيتون يجتمع ايليا بالملقب بالثني ارميا في كوخه قرب ارزة صهيون
فشكر له صنيعه اذ انقذه من القوغاء . وكان ارميا حائقاً في تلك الساعة على الامبراطور
لثوكة المدينة المقدسة بلاحامية وسماء المسيح الدجال ، فكشف ايليا بفكرته
العظيمة وهي تحرير السوريين من نير اليونان الذين يحكمونهم دينياً . فهو يرى ان
يقف السوريون من العرب ويقيموا بطريكاً سوريا . فيخطئه ايليا ويحدثه عن استير
فيظهر له انه عارف بدخولها الدير ، فيحتال ايليا ليوجه ارميا في سبيل مآربه ثم
يتوكله فاصداً دير الراهبات فلا يرى استير بل للسيدة تيوفانا ، فتخبره ان استير فتاة
عبيدة بكت واغمى عليها حين رأت صليبا في غرفتها . فساها ان تسهل له مقابلتها
ليقنعها فتوفض ، وهل يخفى امر بسيط كهذا على عانس كتيوفانا؟ وفيما هما مشغولان

بالحديث اذا بارميا يهرول ويصيح : وصل العرب .

هذا ما كان يجري حول الدير ، اما في اورشليم فالبطريرك والوالي في خلوة يتشاوران فدخل عليها بدوي غساني يحمل انباء العرب . وفي تلك الساعة المشؤومة جاءت ام نيوفانا وابو استير خائفين على ولديهما فتأفف البطريرك وقال : العذراء تحمي ديرها .

وعاد ارميا الى كوخه وذهب ايليا الى المزرعة (مزرعة الشيخ سليمان) وهناك يقص فرح سيرة بطله ايليا ، فامه نذرتة لله واخذت تحبز له كل يوم ارغفة بوزعها على الفقراء فيدعو له اولئك ان يصير بطركا ، ثم جاء احد علماء القسطنطينية وراآه يفعل ذلك فقال له : ستكون بطريرك اورشليم الجديدة . ودخل ايليا الدير حين شب ، ورأى يوماً اسقفاً يلطم راهباً في القديس فاستعظم فعله ، واجتمع بالراهب ميخائيل على الجبل حيث واعدته ، فافرح هذا الراهب الآبق جعبة آرائه الدينية والاجتماعية في نفس ايليا فنفذه ، والحديث طويل مما فرح (الخطبة على الجبل) . اول الخطبة مبهم ككلام الانبياء (بابني الخ ص ٤١) وموضوعها البحث عن اعمال رجال الدين ومخالفتها للانجيل ، اذ عاد رجال الدين الى الحالة التي حاربها المسيح ، ولو ظهر اليوم لاضطر ان يصلب ثانية .

واطرى الراهب ميخائيل النسطوري النبي والعرب ثم رأى ان سيصيب الاسلام ما اصاب المسيحية بسبب المؤولين والمجتهدين ، وان اصلاح الهيئة الاجتماعية بواسطة الدين لا يمكن ان يتم الا اذا عادت الانسانية الى طفوليتها ، وعندئذ يلزم نبي جديد للانسانية الجديدة (ص ٤٥) .

اما ميخائيل هذا فراهب كان يجمع الصدقات للفقراء فاشاع الناس انه نجى المال في الغابات فعاف هذا العمل وانصرف الى الحقول يشتغل مع البائسين ، فخطط قري عديدة فاتهم انه يسعى لرفع نير الكنيسة فحبس في الدير للوعظ فقط . ووعظ يوماً فكفر وطرده ، واخذه قائد في جيشه ، وبعد الحرب والظفر اسس مزرعة — كما في الدين والعلم وامال — واخيراً يشرح ميخائيل تلميذه الجديد بديانة (الرفق والمحبة والصفيح) . وتطلع الشمس فيذهل ميخائيل ويتعجب ويحمر ساجداً لها — مشهد

فولتيري — وتنتهي الخطبة فيتمشّي ميخائيل وإيليا حتى اذا بلغا المزرعة رحب الشيخ سليمان بإيليا بعد ما عرفه ، وبشره انه سيرث ميخائيل في اورشليم الجديدة — اي المزرعة .

وبعد حين مات ميخائيل فعزم الشيخ سليمان الا يكون اكليركي في مزرعته وقال للشعب : اقرأوا التوراة والانجيل ونظفوا قلوبكم وهذا يكفيكم . فقالوا : ومن بعد ويكلل ويحتز ؟ فاراد سيامة إيليا كاهناً فأبى . اه

هذه حكاية إيليا قبل ان عرف الشيخ سليمان وخبر إيليا سليمان عن بلوغ العرب القدس وقص عليه خبر بيت لحم فغضب سليمان وقال : كان على البطريك الا يساير الشعب فان كان الرجل جاسوساً حبسه واطلق البنت .

ولم يستطع إيليا الرقاد في المزرعة فعاد الى جوار الدير وجلس على أكمة في الظلام يقرسه البرد الشديد ، وقرب نصف الليل انسل الى الدير فسمع زفيراً وبكاء : الراهبة تحدث استير لتقنعها ببقاء الصليب في غرفتها ، والبنت تصر على اخراجه فتخرج الراهبة غضبى . ويدخل إيليا فترتاع البنت ، وتعلم انه موفد من قبل ابيها فتهدأ ، وتخرج معه من الدير واذا تراها وإيليا وحدهما تفرع ، ولكنها تمشي . ونهب العاصفة فيحاول إيليا حمل استير — كما في بولس وفرجينى — فتأبى ، ولكنها تسمح له باخذ ذراعها فيأخذ الايسر — وهنا يشرح لنا فرح انها جهة القلب —

ويحضر ارميا في تلك الساعة فيحملانها برداء الى كوخ النبي ارميا . وبلاهم المطر ، فذهب ارميا الى المدينة ليحيى . بلباس ناشفة وفرس ، فتخبر الفتاة إيليا انها من مصر وانه شاعت نبوة ان السلطنة ستصير الى اناس محتونين فجاءت مع ابيها وامها المتعدة التي تريد ان تموت بجانب هيكل سليمان .

وسارا بالفتاة راكبة الى المزرعة فسلها الشيخ سليمان الى بناته ، وفي الغد ذهبت وإيليا الى الحقل فخبرها ان المدينة في حصار ولقاء ابيها صعب فحزنت ، واقبل عليها ارميا يخبرها عن التفتيش عن استير .

وفي جلسة اخرى في الحقل ايضاً ، ثار جدال عنيف بين إيليا واستير حول المسيح

والدينين الموسوي والعيسوي انتهى بتقبيل استير الصليب — بعد ذاك الفزع —
وكاشفها ايليا بحبه قرب قبر الراهب ميخائيل معلمه .

وساء ارميا استئثار ايليا باستير دونه ، فاخذ يحوم كالغراب حول المزرعة حتى
جاء يوماً يناقش ايليا الحساب . واقتراح اخيراً الاقتراع عليها فضلاً للمشكل . وتروى
استير في تلك الليلة حلاً فبكت بكاء مرّاً : رأت انها جاثية امام المصوب فدخلت
امها وراها الكنيسة وقالت لها : اهكذا تتركينا يا استير ؟

ولم يتم ارميا على الضيم فغرت استير فغرت نازكة رسالة لاييليا تسأله ان ينساها ،
ويتبعها ايليا باحثاً عنها فيأسره العرب . وكذلك امرت استير ولكنها تركت
طليقة حرة ، وسعت لفك اسار ارميا الهائج في محبسه فافلح سعيها . ودرى ارميا
باسر ايليا فقال للعرب : شدوا عليه ، هذا اخر الامبراطور ، ولكن ابا استير انتقذه
وتدل الشؤون على ان ابا استير جاسوس للعرب فيترك ايليا كلمة البطريك
فيتنازع قلبه : الحب والوطن ، فيذهب لمقابلة البطريك ويشير عليه بالتسليم لعمر
بن الخطاب كما نصح عمرو بن معديكرب . فيأتي عمر — كما نص التاريخ — ويستلم
المدينة من البطريك صفرونيوس ، ويرى فرح ان فتح القدس كان بلاء على اشرق
كله (فيا اورشليم استعدي النخ ص ١٢٨)

وتتظر استير عودة ايليا فلا يعود ، ويتخاصم عليها ابن معديكرب وضرار ،
يبدو عليها نحول وهزال يحملان اباها على ترك معسكر العرب . ودخل عمر القدس
فكان ابو استير دليله ، فجاء ايليا رسولا من لدن البطريك الى عمر فمر امام استير
فصاحت وامتنع لونها ، ثم يجتمع ايليا بها فيتصارع الحب والدين في قلب استير ،
والحب والوطن في قلب ايليا ، ويتساءلان عن صحتهما فاذا هما كالجاحظ عليان في
مكانين . وتعتب استير على ايليا لذهابه بلا وداع فيتصل ؛ ولكن ارميا يصيح من
الخيمة : هذا كذب .

ويتنافر ايليا وارميا فتعلم استير ان ايليا تركها لان اباها جاسوس دنيء فيفهم
عليها ، ويطلب ايليا معاقبة ارميا على فعلته هذه فيصيح ارميا يجنون : انا لست منكم .
انا عرب عرب .. لقد صرت مسلماً ... النخ

واستدعى عمر ايليا فجاءه كاسف البال ، ودله على قبر المسيح ليدخله ويسلم على روح الله ، ثم على مكان الصعود ففعل . وطلب منه ان يحدثه عن اسباب سقوط المملكة فاعتذر ايليا تاركاً هذا الشيخ سليمان فجبيء به وقص عليهم تاريخ هرقل وحروبه مع الفرس وبين لهم اسباب ضعف السلطنة . وعرضت في هذا الحديث مسألة خطيرة وهي حال الاكليروس ، ومداخلة الدين بالدنيا ، ومداخلة الدنيا بالدين والانشغال بالقضايا الدينية عن تدبير الملك ، وصرف الشعب الى ظاهري الدين ، وانه كما شغف الشعب بهذه المظاهر زادت سلطة الاكليروس عليه . فدلنا نخرج فرخ على عصره . ولسان سليمان تنبأ فرح عن مصير الاسلام وملك العرب فاضطرب عمر والسامعون من القواد والامراء . وانتهى الحديث فمشى عمر واخذ يسأل ايليا : هل يعلمكم انجيلكم كذا ، وهل يعلمكم .. كذا الخ فيجيب ايليا : لا . ويقول خالد : يا سبحان الله وبعد هذا الكلام يبكي عمر فيصيح ابو عبيدة : ما ابكى امير المؤمنين ؟ فيزداد عمر بكاء ويقول له : (يا عامر قد سمعت من ايليا الشاب ما هسي شريعة الروم ، وسمعت من الشيخ سليمان كيف خرجوا عنها ، فانا اخشى ان نخرج عن شريعتنا في مستقبل الزمان كما خرج الروم فيصيبنا ما اصابهم . وينتهي قول فرخ بيا ... ويا ... كعادته .

ويقبل ارميا ، رسول الخير ، مخبراً ايليا ان استير في خطر ، وانه يتنازل له عنها بشرط ان يخلصها لانها تحبه ، وان البطريك يطلب ايليا لهذا الامر . فذهب ايليا وقابل البطريك فكلفه ذلك . فذهب الى بيت لحم حيث ابتدأت القصة ، فرأى ابا استير ينتظره وكان حديث ، فحلل هذا عداءه للنصارى ، اذ لم يراى عار في تجسسه لاعداء من خربوا مملكة اورشليم .

ودخل ايليا على استير فرآها منهوكة ضعيفة فتشددت ونعزت ولكن وطأة الحمى التيفوئيدية كانت اشد ففقت بعد ان دفعت الى ايليا سبباً ، واوصت ان تدفن في مزرعة الشيخ سليمان قرب قبر الراهب ميخائيل . ولم يصف لنا فرح — كعادته في المأزق الحرج — لوعة ابطاله في تلك الساعة بل تراءى لنا ذلك .

واختلى ايليا بعد الدفن ، وتذكر الهدية فاذا هي دفن مذكرات استير ، فقبله

وقراه بالبكاء والنحيب ثم ذهب لزيارة قبر استير فرأى ارميا منبطحاً عليه ..
وانتقل المرض الى ايليا فأخذ يهذي باسم استير ، وفي الساعة التي كان يتها فيها
عمر للرجوع الى الجزيرة كان ارميا الجديد يتلو مرثي اورشليم اسميه القديم ، وينقل
فرح اكثرها اذ يراها منطبقة على حالة الفتح .

وبعد ايام يموت ايليا ويدفن بين قبر استير ومعلمه ميخائيل وتختم الرواية : بيا
ايها القبور الثلاثة النخ .

هذا ملخص القصة ، بل هذا هيكلها العظمي ، فالمتروك منها كالإشارة التي فيها
الرواء والآية ، فليطلب الفن محبوه في القصة كاملة ، اما نحن فنشير الى الحسن والتبع
في فرح القصص .

عندما ظهرت هذه الرواية الخطيرة انتقدها الشيخ سليم خطار الدحداح من اجهة
الدينية فقال : ان فرح فيها يعتنق الاشتراكية التي دعا اليها افلاطون . وانتقد ايضاً
كلام ايليا لاستير اليهودية (لا تتركي الحواجز الصناعية التي يضعها البشر تحول بيني
وبينك) . وانتقدت جريدة الظاهر كلمة « الميكانيكية » فقالت : انها لم تكن في ذلك
الزمان ، وانتقدت جريدة المنارة المؤلف لانه لم يعرف ارميا والشيخ سليمان الى قرائه .
وانتقدت المقتطف اعتماد فرح على الواقدي — تاريخياً — مع ان الواقدي اقرب الى
القصة منه الى التاريخ ، وانتقدت ايضاً ان في الرواية (نصائح وحكم يشف عن لوم
صاحبها الدنيا) فدافع فرح عن نفسه فكان ذا حق ، وان كانت لهجته شديدة في رده
على شيخ المجلات المحترم .

ولئن اطلنا البحث فإلغدر بين ، ان فرح انطون عميق ، واورشليم بعيدة القعر
تغذي الفكر ، وتروح الخيلة ، وهي مؤسسة على صخور الوجدان في قاع البناء
الانساني ، والحياة الحقيقية . واذا لم تكن فيها عجائب وغرائب الف ليلة وليلة ففيها
المسألة العظمى التي تشغل بال الشرق كله .

قال فرح في مقدمة اورشليم الجديدة انه عني (بجمال التأليف) ، وان نهضة اوربا
قامت على حب الجمال في الصنائع والفنون لان الجمال الحقيقي لا ينفصل عن الخير

والحق . ثم ادرك عباس محمود العقاد هذا — طبعاً بعد فرح — فراح يبشر في مقدمة (فصوله) بالوهية هذا الثالث الاقدس في عالم الفن.

افتتح فرح اورشليم بخطبة — المدخل — التي وجهها الى (بنت صهيون) فدل على الموضوع وجمال التأليف معاً حيث قال :

(ان حمامة الروح السماوية قد طارت من بين جدرانك فهلا استعدت روحك لتحييها بنفسك ويؤهل منزلك ! هلا نظرت باخلاص وتزاهة الى مرضك ! انك لم تريدي يا ابنة صهيون ، فهذا جراح وخضم شديد قادم نحوك . ولكن ، وأسفاه ان سكينه ليست نحيفة بل هي عبارة عن سيف قوي ومع السيف رمح ونبله وترس وجواد عربي .

ان الدنيا تمغض الان بدين جديد وسلطنة جديدة . ان رمال قفار العرب قد تحركت يا ابنة صهيون ، وزحفت نحوك فاصدة الدنيا كلها ...

ان ابناء اسمعيل الاقوياء خرجوا ملافاة بني اسحق الظرفاء ، ولكن ملاقاتهم كانت للاقتتال على سلطنة الارض كأن هذه الدنيا الواسعة تضيق عن اخوين كريمين ... سدوا آذانكم ايها البشر ، فان ارضكم ستصير ميداناً للحروب والمجازر ..

فيا ايها الامم المختلفة التي تقوم وتسقط وتتطاحن كحبوب الحنطة تحت الرحي لك ان تقولي (المجد لله في العلى) لان الله خالقنا عظيم ، ولكن لا تقولي (وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة) فان الارض ليس فيها اليوم غير السيف والنار ، وليس بين البشر شيء يسر بل السائد بينهم الفساد والاضطراب والبغض والشقاء والدمار) .

فالشعر الذي هو (جمال التأليف) بعينه منتشر في اورشليم فرح انتشار الشرابين في الجسد ، والخيال الذي هو ابوالفن وواهب الوحي والقياس للفن ، كما قال بودليو ، الخيال الذي يصور لنا الحياة باهى الالوان حتى يجعل المداس (شعرياً) ، الخيال الذي يحفظ للحب الذي فسد عطره الالهي — كما في مريم فرح ، وسلمى ومرقا ووردة جبران — يعزي عن يأس القلب والجسد ويحقق ظفر الروح ...

الخيال الذي لا يضل لانه ينبثق من الحقيقة انبثق الروح القدس من الاب والابن ... هو ملاك اورشليم هذه . ففرح القوي الخيال المغذى بالقراءة الدسمة خلق استير اورشليمه مزيجاً من اناثا وفرجينى . فكما حال (النذر) دون حب اناثا ، كذلك حال الدين دون حب استير . وماجريات القصة وما حدث في الطريق — من الدير الى كوخ ارميا — شبه بما جرى لفرجينى وبولس ، ولكن فرجينى فطرية واستير بنت تقاليد خيطة وعقيدة صارمة اقلقت الدنيا ولا تزال . اما حمل استير في ثوب كما يحمل النعش فقريب مضحك ، يشبه تنبؤ الشيخ سليمان عن مصير ملك العرب ، الذي يشبه (نبوءة النبي الملك اليباني) في قصة الزير ، ولو كان فرح حيا اقلت اكثر من هذا ...

ان فرح انطون مبتلى بحمى رومنتيكية اوقدت نارها القروح الاجتماعية ، فعالج موضوعاً واحداً — ككثير من كبار قصصي العالم — ولذلك تشابهت ابطاله في ملامحها ومشاكلها . فارميا ومخلوف توأمان ، والمزرعة ، في اورشليم وفي الدين والعلم ، واحدة ، ومؤسسها واحد هو الشيخ سليمان الذي هو فرح انطون بعينه .

اما خطة القصة فيديروها فرح كقائد محنك يعرف كيف يربح المعركة الفاصلة . يستير جيوشه زحفاً ، اما اذا عثر بحجارة النضاييا الاجتماعية فينقف ويطيل الشروح ويثير الجحاشا عنيفة بين ابطاله تكاد تملأ لولا اسلوبه اخي والدفاع قلته المحموم وعاطفته المتقدة الصادرة عن قلب مقروح . فلذا كنت تقرأ لتتسلى فعليك بغير فرح . تأخذ المؤلف نوبة الوعظ ولكنه وعظ حار غير ملول ، ولا عجب ففرح قصصي عاليج المسائل العظمى كتولستوي وغيره في اورشليم روايته هذه ، وفي رواية الدين والعم والمال ، ومريم قبل التوبة ، والمسائل الصغرى في (الحب والوحش) . واذا جاءت غتدة الوحش كعتدة الاسكندر فعتدة اورشليم انشوطة — شالوطة — اما الخيط فيمسكه فرح ولا يفلته حتى النهاية ، وقد يتركه معلقاً — كما في الحب — ثم لا يغفل عن صغيرة منها دقت فيعود بك اليها .

ان قصصه جميعها وخصوصاً رائعته (اورشليم) غنية جداً بالافكار ولكنها افكار كردستها المطالعة ، واعجابه بكل جديد . رأى فتر الادب العربي في زمانه

فكان كمن دخل مخزناً كثيرة اصنافه وانواعه فتحير ، ولذلك جاءت قصصه معرضاً (ايمياً) فكل المسائل التي دوخت رأسه : كاتخطاط الشعوب في الدين والاخلاق والسياسة اثارها في اورشليم — و اورشليم سبب كل علة — ولهذا جاءت بعض شخوصه حية كأنك تحدثها وتراها — ايليا ، ارميا ، البطرك ، استير ، خالد ، عمر — وبعضها تشعر بنقلها وانما ليست بشراً بل خيالات واشباح كأنني عبيدة فشخصيته (باهنة) اما الباقيون فبين بين ، فأرميا وان حضر كل ساعة كذاك (الذي يبقى وحده) في سفر ايوب ليحمل بشائر النجس الى ذاك الصديق المبلى ، فحركاته طبيعية وهو أهل حلو يذكركني بكثيرين من الموسوسين .

يصور فرح لواعج ابطاله تصويراً بارعاً فهو خير الى حد بعيد بالتفاعل الداخلي كله يظهر من وصفه انقلاب ايليا . ولكن الوصف المشهدي قليل عنده ولا سيما في اورشليم التي جاءت كصورة جميلة بلا اطار . فقارىء لم يزر القدس يجهل ساحة حرب ابطاله . أظن فرح ان كل مسيحي يعرف القدس وبيت لحم ! وكل مسلم يعرف المسجد الاقص والصخرة ؟؟ ام ترك للمسيحي ان يتخيلها كما يتخيل المسيح ، ام توهم ان بعض رسوم طبعها في اول الكتاب تقوم بحاجة القاريء الملحة وتسترد عودة الفن .

هب ان هذا ممكن فاين تقع المزرعة وهي من مشاهد القصة الكبرى ! فوصفها الوجيز المبهم يطابق لبنان لا فلسطين : (يظهر لكل من تأمل الارض الجبلية الفاحلة الجافة في النواحي ان صاحب المزرعة اتى ضروب المعجزات ليجعل تلك الارض صالحة للزراعة (ص ٦٨)

ان اورشليم الجديدة رواية غنائية في اسلوبها الذي يرتفع وينحط ، عملية واقعية في تفكيرها ، اما مأساتها فمبتذلة ، ولكن البشارة التي نشرها فرح على هيكلها جعلتها زينة بين عرائس الادب ، عالج فيها فرح مسألة خطيرة جداً ، مسألة الرهبان ، فبعاءت كأنها كتبت عنا ، ولا يشين فرح ان اراءه فيهم مستعارة من منتسكيو ، فالجماعة هم هم قديماً وحديثاً وفي كل زمان ومكان . عشق فرح المثل الاعلى عشقاً جنونياً وحاول اصلاح الانسانية بعنف قصار نصحه تحاملاً وتوبيخه صراعاً . وكما حمل يسوع خطايا العالم — كما قالوا لنا — حمل فرح الام المساكين ونصب نفسه وكيلا مسخراً

واذا لم يجد من يخله صلب نفسه . ففرح كآتب بمثل عصراً بل شعور شعب انقل ظهره
الكتبة والفريسيون بالاحمال الثقيلة ولم يجر كوها باحدى اصابعهم . فبينما يكون
اشخاصه منهمكين في الحب اذا به يحولهم الى شؤونه وشجونه ولهذا تراه لا يمتزج بهم
ولا يتحد الاتحاد الكلي المطلوب من القصصي الكامل : انه يحب التملغل في احشاء
الماضي مفتشاً عن (الكمال) الضائع بين الامس واليوم . فالذي يطلب من رجال
الدين الا يتحولوا كالذي يطلب من القصة الا تسبخ وتزرق ، فالتخالة النخالة دائماً ..

ان كتاب اورشليم عراك بين فرح الخارجي وفرح الداخلي تردد نفسه اصداء
محيطه الموبوء . احسن فيه فرح تقسيم شخصيته بين كثيرين ، فهو ان لم ينطق العرب
كما ينطقون فالسبب معلوم ، وحسبه انه وضع في افواههم آيات وكلمات جامعة تدلك
على انه يعرف نفسياتهم ، ولهذا تحرك اكثرهم تحت قلمه ، اما حديث البطريق مع ايليا
فجميل جداً . وكأنما فرح الكيركي عتيق بحسن كلام هؤلاء ويفهم روحهم وحركاتهم
وايائهم ، وكذلك حوار ايليا وارميا في موافقها جميعها .

اذا نظرنا الى آراء فرح على ضوء اليوم بدت قليلة الطرافة فهو فيها كخوري
ماروني درس في روما وباريس ، ثم عاد الى لبنان فأراه جديداً ، فما مبادئه الا
انعكاس اخواه ولكن الثور حاد لحدة طبع المؤلف وابائه العبودية ، ففي تعنيفه نغمة
الانجيل ونهيد التوراة .

يعلم فرح — والدليل مقاله في القصة — ان على القصصي ان يفتش عن موضوعه في
محيطه ، ولكن ميله الى النضيا الاجتماعية واعتقاده ان الانسانية هي في كل مكان
وزمان أرجعاه الى الورا . عشرين قرناً ، فذهب مسرحه في محيط لا يعرفه تماماً ، كما
فعل ساتويربات وغيره من كتاب الغرب ، ولهذا خسرت اورشليم فرح كثيراً من
الجمال الفني ، فالسرح لا يتصل اتصالاً وثيقاً بالاشخاص ، وقياس فلسطين على لبنان ،
ان صح اجمالاً ، فهو لا يصح تفصيلاً ...

و قد رأيت ان فرح انطون يتعب في آخر الشوط اسلوباً ولكنه لا يني خطة
فيسوق جماعته الى السكين سوقاً رويداً ، اما الاسلوب فتارة يكون فيه رسمياً — من

المجترين - فيقول : والشمس انتى من مرآة القرية ، وذو قوت الغزالة ، وشنشة نعرفها من اخزم وهلم جراً ، وطوراً - وهذا قليل - يأتيك بتعابير شخصية تدل على لبنانيتها ، وأحياناً - وهو الأكثر - يدل على تأثره بالفرنسية . أما بعض الالفاظ الدينية فمستعارة من (البعث) التي تلخصها ، مثلاً : كيريايسون ، يا رب ارحم ، وحياة العذراء ، وكذلك رسم الصليب والحلف باسمه .

وقد يستعير مشهداً قرأه فيجعله لآخر كقوله : (ص ٦٣) ومن غرائب الاتفاق ان الشمس اطلعت قرنها في هذه اللحظة حين سكت الراهب - ان حادثاً بسيطاً كهذا ، والشمس كل يوم تطلع ، لا يستأهل : ومن غرائب الاتفاق - فوثب الراهب وقال : (هلم هلم نشهد مطلع الشمس ، تبارك الخالق) فهذا الاندهاش لا يكون من متدسي كيخايل يشهد الشروق كل يوم ، فهو ان صح لفولثير لا يصح لهذا الشرقي المحترم ، كما ان (هلم هلم) ليست من كلامه ، ولكن (تبارك الخالق) تستر بشاعتها . يعجبني هذا الراهب الغالت ويعجبني حديثه في (خطبة الجبل) وان اصدر علينا حكماً قاسياً فقال بلسان الامبراطور :

هذا شأن السوريين فانهم متى حكموا انفسهم كانوا اقرب الى اجور منهم الى العدل لكثرة نحاسهم وتنافسهم ، ولعدم وجود جامعة قوية عادلة تساعد الجيد فيهم وتحذل الرديء (ص ٦٠) .

واعجبني ايضاً كلام الشيخ سليمان عن الرهبان ، وان رأيت اراءه اكبر منه : (لا تنس ان الرهبان في بملكتنا . كانوا في اكثر الاحيان اقوى من رؤسائهم ، لتحريضهم الشعب عليهم ، وكم حالوا دون اصلاحات مهمة بهذا السبب الصغير .. ولذلك كانوا قادة الشعب ضد الاساقفة والبطاركة والموظفين حتى ضد الامبراطور) . قلت : فمن يشك بهذا فليسال تاريخ لبنان ، وبطريق المواردة واساغفتهم .

وكذلك رأي سليمان في الوطن فقد قال : (ان الدين عندنا هو الوطن ، بل الدين عندنا فوق الوطن وفوق كل شيء) فقلوله هذا يصح فينا امس واليوم .

وابرز عيوب قصص فرح ظهور شخصيته فيها ، فهو ملقن عريض الصوت لا يسكت ولو اعطيته ما اعطى الله عبيده ، ولذلك انت قصصه قريبة من الدروس

والمحاضرات في بعض المواضيع ، فهو يترك القصص حين يستطيع ويمشي في الاستنتاج هاتفاً : يا ويا ويا حتى لم يدع مكروب الخي التيفوئيدية بلا (يا) وكذلك ملاك الموت الذي خطف روح استير .

اما (الخطبة على الجبل) فهي مجموعة آراء فرح الاجتماعية. واعجابه بالعلم ، ولكنه عاد في آخرها الى آراء المعلم الجليلي . وحب مبادي يسوع خلق اكثر ابطال فرح من الخيرين يكررون نظرياته في كل قصة ، وقد يكررونها في القصة الوحيدة . غير ان مؤلف اورشليم امين لا يسرق ولا يشتهي مقتنى غيره ، ولا يفعل بالناس ما لا يريد ان يفعلوه به ، ولهذا نسب كل راي الى صاحبه ، ولكنه وانسأه لو عاد اليوم لقال مع الامام علي : أرى تراثي نهبا .

مريم قبل التوبة

لا انحصها لانها غير كاملة ، فيها ادق وصف للعراك الداخلي في نفس المومس واحوالها الخارجية مع الذين يزورون دكانها ليشتروا من بضاعتها الهاربة ... وفيها رأي السذج بهذه المرأة وخوفهم من الدنو من بيتها لان فيها سبعة شياطين نقداً وعدداً، كما خبرنا الرسل الاطهار . انطق فرح الراعي بذلك فجعله من المالمدين . وفيها الحديث الراقي بين مريم وزوارها المثقفين وان قل حظ سنيكا الفيلسوف الروماني منها فلانه جاءها وقت نوبة سوداء . اما اسلوب القصة وانشاؤها فاروع ما انتجته قريحة فرح . يظهر ان ذات الجمال الفتان مشقة ، والبرهان تلك الرسوم الرائعة التي صورها بها الفنانون . فهي تبيع الخصى كافور الاخشيدي وتصير الخلي شجياً ، فان وضع فرح في فمها آيات بينات فلسان المجذلية يحملها بسهولة ، فالتى تعطي وتأخذ كام سيبيويه لا يصعب عليها ما قالت دفاعاً عن قضيتها . اما جاءها الشاب يوسف وبكى متأسفاً على جمالها الممتن ، واعتذر لبكائه بذكرى امه فادرك كنهه عقل مريم الحصيف ، فراودته، ولما صرح كانت اخف من النسيم ودعته الى الزواج فتلعثم ونكل، وما هذا في نظري الا توطئة لعذر المسيح لها غداً ، ولكن الرواية لم تم .

ان مسرح رواية مريم هذه ومسرح رواية اورشليم واحد ، اما المبادئ، فمتناقضة، والمرجح ان المؤلف كتب اورشليم قبل قراءة نيتشه ، ولولا ذلك لما حشر مبادئه في قصة مريم . ان نيتشه تيه فرح انطون فاذا ع مبداء العنيف وهدمه في ساعة بحث بين مريم وشاب روماني . ولم تم القصة لنرى رأي فرح الاخير الذي (ابقاه الى ميعاد) كما مر ، ولكنني اعتقد ان المعلم صفى الحساب في خطبته عند شلال نياغرا التي تسوى

كتاباً خالداً .

وبعد فالتا نشهر بان الكثيرين من ابطال فرح هم اخوة الكثيرين منا نشترك معهم الاشتراك الكامل ، ومتى رأيت في البطل عدواً او صاحباً كان مخلوقاً خلقاً سويّاً ، كملك الرب حين تمثل لمريم العذراء . ان هذا (الاشتراك) جوهر النصّة الفرد . والقصّي المطبوع يلبس لكل حالة لبوسها كابن حمام الحريري ، وهذا ما فعله فرح ، فرأيناه بطريوكا جليلاً ، وفيلسوفاً كبيراً ، وبهلولا لامعاً ، وعاشقاً حاميّاً ، وهو في كل هذه المواقف يجيد اعادة متفاوتة .

تخلق الطبيعة عوالم تموت ، اما عالم القصة فلا يموت ما دمنا نقرأ ، ومثلما ينبغ افراد في العالم كذلك يكون في عالم النصّة ، وهذا ما وفق اليه فرح الذي لم يغفل عن حل اكثر قضاياها كما يفعل القصصي الاصيل . واذا شئت ان تعرف لون فرح فخذ حفنة من تولستوي ونيتشه وسيمون وروسكن ورنان وامزجها بيدك لك لون فرح انطون .

اما لغته فسهلة سلسة ، لم تخل من الغلط النحوي والغوي قد يكون سببه ذهول فرح وسرعته . اما رأيه في الكتابة فهو ينبئك به عني ، وهذا ما كتب :

« وعلى ذلك فحقيقة البلاغة ليست في قواميس اللغة وكتب الادب ليذهب الطلاب ويفتشوا فيها عنها ... فمن لا يملكها في نفسه فعبتاً يطلبها في الكتب ، فانها حسناء ذات دلال لا تسي الامرة واحدة وذلك حين نزول الانسان من جوف امه . فالبلاغة اذن حسن فطري باطني أي نفسي كما ان جمال الوجه حسن خارجي ... »

الى ان يقول : « ويعلم حينئذ الذين ينسبون الى اللغة العربية التصور عن مجازة لغة الافرنج انهم ظاهروها بذلك لان التصور هو في اسلوبها البدوي القديم الذي لا ينطبق على حاجات العصر لا فيها نفسها ، لانها لا تخرج عن كونها لغة سامية رقيقة يعبر بها عن كل العواطف الجميلة متى هجر ذلك الاسلوب وحل محله الاسلوب الذي يسمونه افرنجياً ، وهو في الحقيقة طبيعي ازلي لانه سبق الافرنج واليونان والرومان ووجد مع الانسان في اول بلاغته » (الجامعة جزء ٤ ص ٣١٤ و ٣١٤)

واخيراً انا نشكر فرح انطون كثيراً. فقد قضينا وایاه أكبر حصة من الصيف،
فأرسلنا الكثيرين من شرنا فصيفوا مستريحين ...

لقد كانت سياحتنا عجيبة اذ رأينا في تلافيف ذلك الدماغ الكبير عجائب غرائب،
وما نحن نودعه راجين ان نلتقي مرة اخرى ، وهيئات .



حول جبران ومي

بين عين كفاح وعاليه
جبران خليل تقى الدين
حول عكاظ الحكمة
ذكرى جبران الخالد
جبران اللبناني
مدينة جبران
من أجل الادب
خطبة بشري
الحداد وجبران
شيء عن مي
ما بين مي وجبران
الى شكر الله الجر

obeykandi.com

بين عين كفاح وعاليم

الاندلس الجديدة – العصبه – ابو الهول
كراتشو كوفسكي – جبران الخالد.

عدنا فهل من يقول العود احمد ...

كتب علي كل عام خطوتان ، بل رحلتان ، رحلة الشتاء ورحلة الصيف . وان لم
اعبد رب البيت الذي اطعمني من جوع وامني من خوف فلأنني اراه يعني بما لا يعني ،
فهو لي كابن يقطين بشار ، اريده للدنيا وراحته ، ويريدني يوم الدين للدين ، ومن لج
كفر .. فلو زوجني بنته هذه لمهرتها من الغلف والتلف ... اكثر مما مهر شاول بنت
داود الملك والنبي التائب !!!

ويلي ان شكوت وويلي ان سكت . انا بين ويلين كهريرة الاعشى . لقد صمت
مكرهاً خمس جمع ، ولو ذات سوار لطمتني للذي الاطم وكانت المصيبة هينة ، ولكنها ،
اجلك الله ، نعمة دابة حطمت الآلة الكاتبة ، ورضت لي اضلاعاً ، فدونختني اياماً ،
واليك الخبر .

يتنا على سفر فالتأم مجلسنا – مجلس القرية – للوداع ، وكان الحديث . ذاك
يقول للمكاري : هذه آخر مرة يا بطرس يركب دابتك الاستاذ . وذاك غداً ، اي بعد
أسبوع ، تزمر سيارته في (الوطا) ونشق الضيعة فينزل قدام الباب . غداً .. غداً .. وكلنا .
نرجو غداً وغداً كحاملة في الحي لا يدرون ما تضع

ثم كان الوداع الحار : بوس ، وشد ايدي حتى حسبنا تتصارع ، واخيراً هونها

الله فمرت تلك الساعة بسلام .

ثم اصبعنا والاثاث مربوطة امام البيت تامة الكسوة ، جلس فبردعة ، ومفرشة
تحتها خرج في احدى عينيه الآلة السكّابة ، وفي الاخرى ما يعادلها من متاع ، فالانتقال
كالطائفة تتطلب التوازن ...

مشت غزالة — اسم الحمار — وكان العهد بها فارهة لانها غير عانس ، فاذا بها
تلكأ ، ان جذبت راسها وقفت ، وان ارخيته اصطكت ركبناها ، فقلت لبطرس :
ايش مصيبة دابتك اليوم ؟!

فأجاب : خاشها سقطت الليرة اكثر من خمسين بالمئة ، خذ حذرك . ظننته ينزل
كعادته فقال : مالك ؟ ما نسينا ايام الحرب .

فسكت وسرت وانا على يقين من ان الحمار ساجدة شكراً لله على حماها الخفيف ..
ولما اسهلنا اخذت تنطق بي ، ثم طفقت تنطق من خلف كعباره الجاحظ ، فضحكت
وقلت لرفيقي : انها تكذب بطرس .

فسمعها بطرس وضحك قائلاً : يا ليت ...

وبعد سير قليل شرعت تحيد عن الطريق وتمشي في الحقل — والحقل عندنا ، كما
علمت ، خير من السكة — فذكرت اقان بلعام الفصيحة ، حين قام صباحاً وشد عليها
وانطلق مع رؤساء مواب ، فعمي غضب الله ووقف له ملاك الرب في الطريق ، وسيفه
مسلول في يده ، فمالت الدابة عن الدرب مراراً حتى وقف ملاك الرب في مضيق ،
فربضت الدابة تحت بلعام ، فعمي غضب بلعام كربه من قبل ، وضرها بالقضيب ،
ففتح الرب فيها ، وكان حديث بين الاثان وبلعام يدل على ان الحمار كانت من كبار
علماء المنطق .. واصحاب البحث العلمي . اقرأ هذا الحوار في سفر العدد (الفصل ٢٢)
واياك ان تنسى ان الملاك قال لبلعام : لو لم تمل حمارتك من قدامي لكنت قتلك
واستبقينها ..

اما انا فلم يقع لي شيء من هذا ، ولا اذكر من هول تلك الساعة الا اني سمعت
هانفاً يقول : فلتحي المساواة ، ولتعمش وزارة النافعة !!



سبعان من عرى صيفي ، وجعل خريفي مورقاً . كيف اطلعتني (احد المعجبين)
على مجلة (البرازيل المصورة) فزادني قرفاً للادب العربي ، ما خلا اليسير منه . كانت
سياحتي فيها كوجود احمد فارس الشدياق في مالطة حيث قال : (ومن يكن من
العرب ذا غيرة على لغته فلا يطيق ان يسمع الكلام المالطي على فساذه) .
ومع كل ما تحلت به البرازيل المصورة من ركاكة اقول اني قرأت تقريباً لها
في الاندلس الجديدة ، والعصبة ، وابي الهول .

صار الكلام في شعرنا البلدي — شعر المناسبات — ضرباً من اللعب ، كان في نيّتي
ان احدثك ولو باختصار عما قيل في ماتم المتنبي بدمشق ، فوجدت القصائد متقاربة ،
فقس على ما قيل ما لم يقل ، واعدرنا فقد تناولنا المتنبي وحفلاته العديدة اكثر من
مرة ، فالحمد لله على سلامة لحيتي من التنف مرة ثانية . ولكننا لن نعفي احدهم حين
تصل الينا قصيدته الثانية التي هجا بها امة علمته (مدرستها الجديدة) ادبه الذي يعتز به
ويحمد عليه . اما الان فاني محدثك عن (اندلسنا الجديدة) عن ادبنا في البرازيل .
فليلة سفرتي البلعامية حمل الي صاحب البريد مجلة (الاندلس الجديدة) . وما بلغت
عاليه مطحطعاً حتى وردت علي مجلة (العصبة) وجريدة (ابو الهول) فتعزيت وهكذا
اورق خريفي كما قلت لك ، ثم بعد ايام فرحني كتاب (عابرة سبيل) الصادر عن
بروكلين ، فانساني بعض اوجاعي .

الاندلس الجديدة مجلة مجلوة كالعروس ليلة زفافها ، حسن نفسي في جمال جسدي .
فلو رأتها ولادة لضحكت بين جداولها حبيها (المسدس) وتذاكروا معاً شعرها
الرائق مبني ومعنى . شعر تنزه اكثره عن البضاعة الرائجة في (بندونا) ، ذاك الشعر
الذي يصبحني كل يوم صباح احلت اي احلت ...

ان اثواب هذه العرائس (الاندلس الجديدة ، العصبة ، ابو الهول) تعبق بعطر
لبنان ، اما قلبها ، فينبض بحب العرب ، ولا غرابة في هذا الامر فاللغة العربية ربية
لبنان في هذا الدهر ، رافقتهم في رحلاتهم البعيدة فاروها محاسن الدنيا اجمع وأروا
العالم جمالها الفتان . كانت ربابهم فاسمعوا الدنيا اعذب الاخان واشجى الترانيم ، لا
ينخفض هم صوت حتى تليه نبرات . فما كادت تهمد مدرسة جبران الخالدة حتى طار

قبس منها الى البرازيل فاضطرم وانتقد . والعدد الذي أحدثك عنه من الاندلس الجديدة هو عدد تموز الممتاز مهدي (الى روح جبران الخالد) سيد ادياء جيله — الجيل بمعناها الاصلي — وامام المجددين في هذا العصر ، واليك عبارة صاحب الاندلس الجديدة الشاعر شكر الله الجر ، وهي مكتوبة تحت صورة جبران .

« اجل — الى روح جبران الحبيب — تقدم هذا العدد ، وهو كل ما نستطيعه من تكريم ذكره بمناسبة الحفلات التي يقيمها ادياء الاميركان لمرور اربع سنوات على انتقاله الى دار الخلود .

فاليك يا جبران الحبيب هذه الاضخومة العاطرة من ازاهر حبنا تقديرآ لآلامك المريرة وجهودك الفاضحة في سبيل تحريرنا من قيود الجهل والتقاليد ، والنهوض بنا من مهاوي الظلمة الى مشارف النور . اليك اينها المسرحية التي ستتحول مع تحولنا — فلت ولا شك — الى منارة وهاجة تثير شواطيء افكارنا واحلامنا ، فنهتدي الى حقيقة كياننا الضائع في كياننا » .

سلم فلك يا شكر الله ، أمض في سبيلك فالحق معك . لا اقول شيئاً في (غمائمك) المطرزة بالوان الغيب الذي أتمتع به في عاليه كل مساء ، بل ارجي ، كلمتي الى يوم تظهر في افق الادب واذا ذاك تقابل طلعتها بما يستحق . لا تتوقع مني ثناء صرفاً فبوس الايادي ضعك على النحي .

صدر الشاعر شكر الله الجر مجلته الموما اليها بمقاطع من مواكب جبران غزونها (معجزات جبران) ، كما فعل من قبل الصديق الاعز الشيخ فؤاد حيش في المكشوف يوم نشر رداً علي . فلت هذا استطراداً الى محو ما علق بالاذهان من زعم السيد عباس محمود العقاد يوم نقد (المواكب) حين ظهر . قال في (الفصول ص ٤٦) : (وقد فتحنا الكتاب — اي المواكب — فوجدنا في اول شطرة من اول بيت خطأ من هذا التبيل في قوله :

الخير في الناس مصنوع اذا جبروا .

يريد أجبروا)

قلت : نعم وهي كذلك . كأت على الأستاذ العقاد أن يتثبت فيما يقول قبل أن يكتب مهولاً : (في أول شطرة من أول بيت) كأنما أنزل على الأرض كسف من السماء فخربت . راجع الفيروز آبادي وغيره حتى اصفر المعاجم لتعم تعنت العقاد . اتنا نسال العقاد واضرابه : من أين جاءت الجبرية ؟ — الطائفة التي تقول أن الإنسان مجبور لا اختيار له ولا قدرة ، وأن الله قدر عليه أعمالاً لا بد أن تصدر منه — انغلط كل من قالوا الجبر الجبرية ، لنخطي . جبران ؟ فما رأيت الجبرة إلا لابن النديم .

نعم أن جبر لغة تميم ، ولكن الذين تكلموا بهذا الحرف وجاروا بني تميم فيه ، كلهم عرب صحاح اللسان . أياظر هؤلاء الذين يخلوهم أن يكونوا جبران يستقون على هذه السفاسف التي لا تعلي ولا تسقط ! لست أنكر أن جبران في نثره أشعر منه في نظمه ، ولكنه ، كيفما دارت به الحال ، لا يقل عن العقاد نغمة شعرية على قلة ممارسته النظم ، بل يفوقه كثيراً .

ثم قال العقاد : (لم ننته من الصفحة إلا على خطأ ثالث في قوله : فأفضل الناس قطعان يسير بها صوت الرعاة ، ومن لم يمش يندثر والواجب جزم يندثر) .

قلت : لا يا أستاذنا العلامة ! الجزم غير واجب ، فمن هنا اسم موصول ، ومثل هذا كثير في كلامهم . فليراجع الأستاذ العقاد كتب النحر ، وأن شاء فأنادله على (مغني اللبيب) ولا أسك في أنه ذاك . فيبتع صفحة ١٩ من الجزء الثاني طبعة سنة ١٣٠٢ هجرية ، على صاحبها وآله أفضل الصلوات وأذكى التحية .

ثم قال العقاد : (هذا وليس في النصفحة إلا أربعة أبيات) أيوهنا أن (مواكب جبران) الراقصة من سقط المتاع ، ولكن العقاد كان أسود البخت فأخطأ الغرض ونقد الحبة بمنقار أعوج فأفلتت منه سائمة .

ثم انتقل العقاد من نقد المبني إلى نقد المعنى في فقال :

فاذا ما اللوز ألقى	زهره فوق المشيم
لم يقل هذا حقير	وأنا الملك العظيم

(قلنا : — اي العتاد — انه لا يقول ولكنه يفعل). قلت انا : ليس هذا ما عناه الشاعر ، وكانت على الناقد ان يكون أرحب صدرأ وأبعد نظراً ، ليفهم ما يقصد. ان اكثر من ينتقدون جبران كهذا الفاضل ، وجلهم من تبايع ادبه ، يتمنون ان يشبهوا به وان اعجبوا بمثل هذا النقد الزيف . ولكن عارفي قدره يرون ان عناصره في الادب الحديث حية لا تموت ، ولا يرون من يدانيه او يقاربه من هؤلاء المقلدين ، وانه سيظل نسيج وحده ، وكأفا هذه العبارة كتبت لتقال فيه وفي اشباهه من نوابغ العالم الافذاذ .

وبعد ، فان كان لي كلمة اقولها في مجلة اخي شكر الله فهي انه يغالي كثيراً في تقديم كتابنا الى قرائه ، ويتقني لهم اضخم الالقاب وافضلها . لا انكر ان بعضهم جنوا بها وقد يضربون ولا يلبون ان لم يبرزها لهم ، ولكن ما علينا لو عودناهم ، فالاديب الكبير حقاً لا يفر بمثل هذه المضحكات ، فليته يكتفي بأسمائهم فقط ، وليت ادباءنا الكبار يتشبهون بسيدات البيوت الخطيرة ، اما تركن التزين بأساور الذهب لخادماهن ووصيفاتهن !

واخيراً لا اكتبه ان تقرظه البرازيل انصودة بقوله: (تشمل على ارووع المقالات وابدع الشعر ، وألطف المستظرفات) يشير ظروني ، ويشككي فيما يصدق من ألقا. لا تصدق يا استاذ ، سريرة فز ملاؤك يمزحون ، والحق هو ما قلته انا فيها . فان كنت قرأت ، فأعمل على تهذيبها وتجميلها ان كنت تطلب لها خاطبين .

اما مجلة العصبة التي رايت وجهها الصبيح ولم اضرب لها كف موعد فهي لسأت حال (العصبة الاندلسية) اخت رابطة جبران الادبية ، بل بنت تلك المدرسة الدارسة التي بصح فيها قول دعبل في آل البيت .

مدارس آيات خلت من تلاوة ومهبط وحي متفر العرصات
متع الله عصبة الخير والادب الصحيح بعمر طويل لتحيا ثقافتنا بين الامم .

تطالعك مجلة العصبة باروع مشاهد لبنان ، جبار القطر الشامي ، وتربك اجد آثار العرب وتسري اليك بعطر الاندلس بمزوجاً بارج لبنى لبنان . فالى الامام يا شباب

العرب ، ولا اقول شباب لبنان فلبنان اصبح مرادفا للعروبة ، وان نفره ما تهربه
اقلام بعضهم على الطروس . لست اعني الا بعض ادباء وشعراء ، فماذا سياسي لا ناقش
كتابها .

ان صح ان اللسان يوحد الامم والشعوب فجماعاتنا المنتشرة في كل الاقطار
المسكونة هم دعاة القومية العربية لا غيرهم . فهم الذين حشوا امس ويحشون اليوم وغدا
كل عربي من مهاجر ومقيم على تقديس لغته وقوميته . وهم الذين احتلوا مقاما ساميا
بين امم الارض الذين خالطوهم مخالطة الاشياء والانداد ، وافهموا بعضهم انهم احفاد
الامة العربية فضحوا على جدتهم المرحومة وذكروها بالنمير .

قد تظنني مبالغاً ان قلت لك ان مجلاتهم الراقية تحجب الينا لغتنا ، ولكنك ذاهب
مذهبي ، ان شاء الله ، متى طالعت (العصبه) الحافلة بكل طريف مفيد من شعر عال ،
وادب صحيح ، الى تاريخ مجيد من النفوس ويرفع الرؤوس .

وحياتك يا اخي ، ان اثاراً كهذه تجدد شباننا المائمين فلا يذوبون في الامم الطارئة
علينا ، او الشعوب التي طرأنا عليها . فشكري الخوري في (ابي هول) لبناني فوق كل
لبناني ، وهو بمن عيدوا للبنان في زمن عبودية (٦ ايلول) حتى حاول الرجل ان
ينشيء ادبا لبنانيا لغة وتفكيراً ، فاخرج لنا منذ عشرات السنين روايته الرائعة
(فنيانوس) نعم فنيانوس وشنتفه .

لم ينس المشرق غناطيوس كرانثوفسكي فضل صاحب ابي الهول في بحشه
(ادبنا الحديث) فقال كما ترجموا لنا : وقد شرع شكري الخوري في محاولة طريفة ،
وهي استعمال اللهجة السورية — قلت اللبنانية — الدارجة في الكتابة ولكن احداً
لم ينسج على منواله .

واعجباً للمشرق غناطيوس ، اينسى المنكرزل ، صاحب جريدة الدبور الطريفة
الحوة النكتة ، وحنا الفغالي صاحب (شروني) القصة البديعة ، فهي اخت فنيانوس
شكري وعلى طرازها وان تفاوتت سنها ، بل اتعجب له سبع مرات ، وهو يؤرخ
ادبنا المعاصر كيف لا ينسى حليم دموس وينسى هذين المنشئين ، فيقول عن شكري

الخوري : ولكن احداً لم ينسج على منواله .

ولكنك لا تلوم غناطيوس مثلي متى علمت انه (مكبر فوتوغرافي) لما كتبه العلامة المدقق الاستاذ جب عن ادبنا الحديث ، كما ضخم العقاد مقالات صديقه المازني في ابن الرومي فجاءت كتاباً غليظاً . فالذي يقول - ان صحت الترجمة فليس الاصل عندي - ان النص العربية التاريخية شاعت اولاً في محيط البستاني فعذره بتين كالعنزة البلقاء . يا الله من بعض هؤلاء المتشرقيين كيف يتصدرون للحكم وما عندهم من آله شيء ، انهم ككتابهم الذين يكتبون عنا ما لا يعلمون ، لقد ذكرني هذا بشكبير حين أرسى المراكب في حلب ، وبشاعر فرنسي - اظنه دي هيريديا - قال : ان لبنان يدخن ، ظاناً انه جبل بركاني .

فاي طالب علم لا يعلم ان المحيط كتاب لغة وضعه العلامة البستاني فاحل فيه رأس الكلمة محل ذنبها ، اظن (غنطوسنا) هذا اراد (الجنان) فاخطأ في النسخ ، وجاءت غلطته ثغينة غريبة مثل ارائه العشاء .

ما رايت كراتشكوفسكي الا ناسخاً مائلاً ماسخاً ، كما عبر ابن الاثير في (ادب الكاتب) ، فهو لم يبرح الدائرة التي رسمها الاستاذ جب ، وان خرج من تلك الصورة رقص رقصة الجدي هنيئة ، ثم عاد اليها يفتش عن ضرع امه ... فما كتبه الاستاذ جب عن ادبنا يدل على درس من يتفهم الكلام ويمحصه ، لا على نقل ومسح كما رايت في فصول كراتشكوفسكي الثلاثة التي قرأتها مترجمة في رسالة الزيات .

رحم الله الشدياق ما كان انبه ، حين خص امثال كراتشكوفسكي بالذكر في (ذنب الفارياق) - التعبير للشدياق - فافراً هذا الذنب العاقل وقل ان هذا الشدياق الذي يقول عنه كراتشكوفسكي (وفي البلاد غير العربية امتاز العصر بظهور بعض الكتاب التوابغ كاحمد فارس الشدياق) كان باباً للغة لا شدياقها .

لقد حفظها عن ظهر قلبه كالماء الجاري فالف الطرائف المكدومة النظير . ووصف لك ما سر على رأسه من الحن ، وما رك ، وما التل . آله غرور متمشرق وادعاؤه على قلة بضاعته ، فقال في ذنب فارياقه : (وانما الغرض من هذا الكلام هو

ان ابن هذا الرملي اغارف المتعلق مناصرة عن شيوخي الذين اخذت عنهم من العلم ما اخذت ، ان شيوخي لا يحسبون في عداد العلماء . نعم ان لهم باعاً طويلاً في التاريخ فيعرفون مثلاً ان ابا تمام والبحري كانا متعاصرين ، وان الثاني اخذ عن الاول ، وان المتنبي كان متأخراً عنهما ، وان الحريري الف خمسين مقامة حفداً بها حذو البديع وما اشبه ذلك ، الا انهم لا يفهمون كتبهم ، ولا يدرون جزل الكلام من ركيكه ، وثبته من مصنوعه ، ولا المحسنات اللفظية والمعنوية ، ولا الدقائق اللغوية ، ولا النكات الادبية ولا النحوية ، ولا الاصطلاحات الشعرية ، فغاية ما يقال انهم تنفوا تنفة من علوم بواسطة كتب الفت بالفرنسوية .

وان شئت اكثر فخذ (كشف الحجاب) واقرا ما يحدثك به عن الدكتور لي حين كان يصحح له ترجمة التوراة ، ثم ما كتبه عن بعض اساتذة اللغة العربية في جامعتي كبردج واكسفورد .

اجل لقد بذر الشدياق لغتنا الفصحى في كل الاقطار كحصر ومالطه ، وانكثرة وفرنسا ، وتونس حتى ين اراك الاستاذة ، ثم في العالم كله (بجوابه) وكافا عنه ابن زريق البغدادي بقوله : موكل بغضاء الله (يزرعه) .

اقدرت الان هيام لبنان بلغة العرب وسبقه الدائم ، امس واليوم ، الى التجديد ؟ فهو باني النهضة الحديثة ، ولا اقول (الانبعاث) فاللغة العربية لم تمت لتبعث ، بل لاذت ابان محنتها بكهفين : لبنان والازهر . فاللبناني مشاء دائماً الى التجديد والابداع ، ما وقف ولا يقف ولن يقف ، ولديه في كل زمان شاهد عدل . حاول ويحاول التجديد في كل دهر ، وحسبك شاهداً هذا التطور الذي تلمسه في مدارسنا الحديثة وان لم تكامل بعد فرؤية الهلال تبشر بنموه .

لا اشك في انك قليل الايمان بما اقول لك ، ولكنك ستؤمن مثل العم توما حينه يسها اصبعك ، والاني قريب فادع لي بطول العمر ، الله يحفظك ويبقيك .

ولنعد الى مساق الحديث عن هذه الصحائف التي تذاع في جنوب اميركا ، اليس من الحيف على شباب العرب الا تكون في متناولهم ومتناولهم وفيها ما فيها من ادب سني ودروس قومية ؟ ا فليت غرف المطالعة — على الاقل — تطلبها ، وهل يكثر بدلها

الاشترك الزهيد على من يعلم شبابنا المتهافت على فصاع الاجانب كيف يحب لغته
وبعبدها !

ففي مجلة العصبة نصرة للمخطوب على حقه كقصيدة الشاعر شفيق معلوف الرصينة ،
وقد نقلتها صحفنا ، وفيها رسائل يتيمة لزعيم الادب الجديد جبران تبين بعض مشاعره
الدالة انه بشر مثلنا ، وليس من الجن والعفاريت كما فهم بعضهم . وفيها قصيدة متينة
للشاعر القروي ورسوم رائعة لبعض مشاهد لبنان ، وصورة سيد المرسلين محمد — كما
تخيله جبران نابغة الفنان الرسم والادب — تليها قصيدتان غراوان في مدح هذا النبي
المفرد للشاعرين حسني غراب ونصر سيمان . ثم رسم عربي محض — موت عبدالرحمن
الثاني — كله فن وروعة ، وهناك بحوث شتى ومقالات وقصص موضوعات ومتروجة
تملي على المتفرجين منا دروسا عالية اخص منها بالذكر (ذكاء بدوي) مترجمة عن
الانكليزية لاثبات ما يدل عليه عنوانها . وفيها نأ ترجمه كتاب نبي جبران ايسه
الشرق للغرب ، بقلم الكاتب يوسف مرعب ، ترجمه الى البرتوغالية كما ترجم من قبل
دمعة وابتسامه ، والاجنحة المتكسرة ؛ والارواح المتمردة وغيرها من مقالات جبران
فاستقبلت بما يستحقه خيالها السامي وابداعها الطريف ، فهل نسمع مديونية المعارف
الجليلة فتتعرف باديها المنفي .

وفيها اخيراً : اصدر الكاتب المدقق واللغوي المعروف جورج مسرة مجلة شهرية
في الحاضرة دعاها (البرازيل السورية) وقد مر ذكرها . قد يكون الاستاذ جورج
كاتباً مدققاً ولغوياً محققاً ، اما الكعك فما دل على العجين .

ولا انسى قصيدة الشاعر الياس قنصل — كيف خلق الله الازهار — ففيها شعر
اكثر مما في ديوانه (السهام) كله ، وهذا دليل جديد — لي — على ان الشعر الوطني
امسى علكة يتعذر الابداع فيه الا على القروم ، لكثرة ما لا كتبه الشعراء منذ ابن
كلثوم حتى بشاره الخوري وعمر ابي ريشه . فليس كل ما يقوله الشعراء شعراً وطنياً .
وما وقعت عيني على فهرست العدد السادس من العصبة حتى رأيت توفيق ضعون
فتذكرت ما كان يذيعه في (النصير) رحم الله ذاك العهد ، فهل انت هو يا توفيق ،
فان كنت ذاك فابعث الي بعنوانك فلي كلمة اسريها اليك .

والعدد السادس حافل كأخويه بالشعر الطلي والمباحث المفيدة التي تنم عن مجاهدة مستمرة . امد الله الاستاذ حبيب مسعود مدير العصبة بصحة وعافية ، واخذ بيده ليثابر على عمله النبيل ، وحيا الله اخوتنا في وطنهم الثاني ، ولا اقول غربتهم فمن كان هذا شأنهم فكل بلاد الله ارضهم ، والعربي مطبوع على الفتح .

اما شكر الله الجر ذاك الكناري الفصيح فما قرأت له شيئا في (العصبة) . اتراه اكنفى وترك سربه ليغني وحده كأنه نسي ان الطيور على اشكالها تقع .
واخيرا لا بد لي من رأي ابدىه باخلاص للشاعر القروي صاحب (شرر الفكر) في هذا العدد ، فتوله :

رباه اني قد عصيتك عامدا لاراك اجل ما تكون غفورا
ولقد جنيت من الذنوب كبارها ضنا بعفوك ان يكون صغيرا
رحمن بليغ لا يمكن سبكه في قالب ابدع واجل ، ولكن الفكرة طريفة اجيال ودهور ، فمن عهد الخيام واني نواس حتى زمن اسمعيل صبري امس ، وهي تدهور في حناجر الشعراء ، الاخيار والاشرار منهم . اما قائلها الاول الذي لا كها ومساها أي مس ولم يترك الا المجاجة فهو افرام السرياني الشاعر الصوفي العظيم في عرفي ، والتنديس الطاهر وملفان البيعة في عرف الكنيسة . ليت المقام يسمح لي فاترجم لك كثيرا من اقواله لترى كيف كان يتغنج ويخاطب ربه بلا كلفة ، اي SANS INCONS كما يقول الشيخ فولتير ، ولكنني لن احرمك واحدة منها وهذه هي : (ان كان العبد بلا خطيئة فمن اين تعرف رحمة السيد ، ارحمني يا الله الخ) .

أرايت الغنج والدلال ، أيقنت ان الله ، جل جلاله ، سبحانه وتعالى ، طويل البال واسع الصدر ما انتعر ولن ينتعر احد من عشاقه الكثيرين ، وسيعفو عنك عفوا كبيرا يليق بعظمته وجبروته . وبينما انا احاول ختم حديثي بالنبي هي احسن عن رواد ادبنا الحديث ودعائه في العالمين ، وقد ادهشني اخلاصهم للفتهم ، اذا باحد تلاميذي — عراقي — وقد بلغه اني لزمت غرفتي لعارض فأتاني عائدا ، فتجملت في محادثته هنية ، ثم عدت الى شغلي واخذ هو الاندلس الجديدة والعصبة واما الهول وقلب اوراقها ، وما كاد ينتهي من استقراؤها جميعها استقراء عجلا حتى اعجب بعروبة

اصحابها وكتبتها وقال لي بنهجته العراقية : هلقدّ عرب ، أي أهم عرب بهذا المقدار قلت : نعم وزيادة.

وهكذا ايد التلميذ معلمه ، واحسن ختام مقاله من حيث لا يدري .
وعندما قرأ الاستاذ جب هذه المقالة بعث الي بهذه الرسالة ، وهي ليست أولى رسائله ، وقد آثرت نشر صورة لما ليقدر للقارئ العربي همة واعتناء هذا العلامة الكبير بآدبنا العربي الحديث .

SCHOOL OF ORIENTAL STUDIES.

VANDON HOUSE,

VANDON STREET,

LONDON, S.W.1.

Telephone : WHITEHALL 4735.

Telegrams : SOSLINST, PHONE, LONDON.

في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٦هـ

سيدي الاستاذ المحترم

أعترف بتقصيري في حقكم وأُتسرع
الى تدارككم ، ولا عذر لي الا ان شتى المشاغل
قد حالت دون متابعة دراساتي في الادب
العربي الحديث مع شدة اهتمامي به ، حتى
عضوية المجمع اللغوي لأن غيبيتي السنوية في
مصر والقيام بأعماله يضطرقني الى مضاعفة ما
على من الأعمال المدرسية في لندن وكذلك
منعني من الزيارة المنشودة الى لبنان .

وقد تسلمت ، ولكم مزيد الشكر ، مقالكم
 الأخير في الادب العربي في برازيل وقراءته
 بكل اهتمام لا سيما وليس لي معرفة شخصية
 بالأدباء هناك ومجتبائهم . وقد شوقني
 ما كتبتم فيهم الى الحصول على ^{بعض منها} بعضها ،
 و - أحاول ذلك لأدرسها في الوقت القريب .
 الا انه لا يمكنني ان اوافقكم فيما قلتم
 عن الاستاذ كراشكوكي ، فانه باحث
 جليل القدر في الأدب القديم والادب الحديث
 قد تفرغ له من ثلاثين سنة وعندما
 ابتدأت بدراسة الاذب الحديث اتصلت
 به كتابة وانتفعت كثيرا برسالاته
 ومقالاتها وارشاداته ، وما يجوز ان
 يقر به لكم انه تخصص بدرس الادب
 اللباني وأراه شجعنا بهذه الساحة .
 وختاماً ارجوكم قبول هذا الرسم
 مني مع تحياتي واحتراماتي ،

تفضلتكم

جبران خليل تقي الدين !

قرأت في جريدة (المكشوف) الغراء مقالة (جبران خليل جبران كما افهمه)
للشيخ خليل تقي الدين ، فخلته يحدثنا عن طهرا بك الفقير الهندي الذي جاء بيروت
منذ اعوام وعمل العجائب . او عن (مغربي) حاز الدكتوراه من (مغارة دانيال)
التي ينفج بابها كل عام مرة كما يقول الناس .
اجل ، ان جبران خليل تقي الدين احببة لا تفك ، فكأنه في مولده عمرو بن
كلثوم ، وفي موته امية بن ابي الصلت .
ولماذا لا ، لم يقل الصديق خليل في جبران : فاذا مولده مطلع عهد جديد ، واذ
وفاته تاريخ !

ما هذه الحياة يا استاذ !! جبران بشر مثلنا ، ولد في بشراي من ذكر وانثى
(سنة ١٨٨٣) امه (كامله) بنت الخوري اسطفان رحمه ، وهي ارملة لا عذراء...
ام زوجها الاول حنا عبد السلام رحمه ، واسم الثاني خليل جبران (سميك) . لا
ادري من اوحى الى الشيخ يوسف توما البستاني تلك الكلمة التي كتبها في مقدمة
(البدائع والطرائف) عن مولد جبران ، (ويقال بل في بومباي الهند) ، حتى جعلها
مخائيل نعيمة مفتاحاً لقبر صديقه جبران ... لست اعني ان نعيمة اساء الى جبران
بقوله عنه : انه حب واحب ، ولا فيما خبرنا من قصص ، فليس جبران ذا طبيعتين ..
اما كلام جبران ، وهو موضوع بحثنا ، فعربي مفهوم ، اما كيف يحقق على الشيخ
خليل ذي العقل الراجح ، والنظر الثاقب فهذا ما يحيرني ! لقد حيرني تحويم الشيخ
ودورانه ، وهذا النجاهل ، وتلك الالفاظ الضخمة الطنانة التي انعم بها على جبران

بلا كيل ولا ميزان : سر من الاسرار ، نبوغ ، عبقرية ، رسالة ، خلود ، نبى ، رسول ، فيلسوف ، الغاز ، رموز ، وهلم جرا . فكان جبران هندي حقاً ومن مواليد بومباي ، والشيخ ، ايده الله ، يريد ان يقلده عقداً من ازهار بستان اللغة ... انا قلت : ان جبران اسلوباً عربياً معروفاً كالعزة اليلقاء . وجبران تلاميذ في كل قطر يقرأ ابجد ، هوز ، حطتي ، وبسم الله الرحمن الرحيم ، وطوبى للوجل .. اقرأ ما كتبه (حجازي) في رسالة احمد حسن الزيات (عدد ١٤٩ ، ص ٧٨٤) عن النهضة الادبية في شبه جزيرة العرب ، فصاحبها يعترف بانهم كانوا تلاميذ المدرسة الجبرانية قبل ان (يرتدوا) ويتلمذوا للمدرسة المصرية التي ناهضت مدرسة جبران باسم الثقافة الاسلامية ، كما قال المتشرك (جب) . وقد نشرت السيامة الاسبوعية هذا الزعم بكل فخر (عدد ٢٠١ ص ٢) . فلماذا نتجاهل هذا ونحاول تحديد جبران من الجهات الاربع ، كاننا نكتب فيه صك بيع .. ان بحثنا لم يتعد الاسلوب الجبراني ولم نسأل مجلس المعارف الاعلى الا وضع صاحبه بين اصحاب الاساليب ، فكان ما كان مما لست اذكره ...

اما زعم الشيخ انه قال في ذلك اليوم وتلك الساعة : ان جبران خليق بان يدرس في كلية من كليات الاداب ، فذكرني قصة رجل عزل عن وظيفته فعاد في امره حين سقطت سلطته ، وقد تعود الامر والنهي ، فاشترى بضعة اباريق صفها امام داره لعابري السبيل ، فكان ان تناول احد منهم الابريق العتيق امره باخذ الجديد وبالعكس . اين كلية الاداب هذه يا شيخ ، اكلية (عليك) ببومباي حيث ولد جبران .. ثم رأيتك ترجع وضعه في منهاج الفلسفة لئلا يغضب اذا لم ير اعمى المعرة ... فحنانك يا شيخ ، انا نشرب بالابريق الذي تنقيه لنا فاسقنا ... انما بغير الوعد يا كيون .. الا تذكر وعد عام اول .

لا اخالك تنسى كم ناقشناك ، وكم سألناك ، حتى ناشدناك ملتسين (صفو الخاطر) على الفقيد الكريم ... فما رحمته ولا تركت احداً يرحمه .. وهكذا اصطلحت الاضداد في تلك الساعة ، على روح جبران كما اصطلحت من قبل على جسد الجاحظ .. والان فلامر مرأ خفيفاً بنقط لا بد من ايضاحها تفتيداً لما كتبه اثباتاً لغموض

جبران . قات : ان مخائيل نعيمة الذي عرف جبران وآكله وشاربه ارام ، وتراب جبران لا يزال مبللا بدموع الباكين ، انه رجل مادي يبيع بالمال كل شيء حتى جسده ، ويشترى بالمال كل شيء حتى الحب .

اسمح لي ان اسألك : ما علاقة هذه الحكاية بادب جبران واسنوبه .؟؟! هل خبرك احد انني اطلب (تطويبه) قديساً ! ثم من يدري ، فقد تكون توهمت ذلك حتى قلت بعد اربعة اسطر : فاذا مات — اي جبران — ارقده رجال الدين في ظلال الارز الخالد ، وجعلوا قبره حجة ومزاراً ، واذاؤوا من حوله الشموع ، وقصدوا التراب الذي ضم رفاته ثم دعوا المؤمنين لزيارته على انه قديس ..

على مهل يا شيخ ، لقد استعرت قلم غبريان شام ، وبيار بنوا ، فكانك من اولئك الكتاب الغربيين الذين يزورون ديارنا ويقولون علينا مثل هذا . فوا عجباً لك وانت اللبناني الصميم ، ورئيس ديوان المعارف اللبنانية ، كيف لا تعرف ان رجال الدين لا يقدسون حتى البايوات والبطاركة !! ان الشيوخ الاجلاء عندكم — الجويدين — لا يرحمون من في حياته اقل شبهة ، والمسألة في ايديهم ، فكيف برجال الدين عندنا ويدم قصيرة عن هذا ؟ ان مسألة تطويب القديسين مسألة شرحها طويل ، واليك مثلاً يجنو لك الكثير من غوامضها :

حكيم ، والله اعلم ، ان المجمع الروماني حال دون تطويب احد الرجال الصالحين حين ثبت له بعد بحث مئة سنة انه كان ينشق العاطوس مثلي . ارايت ما اصعبها خطة وما ابعدني عنها ...!

اما قصة جبران فهناك حديثها : في صيف سنة ١٩٣٠ زرت بشري وحدثت الخوري فرنسيس رحمه وشبل بك عيسى الخوري ، والشيخ خليل صادق بامر شراء دير مار سركيس ، ليكون مأوى لجبران في اخر العمر ، قابى الراهبان الكرمليون بيعة . وبعد شهور مات جبران عن تلك الوصية التي خاب امل مخائيل نعيمة فيها ... ففر المال الراهبان ، والمال غرار ، فباعوا الدير — بل الكهف المهجور — ونام فيه جبران الى يوم يوقظه بوق مخائيل .. او حين تلده امرأة اخرى كما توهم في نبيه ... ان كل ما يتسنع به جبران من احترام وتكريم لا يد لرجال الدين فيه . فلو مات

جبران فقيرا لما عرف احد ابن قبره حتى ولا الذبان الازرق... نحن في امة تعرف
اقدار التوابع ! ولزيادة الايضاح راجع غير مأمور رسالة البطريق الياس الحويك
تعزية لبشري بفتيدها جبران ، فهي لا تتضمن العبارة (التقليدية) . كل هذا يثبت
لك ان لا يد لرجال الدين في كل ما صنع ويصنع لجبران .

كتب واحد — من غير رجال الدين — فوق ضريح جبران بنور الكهرباء (هنا
يرقد نبينا جبران) فامر باصلاحها قاطاع وصارت نبينا (بيننا) . واراني مضطرا
ايضا الى تنفيذ زعم اخر وهو قول الارشندريت بشير في مقدمة النبي : ان جبران
مرشوق بالحرم الثقيل . فلا ثقل ولا خفيف ، ولا كبير ولا صغير ، فلو كان جبران
محروما لما صلوا عليه .

ما هذه المصيبة ! ما انتهينا من اصلاح « سنكسار » جبران المخرفش حتى اصطدنا
بغفه التصويري . ليقبل الشيخ في هذا ما شاء ، فماذا يعني مثلي من (الفنون الجميلة) .
هذا وقد وصلنا الى عبارة تمس موضوعنا قال الشيخ : « وقرأ كتبه — اي جبران —
فاذا العربية منها خليط من مقالات كتبت لمناسبات معلومة ، وروايات املتها عاطفة
الشباب ، بعضها يمت الى الادب بصلة ، وبعضها يمت الى الفلسفة بصلات » .

كيف تكون الروايات والمثالات با ترى ؟ ومن يكتب غير متأثر بحال من
الاحوال ، بل من يطلب من الكاتب ان يصير جنيا حين يكتب ، فلا يحس
ولا يشعر .

ثم قال : « ولكن اكثرها لا يجعل من جبران الاديب الخالد والفيلسوف صاحب
المذهب المعروف » اذن بقي قسم صالح من ادب جبران : وحيث انه لا منهاج في الدنيا
يدرس الكاتب جملة ، فلينتق لنا جناب الشيخ هذا (البعض) وبهذا يكون حل جزء آ
من مسألة جبران الهندسية ...

اما زعمه ان جبران هدم بعض الاسس التي قامت عليها اللغة ، فوالله لم ادر بعد
ما هي ، فهل من يدلنا عليها وله اجر وحلوان ؟

فان كانت الاخطاء النحوية والصرفية واللغوية ، فلجبرير والفرزدق وهر وبنار
واي تمام والمنتبي وغيرهم خطيئات ما زال بنونا يتحملون عقابها كالخطيئة الاصلية ...

وان كان يعني الاسلوب او التعبير فكتاب الله — القرآن الكريم — نذ اساليب
الناس وتعايرهم العتيقة الخشنة حتى قالوا عن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، انه
ساحر مجنون ، وشاعر مفتون . فهل فينا اليوم من يشك في ذوق الله ، تتقدس اسمه ،
كما فعل ابو جهل وابو لهب . ابضير جبران خروجه من صيرة القدماء ؟ اما فعل ذلك
غيره من مجددي الكتاب في الامة ، هذا هيفو الذي ندرسه في المنهاج ، ألم يقل :

Je mis un bonnet rouge au vieux dictionnaire .
Plus de mot sénateur ! plus de mot roturier !
Le mot propre ce rustre
N'étant que caporal, je l'ai fait colonel .

اما كفانا هذا الجلود احتقياً ، فقد اساء الناس الظن بالعقلية العربية .

اما قولك ان جبران قد يكون فكّر ان يكون نبياً ، وما عليه لو فكر ، ألم
يفعل ذلك المتنبي ، ثم من يقاص الناس بخطيئة الفكر غير الله ؟! هذا نيتشه الذي نحا
نحوه جبران في زبیه ، لم يقل انه صار الها الا ساعة خرف ، فأخذ يصابح كل من يعرفه
قائلاً له : فلنغتبط ، اني اله .

اما جبران فلم يخرف ولم يقل شيئاً من هذا . وكأني بالدكتور فيليب حتي ، وقد
رأى الناس في حفلة تكريم جبران يسمعون كلمته واقفين ، خاف عليه من هذا
التعظيم الفائق فقال له ما قال في تلك الساعة ، فمثل دور (اليوناني) الذي كان يمس
في اذن البطل ساعة تأليهه قائلاً له : لا تنس انك انسان .

اما الكنيسة التي تليت فيها كتب جبران كالكتب المقدسة فهانئك مرشح لا
كنيسة ... ايصديق الشيخ ، جزاه الله صالحة ، قول نعيمه عن بيع جبران جسده
بالمال ، ولا يصدق حين تكلم عن هذه الكنيسة المجنونة !

ثم قال : « وبعد ذلك يقوم صديقنا مارون عبود — اذكر جيداً اني قت ولم
انكلم بقاعداً — فيعجب كيف لم يدخل اسم جبران في منهاج الادب العربي في
الباكالوريا اللبنانية ، وادخل فيه اسم المنفلوطي ، وحقنا نحن ان نعجب من هذا » وبعد
ان يبين ان لا شبه بين المنفلوطي وجبران قال : « ألا يعلم الصديق ان منهاج الادب
توضع لبيان تطور الآداب في سيرها نحو الكمال » .

قلت : بلى . علمت شيئاً وبناء عليه طلبت تدريس جبران لانه اخطر حدث ادبي في تاريخ نهضتنا الحاضرة ، فلا يشق عليك ايها الصديق ولا على شيخنا المنذر ان قلت لكم ولكل من يقرأ : ان عمل المنفلوطي لم يفتق عمل من يجلو الصدا عن حوائج البيت المعدنية ... وان كل ما كتبه هامد همود القبور ما خلا بضع مقالات تجول فيها الروح جولان الهر المنازع في جراب ... اما التجديد فلا اشرك المنفلوطي فيه ولا بسهم ، لانه مقلد للاقدمين يغتش عن خريثهم ، ويحسب الفن كله في العبارة المصقولة . وفي فقه اللغة ، والالفاظ الكتابية ، ونجعة الرائد ، ومعين الشرطوني ، غنى للتلميذ عن المنفلوطي . وبرهاني على ما قلت اخذه ترجمة فرح انطون لبولس وفرجيني ، فرمى برنودين وفرحا بجرج واحد ، وكذلك فعل بقصة جبران (صراخ القبور) ، فخلق فن جبران ولم يفهم خطأ واحداً من خطوطه ، فكان كصانع احق ينقض على النشال يهدته ليجعل منه زاوية للهدم .

ثم قلت ان المنفلوطي (قدم للادباء الحقيقيين قوالب مصنوعة بيد صانع ماهر) اما انا فاقول : وهل يستعير الاديب الحقيقي قالباً من عند احد ؟ ومتى كانت الروح تخلق قبل الجسد او بعده ؟!

ليس الكاتب الحقيقي من يخلق الاجساد ولا يستعيرها ؟ والا فهو كالاسكاف وغيره ممن لا غنى لهم عن القالب . ان الخياط الاستاذ لا يتقيد بالهنداز ، وان فعل فما يخيظ ثوبا مهلهماً بل قباء كالذي خاطه عمرو لبشار .

ثم قلت ان المنفلوطي « كصانع الاقداح يصب الزجاج ويلونه وعلينا نحن ان نلأه بالراح » ليس الاولى بالاديب والحالة هذه ، ان يتشبه بالراعي الذي يكرع من النهر والعين ويترك طامسه الزنخ .

وبعد ، فلا تسم هذه الاباريق والاكواز والدوارق والصحون اقداحاً ملونة ، فيتسرب الشك الى نفسي فيك ، فلا تززع ايماني ، اما ولع في هذه التصاع مليون لسان ؟ اما مستها مليون شفة ؟ ليس هذا ما ندعو اليه ابناؤنا . اما اذا كنت تريد ان يلهو ابناؤنا هذا الجيل بالقشور فاوصهم براءة « افتتاحية » احمد حسن الزيات في

وسالته ، فيشبعوا من هذا الخروب حتى البشم ...

ولما عرضت لما وقع سنة ١٩٣٣ في مجلس المعارف الاعلى قلت : وضعنا موضع البحث اسم جبران ، فقال هذا العاجز . الا ترى ان هذا العاجز « منغلوطية بل اقدم عهداً ، انها تستاهل الجواب المألوف : كلك خير وبركة ، فلماذا هذا التواضع العميق يا شيخ شباب الادب !!

اما قولك اخيراً « وليس من مخرج لنا من هذا المأزق الا ان يتقدم صديقنا مارون عبود باقتراح يرمي الى ادخال الارشندريت انطونيوس بشير في منهاج البكالوريا وعند ذلك تنحل العقدة ... »

الله كريم يا شيخ ، ولعل من عقد الامور بحلها ، فليتك تصير جبران ، ويترجمك الارشندريت ...

وبعد فاراك تتغنى كثيراً بالقصة ، الم يعجبك شيء من قصص جبران ، اليس بين قصصه العربية قصة تستحق الدرس ؟؟ فلماذا تزدري خلف جبة المطران انطونيوس بشير ، وتتلطى وراء « لاطيته » ؟! ما لنا ولادب جبران الانكليزي فنحن نبعث ادبه العربي واسلوبه وما فيه من فن ، فلماذا المغالطة ، هات الحديث فاما ان تشايعني فيه او انني اشايحك عليه .

اما جبران فهالك رأيي الصريح فيه : هو فيلسوف يلبس مطرف الشاعر وطيلسان الاديب . وبكلمة اوضح جبران فيلسوف في ادبه ، وادب جبران فلسفة ، والعنصران متحدان في كلامه اتحاد اللون والعطر في الزهرة المنمنمة .

حاشية : ايها القاريء الكريم ، لا تتوهمن بعد قراءة هذه الكلمة ان جبران لا عيب فيه ، ففي جبران من العيوب ما في كل اديب خطير ، ولكن لا تنس ان جبران من افراد الجيل « العالمين » الجديرين بالنقد والتقدير ، وان ضاق عنه منهاج البكالوريا اللبنانية فعسبه رفوف مكاتب الادباء في العالمين .

لقد عاد جبران الى خاصته وخاصته لم تقب له ، وكذلك النابغة يزعم معاصريه لانه لا يساير الجماعة كما قال جورج سوريل .

حول عكاظ المحكمة

كتاب ابراهيم المنذر

الجمهورية اللبنانية — مجلس النواب

اخي مازون ،

اجدت امس كما اجدت في بعض ما كتبته قبل امس ، شأن كل كاتب وناقد يصيب احياناً ويخطيء احياناً ، وقد خرج الخطباء على الاثر من الحفلة فحينئذ لم تخرج معهم فنحبيك .

اما جبران فقد اصبحت في ما ذكرت عنه ولكنك اطلت وطلبت ما ارجع ان المدرسة لا تجيبك اليه ، ولا شك انك تذكر اني كنت واياك في جانب جبران وزيدان في لجنة المعارف فلم تغلغ . ولا يعني اتصارنا لجبران انتقاصاً من قدر المنفلوطي ، فان اسلوبه في الانشاء (العربي) يفوق اسلوب جبران ، ويجب ان نضم الرجل الى ناشري لواء البلاغة والتهديب في الشرق فتوذلك (ان اللجنة ابدلت المنفلوطي من جبران) فيه تحمير للمنفلوطي ، ولا اظنك تعني هذا بل تعني وجوب وضع جبران في مصف الكتاب المصلحين في منهاج البكالوريا .

واما حملتك على شعراء العصر في التهاني والترحاب والاستقبالات فحيلة مردودة لان كل شاعر مهما علت منزلته في مثل هذه المناسبات مضطر ان يقول كلمة شكر ، ولا تكون كلمة الشكر آية من آيات الفن والخيال والتصور والابتكار .

وهناك ابيات كثيرة من غير هذا الباب فسرتها يا ابا محمد بغير ما يريد صاحبها ،
او شرحتها باستهزاء والمعنى فيها مقبول مأنوس ، وليس بالصعب على كل ناقد ان
يزدري قول اعظم شاعر منهم كما ويجعل الفاظه مبتذلة ومعانيه مسروقة .
بقيت المحاسن يا مارون ... اين هي ، فقد يكون للشاعر بيت في قصيدة يعادل
قصائد — ويظهر انك تريد ان تدم البيوت على اربابها فتقتل جميع ما فيها ، وكم هنالك
من كنوز تضيع تحت الانتقاض ، وليس هذا عمل النقاد المنصفين .
احبيك وادعوك لك .

اخوك المنذر

بيروت — ٤ - ٥ - ٣٦

الجواب

الجامعة الوطنية — عاليه ٧ - ٥ - ١٣٦

اخي وشيخي ابراهيم

لا انسى يوم كنت تشجعني فتى — عفوا ما عانيت انك اسن مني كثيراً ... —
ولكنني اذكر بلذة اياماً كنت امر بها على (مكتبتك) فتبسم لي واعدها نعمة ، واني
لا ازال احرص على رضاك الغالي جد الحرص .

قلت في كتابك الكريم المفتح بهذا التعبير ، فلا حيا الله ولا سلم الله : (اجدت
امس كما اجدت في بعض ما كتبه قبل امس شأن كل كاتب وكل ناقد يصيب احياناً
ويخطيء احياناً ، وقد خرج الخطباء على الاثر من الحفلة فحينئذ هم ولم تخرج معهم
فنعبيك) .

لم اخرج مع الخطباء لان همي قليلة فسبقوني ، واكتفيت بنسليمي عليك ، سلام
الاحباب بعد الغياب ، قبل ان صعدت المنبر ولم يدرك في خلدي قط اني غير حاصل
على رضاك . اما الاصابة والاجادة فحسبنا منها الافادة وانهاض ادبنا المقعد ما نستطيع .
اما الخطأ — والعصاة لا ادري لمن — فليتك تدل عليه ولك من الادب اجر
غير ممنون .

يا شيخنا ،

حمل الي استيائك وبلغني رسالتك الشفهية بل نصيحتك الاخوية ، من حملته اياها ، فشكراً وعذراً وان كنت تأمر فقطاع ، فانا ماض في سبيلي ، فادع لي بالتسهيل ... فان تقدمت بهذا الادب خطوة صغيرة بلغت اقصى الاماني فانا رجل قنعان .

اما قولك اني اصبت فيما ذكرت عن جبران فلك الشكر على ذلك مني ومن نزيل وادي قاديشا ومجاور الارز . واما اني اطلت الكلام عنه وطلبت ما ترجح ان المدرسة لا تجيبني اليه فجوابه : اتنا في زمن (مطالبات) او لستم كذلك في المجلس ؟ فان فعلت المدرسة احسنت ، والا فلا حرج عليها . الزاد زادها تأكل منه ما تشاء وتطعم ما تشاء ، كما قال معن بن زائدة للاعرابي .

ثم قلت لي (تذكر اني كنت واياك في جانب جبران وزيدان في لجنة المعارف فلم نفلح) . اني اذكر ذلك ولا انساه ، وقد اشرت بقولي : ولم يبق في جانب جبران الا المتهمون في دينهم مثله . اي انت وانا ومن لف لفنا ...

اما اني قلت (ان اللجنة ابدلت المنفلوطي من جبران) فما هكذا قلت ، بل : وهكذا اقر المنفلوطي في المنهاج ونفي جبران من وطنه الذي يردد كل يوم :

ملء عين الزمن	سيفنا والقلم
ارزه	رمزه للخلود

اما ان اسلوب المنفلوطي يفوق اسلوب جبران ، فانا لا نتفق في هذا يا شيخ ، اتنا نريد غير هذا الكعك ، اغا من العجين ، وبكلمة اوضح قد قررنا خبز المثة ... ثم نقول لي (واما حملتك على شعراء العصر في النهائي والترحاب والاستقبالات فعملة مردودة ، لان كل شاعر مهما علت منزلته مضطر في مثل هذه المناسبات ان يقول كلمة شكر ، ولا تكون كلمة الشكر آية من آيات الفن والخيال والتصوير والابتكار) .

اغتن - وبعض الظن اثم - ان هنا (التخصص) يا استاذ ، فان شئت رأيي في شعر القرح والترح فاليك : ليقبل الناس الترحيب والتهاني والتعازي نثرأ فهو خير من هذا الشعر الدميم المقرف . وان وفق الشاعر الى ابداء عاطفته بفن وابداع

فليقل شعرا . اما متى قال شعرا مثل هذا الذي نقرأ فليطمره ، ولا يدع الهرة افطن منه كما قال البديع للخوازمي .

ثم قلت — وارك تقول كثيراً اليوم — « وهنالك ابيات كثيرة من غير هذا الباب فسرتها يا ابا محمد بغير ما يريد صاحبها او شرحها باستهزاء والمعنى فيها مقبول مأنوس ، وليس بالصعب على كل ناقد ان يزوري قول اعظم شاعر متبكها ، ويجعل الفاظه مبتذلة مسروقة »

اما اني فسرتها بغير ما يريد صاحبها فلا اظن ، اما شرحها باستهزاء فهذا لا شك فيه ، ولكن هل ينسري هذا الاستهزاء اذالم تكن الالفاظ والمعاني مبتذلة .. اما السرقة فاظني قبضت على مرتكبها متلبسين بالجريمة ، اما المعاني فاعترف لك اني ما عدت اقنع منها « بالمقبول » ولا اغضب نفسي عليه .

اسمح لي ان اصارحك بما في نفسي يا سيدي الشيخ ، يظهر انها قصة الباذنجان .. لا قصة منفلوطي وجبران ، وانك لمروان كما قال علي لعثمان .. ليتك تفقأ هذه الدملة فتستريح .

ثم قلت :

« بقيت المحاسن يا مارون ... اين هي ، فقد يكون للشاعر بيت في قصيدة يعادل قصائد »

اظن انني اشرت الى بعض المحاسن يا استاذنا ، ولكن يظهر ان ما يسرك منها اكثر مما يسرني ، وانا لا استطيع ان اري الا بعيني ، وهي ضيقة كما يقول الناس ، ولا تكبر الاشياء .

واخيراً قلت :

« ويظهر انك تريد ان تهدم البيوت على اربابها فتقتل جميع ما فيها ، وكم هناك من كنوز تضيع بين الانقاض ، وليس هذا عمل النقاد المنصفين »

لا يا شيخ — يقطع السم — ترو قليلا ، هل النقد في عرفك هدم ، وهل هدمنا حتى الان غير اكوخ عششت فيها البراغيث والبقي والخنافس ؟! ما هدمنا بعد يا شيخ

غير اكواخ خشبية جريا على قوانين « البالدبات » الحديثة . لينك تسي من تعني
لنحول جولة حول هذه (الرسم) فتوافقي على هدها ، رحمة باولادنا ، ولا يؤثر بقلبك
الرفيق عويل اصحابها ..

سيدي الشيخ .

حييت ودعوت في ختامك ، ولم تقبل وتصافح كعادتك ، اما انا فحالي معك لا
تغير ، وهي دائما على حد قول شاعرنا العامي القديم :

لمن بشوفك بنفمظلك من بعيد وبستحي سلم عليك بفرد إيد .

واخيراً وكأني بالغضب قد ضيق صدرك الواسع فطويت كتابك على البطاقة التي
سطرت عليها ما يأتي : (اذا شئت يا اخي ان تنشر هذا الكتاب وتجييب مما فيه
فلك ذلك)

لييك يا شيخ والامر لك ، ها قد فعلت ، وشرطي في الامر الا تقف ، وان تصرح
في الاتي ولا تلتج ... والسلام عليك من اخيك .

مارون عبود

لذكرى جبران الخالد .

الى حضرة الاستاذ حبيب ابو شهلا وزير التربية الوطنية .

اما وقد نسخ الاستقلال شعار منصبكم الخطير ، فراح وزير المعارف وجاء وزير التربية الوطنية ، أفترجو تنسيقاً جديداً في منهاج البكالوريا اللبنانية ؟ ام نظل ندرس فتياننا ما ينعتهم ، فيرون وجهنا كوجه الناعي !

ان الجديد في هذا المنهاج فلتة ، فأكثر شعرائه وكتابه من طراز واحد . نفتتحه بامريء القيس — اول من بكى واستبكى ، وقيد الاوابد — فنبحث معلته بيتاً ميتاً لنذل طلابنا على ما ابدع ونفهمهم خطة الشعر العربي .

وتغفل في الانجاد والصعاري والبطاح فيقبل علينا زهير ، ابو من ومن ومن ، وريب اوس المقعد ، فتكبح (سئت تكاليف الحياة ..) طموح الشباب ونكرهم العيشة قبل العشرين . ونتركه يتبعج بحصكة مبتذلة يضحك بعضها الاطفال ، فيلاقينا طرفة الشاب على ناقته فيصفها لنا من رأسها الى ذنبها حتى يقتلنا الضجر قبل ان يدعونا الى (كأس روية) وتبيري لنا قينته ونرى نداماه البيض كالنجوم ... فنقول شيئاً غير ما قلناه في زهير وامريء القيس .

ولا نخلص من هؤلاء حتى يطل علينا عنزة على ناقته (اولاً) ويبادينا كالثلاثة السابطين ، في استنطاق دار عبلة بالجواء ، وينزل ذلك الحر الطازج عن ناقته نيركب جواده ويكر ، فيشكو الحصان بعبرة وتحميم ، وتلين نفس عبلة العتية امام البطل العطب بأخذ الفارس المستلثم .

وعلى حدود العصر الجهلي يلاقينا النابغة المزدان من وجه ابي قابوس فينشد في

البقاء وقلبه في الحيرة . فهؤلاء خمسة في واحد لو لا فرق زهيد لا يساوي تعب الاستاذ وتلاميذه . فهلا نكتفي بتدريس اثنين ثلاثة منهم ، وان قلنا الحق : فاثنتان يشان . ونبلع صدر الاسلام وهو اعظم عصور تطور الادب فتسلك بالفروع وتترك الاصل . ندرس الحجاج بن يوسف ، وعبد الحميد ، وحجتنا (بدت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد) وعلى الدنيا السلام ...

ثم تشرف بزيارة البلاط الاموي فنرى هناك ثلاثة فحول يتناطحون ، وملوكا وامراء يتلهون في قارهم . نرى الاخطل والفوزدق وجريراً ينبشون قبور القبائل ويمزقون الاكفان ويصلبون الموتى على مصليات الطرق ، فننظر كارهين الى تلك المقابر المفتحة ونطمها آسفين ، موصين طلابنا باحترام كل دين ، لاقبين نظرم الى شرهم الانساني فقط ...

ولا نتنفس الصعداء حتى يطلع ابن ابي ربيعة (يعدو به الاغر) في ميدان الشعر الحي فتطيب نفوسنا اذ نرى الشعر يقلع ثوبه العتيق ويلبس جديدا .

ويتمد ظل الزمان فنبلغ العباسيين ونرى ابن بره الاعمى بصيراً بالفن ، يقعد القرفصاء بالبصرة ويرسل شعره طيراً ابابيل ، وحجارة من سجيل . ونشهد ابانواس مقبلاً في ظل كرمة يستعرض القدماء البائسين الباكين ويكركر في الضحك . فنمجد الفن في شاعرين ظريفيين : خفيف وثقيل ، أحسا الحياة واحباها فجعلها شعراً نسانا شهوراً سوداء الجبين .

ولا نفارق هذين الشاعرين حتى نعيد سيرتنا الاولى ، فنرى ابا تمام والبحتري وابن الرومي . ان في الطائي غنى عن الكبير ، اما ابن الرومي فيشفع تصويره في تعبيره .

ونطوف مع المتنبي في الامصار فيسمع المعلم والتلميذ ما يرضيها ، فهيم اسابيع — كل يغني على ليلاه — حتى نستيقظ على صراخ النواحة الاسير في (رومياته) فتستلي العرقة بكاء بليداً ، ولولا « رائيته » لفظسنا . فما دعا هذا البكاء الجردان الى محضرتنا ، الا قول حسود : « يدى الشعر بملك وختم بملك » . وينتضي نواح ابي فراس فيتلوه غناء الاندلسيين فتشجينا الغام موشحاتهم ، ونرى صورة حياتهم تتحرك امامنا .

ويجيء النثر فنرى ابن المقفع في كلية ودمنة يعلو ويسفل كالملكاء ، فنقول ما يحضرنا في أسلوبه ، وحسبنا منه انه عدل عن سجع الكهان وفصل الكلام ثياباً للأفكار . وننسى التعب اذ يواجهنا الجاحظ ، ابو الطرف الكحيل ، يحمل على لسانه ادباً نابضاً في كلام راقص ، فنمرح في مقاصيره وجناته التي تجري من تحتها الانهار فيهزنا الفكر يزهو بثوب النكته الشفاف .

وننتقل الى مقلده بديع الزمان فخرناح الى ادبه الشخصي ونعذره على تقليد باري فيه معاصريه . ثم ننتقل الى الحريري — شيخ لنا من ربعة الفرس — فينص الصف وليس على الاستاذ الا ان (ينتف عشونه من الهوس) ويرفع الصوت جهرة ، ولا بأس عليه من آية انكر الاصوات... فهو ان لم يفعل يرقد تلاميذه رقدة اهل الكهف ، ونختم درس الكتاب بالترحم على الجاحظ الذي خلق أسلوبه الاصفهاني وكتابه الاغاني ، خزانة الادب العربي .

اما ابن الاثير ، وحظه قليل من المدرسين والدارسين ، فما اخرجنا الى درسه ، فهو مهذب الذوق اللفظي ، واستاذ نقد بصير بمواضيع الكلام ، وان نفخنا ادعائه ، فالصبر جميل ، ولا سيما ان ازمة البكالوريا كادت تقتل الانشاء فامسى الطالب وليس يمه الا (المنهاج) ليحمل شهادة .

ونشرف على النهضة الحديثة فنرى على قتها احمد شوقي وفي يده كتابه مرآة العصور السالفة كلها ، فنرد الكثير من شعره الى اصحابه ، ونذل على ابداعه ، ونلهو واولادنا بمسرحياته اباما ، ثم نتركه لتزور بضعة نفر من اضياف المنهاج : اليازجي والبستاني والمنفلوطي وولى الدين ، فنرى الثلاثة يقلدون القدماء ولا يزيدون الا حقلاً وتقليساً ، ونرى عند الرابع تجديداً استمدته من نفسه الحانقة لا من جملته ...

وهكذا نمسح ايدينا من تراب المنهاج اللبناني الذي يستغنى عن نصفه ويظل حملاً ثقيلاً ، لا نسع ذكر لبنان الا مرتين عند المتنبى ، حين رأى جبلنا من خلف ، وعند شوقي في قصائد انطقته بها المآدب والاوسمة . هذا في القسم الاول ، اما في القسم الثاني فلا شيء من هذا ، فلبنان شاعر لا فيلسوف ... فكيف تكون البكالوريا لبنانية ونوابغ لبنان مطرودون خارجاً .

اين زعيم النهضة جبران خليل جبران ، جبران الشاعر النثر الاديب الفيلسوف ،
جبران ابو القصة اللبنانية الحديثة ، جبران الخالق ادباً لبنانياً شرقياً . فهو سيقاه من
عيوننا وجداولنا ، ورهبنه من اوديتنا وكهوفنا ، وابته من ربانا وقمنا ، وسفينته
من اخشاب غاباتنا ، ومداد الوانه من قوس قزح لبنان .

جبران الذي عاش لبنانياً بين ولولة المعامل وعجيجها فما انهمى بجسر بروكدين عن
قنطرة المدفون ، ولم ينس نواح المعصرة وهزج البيار ، فظلم لبنان نشيداً سلبانياً .
استوحى هذا الجبل فكان له برقه ورعده ، وصواعقه وعواصفه ، وصفاؤه وهدؤه .
لم يبال بذات طحات السحاب ، فمات وهو يحن الى شمات رخ لبنان . رأى الخلود كله على
القرنة السوداء فنام نومة الابد مغطى باذيال برقها الناصع البياض .
يا حضرة الوزير

ان منهاج الكالوريا اللبنانية ناقص جداً جداً ... ولا يتمه الا اثنان : الشدياق
وجبران ، فهذان كاتبان . مبدعان حقاً ، ونواحيهما شتى ككبار كتاب العالم
وادبائه ، وما ابعد النوم والضجر من الدارس والمدرس في ناديها العام . فمر بصفت
كرسيين اللاميرين تغتم ثناء الادب الحلي ، وارحنا من بعض اوثان الادب ، واجرك
على الله .

اما انت يا جبران ، يا عريس نيسان الذي غنيته في مواكبك فلا تقنط من رحمة
تاريخ الادب . انك لحي في الكثيرين وان لم تتجمع عناصرك كلها في واحد .
نم يا فتى الليل ، ولا تترجّ القيامة ثانية يا ابن الفجر ، فبهيات — كما قلت لك
مرة — ان تلك امرأة اخرى ... هذا حلم رأته عند صياح الديك ولا تعير له ..
ان العاشر من نيسان ليوم تاريخ نهضتنا الحديثة ، ففيه انطلقا كوكب طلع من
لبنان ، ودار دورته في الابراج وعاد اليها رماداً مطهراً .

جبران اللبناني

اذاغت هذه المحطة ، بمناسبة ذكرى الام السيد وعيد الفصح المجيد قطعتين من الادب الجبراني الخالد ، فذكرت جبران الذي مات في الحادي عشر من نيسان وقلت لتلمي : امش على خيرة الله ولنكتب شيئاً عن جبران الذي لا يموت في ذكراه السابعة عشرة .

ان عناصر جبران الفنية لا تعد ولا يستطاع درسها الا في مجلد ضخم ، هذا اذا اعتصمنا بالابحاز ، ولهذا احببت ان اتحدث الليلة عن جبران اللبناني .

توعرع جبران ونشأ في لبنان فانطبع بطابعه ، ثم طوى سجل شبابه واكتهل في اميركا ، ولكنه لم يتحدثنا عن غير الشرق ، فكان معامل اميركا وعمليتها لم تؤثر شيئاً بروحية جبران ، فعاش بين ناطعات السحاب يحلم بظهر القضيبي والقرنة السوداء شاعراً ومصوراً وكاتباً .

فكر اولاً بانشاء مدرسة ادبية عربية فكان مؤسس مدرستين في لغة الضاد : الرومنتيكية والرمزية . ففي جبران ، وهو سليل الشدياق واسحق والحداد ، وسبط ابوب واشعيا وارميا وسليمان ، وافرام ويعقوب ، والمعري والمتنبي والفارسي ، عناصر تفاعلت فكونت الاسلوب الجبراني .

والرابطة القلمية التي خلقها جبران هي اول مدرسة منظمة في ادبنا العربي ، كانت غرضها خلق مدرسة ادبية جديدة ، فاشبهت من جميع مناحيها المدرسة الرومنتيكية الاوروبية ، حتى في التصوير ، والاسباب التي كونت هذه المدرسة الادبية عندنا هي التي كونت تلك هناك ، فهناك الثورة الفرنسية وهنا الحرب العظمى الاولى .

وكما زعم رجال النهضة الرومنطيسية ان الشاعر يقوم بأهم عمل اجتماعي ، وانه فوق الناس ، كذلك اعتقد جبران وتلاميذه . تصوروا ، كما تصور هيفو ، ان الكتاب هم قادة الانسانية ، والكتاب اكبر من المزيان ، وعليه ان يحمل مشعله حتى الموت في يده . وكذلك اعتقد جبران حتى كتب النبي ويسوع ابن الانسان وآلهة الارض وظل يكافح حتى النفس الاخير .

وكأني بالدكتور فيليب حتي ، حين رأى الناس يسمعون كلمة جبران في حفلة تكريمه ، وقروا ، ويقدمون للناس كتبه مجلدة مفضضة كالانجيل والكتب السماوية ، اعلن على الملأ في كلمته التي القاها في تلك الحفلة :

اتنا نرجو ان يظل جبران بيننا .

وبعد موت هذا المعلم العربي العظيم قال الدكتور حتي ايضاً :

والحقيقة هي ان اسم جبران ، وحده ، لسعتنا ونفوذنا في هذه البلاد ، يساوي كل ملايين الدولارات التي ادخرناها .

هذا هو جبران اللبناني في نظر المنزهين ، وقلمنا نرى كاتباً نعصب لجنسه وعرقه ولغته كجبران ، فاذا قشنا عن الالوان المحلية المستمدة من المحيط اللبناني وجدناها صارخة في ما كتب جبران بالعربية والانكليزية . استمد الشاعر هذه الالوان الزاهية في انشائه من سماء وارض بلاده . ففي التعابير الجوانية بياض الثلوج وخضرة المروج واصفرار الببادر ، وانين المعاصر ، وشقشة العواصف ، وشيوخ الجبال ، وحزم الارز ، ونواح الهاوية ، وزجاجة الاودية ، وثرثرة الينابيع ، وعريضة الانهار ، وهلهلة الضباب .

استمد هذه الالوان واللدونة والمرونة والنعومة من اجواء لبنان ، فاشتعلت حافات عبارته ، وارسلت نورا ونارا وموسيقى . ان تمسك جبران بشرفيته حمله على المحافظة على قوميته ، فوقف كل ثروته على بلدته . ووعد هذا وذاك بشيء من ماله ، ان صحت الرواية ، يذكرني بالثوري احد بخلاء الجاحظ الذي كان يقول عند الاشهاد (قد علمتم انه لا وارث لي ، فاذا مت فهذا المال لفلان .) فعمل الكثيرين بالامال ، وورث واحدا لا غير .

ان جبران لقي غنى عن الانتساب الى قومية جديدة فهو وحدة قومية . وحرصه على قوميته حمله على ان ينفخ روحا جديدة في نسانا العربي الذين فقال في ذلك :
يكتب بعضنا لمن ماتوا ولا يدري ان قراءه في المقابر ، ويكتب بعضنا لارضاء معاصريه حاسبا ان في ذلك العظمة والخلود فيخونني المرمى . ويكتب بعضنا لانه ان لم يكتب يموت . وهذا من الخالدين .

والذي عندي هو ان من يغالي في المحافظة على التديم بمخادفيره يكون كمن يحنط جميع افراد أسرته ويبقيها في بيته ، فاي رعب يحدث له . فلنكلف انفسنا عناء الخلق ، فالحياة انا تجدد نفسها بوالدها ، ولا نخف الامم الخاض واطوار الولادة بهذه من لوازم الحياة .

يظن بعضهم ان ليس جبران الا كاتب خيالي ، وقد خل من ظن ذلك . فاجبران غرض ابعد جدا من هذا يلبيه ثياباً مخاكة على نول حديث ومفصاة طرازاً جديداً . اني لا اسمع حين اقرأ جبران في جميع اطواره الا صوتاً عاماً يغني على نايه الجميع النفوس ، صوتاً يغني لجمال الليل واطواره ، ونشوة الصباح البكر ، يرثي الامنيات . بنشيدته الهزينة فتصبح صلاة الاطفال عند يقظتهم في الليل . انه ينشد اروع شعوره الحزن لتذكاراته التوية التي لا تموت ، فيحس بتساقط اوراق الخريف موسيقى الابدية . وهكذا يريك خطوات الموت واحدة اثر واحدة ، فاذا شئت ان تحس ذلك وتشم ارض بلادك ايها اللبناني فاقرأ جبران ، واشكر للعناية هذه الهبة ، فقد اعطيتك ادبياً عالمياً خالداً .

لا تنس ايها اللبناني من لم ينس لبنان حين رأى الدولارات تقذف الى صندوقه فجمعها ليتركها مع اثاره حيث نشأ وحيث يرقد الان جثمانه . لا تبال بما يقال ، فالذين يحولون الوجوه عنه لن يظفروا بشيء الا الاسف واللوعة . اسمع الان صوت جبرانك اللبناني فتعلم ان في الادب الرفيع نفحة من النبوة . قال جبران منذ عشرات السنين :

« لكم لبنانكم ولي لبناني . لكم لبنانكم ومعضلاته ، ولي لبناني وجماله .
نكرم لبنانكم بكل ما فيه من الاغراض والاشجار . ولي لبناني بما فيه من

الاحلام والاماني .

لبنانكم عتدة سياسية تحاول حلها الايام ، اما لبناني فتلول تعالى بهيبة وجلال
نحو ازرق السماء .

لبنانكم مشكلة دولية تتأذفها الليالي ، اما لبناني فاودية هادئة سحرية تموج
في جنباتها رفات الاجراس واغاني السواقي .

لبنانكم حراع بين رجل جاء من المغرب ورجل جاء من الجنوب . اما لبناني
فصلاة بمنحة تغرف صباحاً عندما يقود الرعاة قطعانهم الى المروج ، وتتصاعد مساءً
عندما يعود الفلاحون من الحقول والكروم .

لبنانكم مراقي ، ويريد وتجارة ، اما لبناني ففكرة بعيدة ، وعاطفة مشتعلة ، وكلمة
عقوية تهمسها الارض في اذن الفضاء .

لبنانكم موظفون وعمال ومديرون ، اما لبناني فتأهب الشباب وعزم الكهولة
وحكمة الشيخوخة .

لبنانكم وفود ولجان ، اما لبناني فمحال حول المواعد في ليال تغمرها هيبنة
المواصف وبجائها طهر الثلوج .

لبنانكم طوائف واحزاب وخطب ومحاضرات ومناقشات ، اما لبناني فتغريد
الشجارير ، وحفيف اغصان الحور والسنديان ، ورجع صدى الغابات في المغساور
والكهوف .

لبنانكم شرائع وبنود على اوراق ، وعتود وعهود في دفاتر ، اما لبناني فمعطرة في
امرار الحياة وهي لا تعلم انها تعلم ، وشوق يلامس في اليقظة اذبال الغيب ويظن نفسه
في منام .

لبنانكم ، شيخ قابض على لحية ، قاطب ما بين عينيه ، ولا يفكر الا بذاته . اما
لبناني ففتى ينتصب كالبرج ، ويبتسم كالصباح ، ويشعر بسواه شعوره بنفسه .
لكم لبنانكم وابناؤه ، ولي لبناني وابناؤه .

فابناء لبنانكم هم الذين ولدت ارواحهم في مستشفيات الغربيين ، واستيقظت

عقولهم في حضيض طامع يمثل دور ارجحي .

اما ابناء لبناني فهم الفلاحون الذين يحولون الوعر الى حدائق وبساتين . هم الرعاة الذين يتودون قطعانهم من واد الى واد ، فتنمو وتتكاثر وتعطيكم لحومها غداء ، وصوفها رداء .

هم الابطاء الذين يربون الثوت والامهات اللواتي يغزلن الحرير . هم البشّاقون والفخارون والحائكون وصانعو الاجراس والنواقيس ، وهم الشعراء الذين يسكبون ارواحهم في كؤوس جديدة ، وهم شعراء الفطرة الذين بنشدون العتابا والمعنى والزجل . هم الذين يغادرون لبنان وليس لهم سوى حماسة في قلوبهم وعزم في سواعدهم ، ويعودون اليه وخيرات الارض في اكفهم ، واكاليل الغار على رؤوسهم .

هم الذين يولدون في الاكواخ ويموتون في قصور العلم . هؤلاء هم ابناء لبنان . هؤلاء هم السرج التي لا تطفئها الارباح والملح الذي لا تفسده الدهور . هؤلاء هم السائرون باقدام ثابتة نحو الحقيقة والجمال والكمال .

لكم لبناني ولي لبناني هذا ما يتوله جبران اما انا فاقول لروحـه في ذكره السابعة عشرة : لقد تحقق الكثير مما تمنيت وحسب لبنان انه له جبران .

في مدينة جبران

ما هذه اول مرة ازور فيها بشري عاصمة مقدمي المردة يوم كان لبنان مهـابا ،
عرفتها سنة ١٩١٣ ، وغت تحت ارز لبنان الراكب على كنفها ، تنظره من احدث
والديان فتخذه زهرة ناضرة شكها الزمن في عروة لبنان .

مررت بها في ذلك الحين بعدما زرت شيخ الجبل البطرك الياس الحويك ، بت
عنده ليلتين احلى واقصر من ليل عمر ... كانت نكاته ونوادره الوجيزة تنعش حضرة ،
واذا احتشمتا تحكك بنا لنقول ، وبأبي الا التبسط فنفعل ، متذكرين قول الفرزدق
في زيت العابدين :

يفضى حياء ويفضى من مهابة فما يكلم الا حين يتسم
ودرى غبطته انني زائر الارز غدا فضحك ضحكة خرساء ، ولكنه خبا النادرة
لساعتها . وجئته في الصباح مودعا فقال : واين مكاريك !!
وجاء المكاري فاذا هو من بطانة الذيل البطريكي ، والبغلة بغلة الكرسي قال
له: توق صاحبك ، اصحاه ، الطريق عكسه .
واخذت يده فوضع يسراه على كتفي وقال : زر قصصيا بدربك . فقلت : زرته
وما انتفعت .

فضحك وقال : لان شيطانك كبير .. مع السلامه .
وبت بالارز ، وكلفني نفس الاركية ثلاث بشالك — اجرة رسول الى بشري —
وتعشيت كبة نية ، وغت في خيمة نصبها الشيخ نسيم حنا ضاهر لزوار الارز . وفي

الغد اجتزت بشري فرايتها بيوتاً متراكمة . اوسع طرقاتها اقل من باع ، واكثرها ازقة بالكد يسلكها شاب ضخم مثلي .

وزرت بشري بعد الحرب الكبرى مرات فاذا هي هي ، بيوت ملووزة كخلايا النحل ، وفرايا النمل قتلت في نفسي : يا ضياع الماء والهواء في هذا البلد . هيهات ان تظهر بشري بصيف واحد .

وزرتها امس فانكرتها . الشوارع مفتوحة كذراعى يسوع حين قال : تعالوا الي ايها المتعبون والثقلوا الاحمال وانا اريحكم . والسبل منفرجة كيدي ام تستقبل وحيدا حديث الكرج والدبدبة . وساحات فسيحة كصدور اهلها الكرام ، واقعية حديثة تجيش فيها المياه جيشان النخوة في صدور ابناء بنت الارز وبكلمة تغني عن ألف : آمنت بفرونوف ورجوع الشيخ الى صباه بعدما رايت بشري تبرجت بعد حياه وخفر . فمن ابرز هذه العروس وجلاها ؟ انه جبران . هذا اول اديب عربي اتى من القلم ، عفوا ، من الريشة . ولست انني ريشة التصوير بل تلك التي كتبت المجنون ، والسابق ويسوع ابن الانسان ، والهة الارض ، وحديقة النبي ، ورميل وزبد .

وصى جبران بهذه الثروة الطائلة لمدينة بشري ، وحرم منها اخته واهله جميعاً حتى صديقه الوفي مخايل نعيمه الذي لم يصح حله كما قال في كتابه جبران خليل جبران . اما القاثون بهذا العمل فلجنة جبران الوطنية ، يرأسها شاب ناهض وفي هو السيد سليم رحمه ، ومن اعضائها الذين اجتمعت بهم ، وكلهم ذوهمة كرئيسها : الشيخ القاضي طنوس جمجع ، والخوري طانيوس جمجع ، والشيخ مجيد حنا ضاهر رئيس البلدية ، وشابان فاهضان من اسرتي الفخري وسكر ، وامين صندوق اللجنة السيد منصور حبيب لدوس .

اما امين الصندوق فشيخ يطل على السبعين ولكنه نشيط حريص على المال ككل خازن وقيّم يؤمله اتفاق فرنك ، على رخصه ، اذا لم يكن طبقاً لبنية جبران ، هذا الشيخ لم يعقب وقد جمع مالا كثيراً انفته على البر والاحسان ، وهما في عرقه محصوران بشري ، كما حصر جبران ثروته بها .

بشري نائمة في حضن الجبل تغني لها الجداول ويدهدها الهواء، ويمر نهر قاديشا تحت اقدامها فهي ابدأ في حمام بارد . ينصب فيها الحور كالعمالقة بين اقزام الاشجار المشمرة ، فلولاً البيوت خللتها غوطة ، ولولاً الاجراس التي تترع دائماً للصلاة ، وخصوصاً جرس الالباء الكرمليين لحسبت انك في خلوة . لا صراخ ولا عياط في بشري ، تمر بتهواتها كانك مار بغرفة قراءة ، وان لم تر كتباً او جرائد .

تحيط يا الجبال من الجهات الاربع وكيف اللفت ترى شوارع منتصية كأنها التماثيل والقباب ، ومن الشرق يتدلى الشلال فتخاله سلسلة فضية في عنق (الجبة) الحسناء ، وترى انابيب كهرباء قاديشا كأنها الحية التي خدعت امنا حواء ، هذا اذا كانت سوداء ، فكل لاهوتي يكسوها لوناً من تخيلته ، اما الماء فمتلوج ابدأ ، وهو مريء هدام لما تبنيه المطابخ .

وصلت بشري عصر الاثنين ١٢ الجاري ، وقرب الغروب زرت جبران في بيته الموحش ، في دير مار سر كيس الخبأ في عب غابة تجري من تحتها الانهار كأنها الفردوس المحكي عنه . يذكرنا هذا الدير بالآية القائلة : وينحتون من الجبال بيوتاً . وهذا شأن سكان لبنان القدماء وخصراً الفسك والفساء . الدير رهيب لا جميل ، كان ملعباً لجبران في صباه فاخذ عنه اشباح الليل ومواكب النهار . تجرد عن السمكة وتمشي في خف الجبل قليلاً فتبلغ الكنيسة ، وهي خارج سور الدير كعادة رهبان لبنان في ديورتهم ، فالنساء لا يدخلنها ابدأ . تلج الكنيسة ، وهي كهف غائر في صدر الجبل فيواجهك تابوت جبران المسطح في مغارة كأنها حنية كنيسة مارونية ، شرقية لا غربية ، مزينة برفرف من متحجرات مغارة قاديشا التي اكتشفها الخوري الناهض طانيوس جعجع ، ومرتبة التابوت مفروشة بخشب زيتون عتيق كأنه مأخوذ من البستان الذي صلى فيه يسوع ، حبيب جبران .

كتب بول بورجه يوم زار بيت غوته شاعر الالمان مقالاً جاء فيه : ان صورة الاشياء التي يعيش بينها كاتب عظيم تتحد باناره لتكلمها وتوضحها . ان هذا ما شعرت به ثلاث مرات : الاولى في اورشليم والجليل ، والثانية في المعرة ، والثالثة في بشري . غت تلك الليلة متأثراً واصبحت ناسياً فزرت صديقي الاستاذ خليل صادق ، ثم

اجتمعنا برئيس لجنة جبران انتصرف الى فكيل فندق جميل احده في قلب بشري .
وطوقت في بشري برافتي امين صندوق التبعة السيد لدوس ، قراني اعمال لجنة
جبران التي انقنت في هذا العام على ترميم بشري نحو عشرة الاف ايرة فعدت
المسى .

وبلغنا بيت جبران حيث نمت رواية وع وع وع ، التي انقمتها بها مخايل نيميه ،
فاجفنت كني راي انسى . انه اشبه بزوب حير ، لا متف له ولا جدران . وادرك
ذلك مراقبي الامين فانباي بالمشروع الخطير الذي سيتم في العام للتادم ، وقد واثق
عليه لجنة البطريك انزلون ، وهو هدم كتيبة مار سابا التي يعاد بنيناها على حاة
الجليل .

برى البشر او يون جبران غير ما تراه نحن الادباء ، يرون فيه مسيحياً محكماً حتى
الطقيبات ، ولذلك يقتسمون لراحة نفسه كل احد على مذبح مار مركيس ، اما
الترحم عليه فلا ينتطم .

واتلنا من بيت جبران الى متحفه فمرونا على ساحنة جديدة في وسطها ينبوع
يتدفق من اشداق الاسود ولا عجب ان اوحى اليهم هذا الشهد فهم اسود تلك الغابة .
استقبلنا عاظم اسقف الشجاع وعرفنا فرحب بنا ترحيباً (شوفيا) يتم عن وفاة
ورحابة مدر ينسيان الضيف وحشته ، وما اكتمى الرجل بالترحيب بنا حتى رحب
اكثر من مرة بالسيارة التي حملتنا الى بشري . واخذنا نورا الى غرفة جبران فراينا
تحت البسيط وعليه فراش ذكرني بالفراش الذي للاب اغناطيوس النثوري ، متثرة
فرفه ومائد ومخدرات ، والمليب معلق فوق راسه ، وفي الناحية الاخرى شمامعين
دهرية اظنها مل بيت شباب ، فظلت اني في ماروحانا عين كفناع . وهناك ايضا
شمامعين ذات سبعة انوار ، وجبران مولع بهذا العدد . وتحت الرف القائة عليه الشمامعين
مطبخ جبران الزاهد ، من القلي الى النعمة والمعلقة الناشية . وفقدت في ارض
الفرقة صورة جبران التي اهداها ميشال العبد الى بشري ، وهي من بلاط صيني كالتي
في بكر كي تمثّل البطريك عريخه بتاجه وصوليانه وبرفيره . وضمت هذه الصورة
هناك موقنا وستقل الى بيت جبران مع متحفه .

ومضينا الى قاعة ثانية فاذا هناك ايضا اشياء جبران الكثيرة، منها عصاه التي رفعها مرة كما اخبرنا الاستاذ نعيمه في رده على الريحاني . وفيها ساعات جبران وكلها عادية ، واقلام وتحف وطرف وتماثيل صغيرة بينها صورة ماري هسكل وكل عدة مصنع جبران التصويري . وخرجنا الى الدار نظوف على الصور المعلقة على جدرانها واكثرها رمزية توحى حيرة وخشوعاً وعجباً . ذكرني متحف جبران بقول نشيد الانشاد :
هوذا سرير سليمان حوله ستون جارا ... كبرج داود المبني للسلاح علق فيه الفبحن .
وفي الدار مكتبة جبران اكثرها انكليزية ، اما كتبها العربية فالاغاني ، وبعض كتب نحو وبيان ، وكتب عديدة مهداة اليه .

فتشتها فلفت نظري رواية مخايل نعيمه (الابهاء والبنون) التي يقول في اهدائها الى جبران انها اول اثاره يهديها الى عزيزه جبران وهو ذاهب الى الحرب ، وقد تكون الاخيرة . الحمد لله انها لم تكن الاخيرة ولو كانت لخسر الادب العربي كثيراً . واستوقفني اكثر من كتاب اللانسة مي ، شفاها الله ، قدمته لجبران بهذه العبارة الى « النبي » مع الرعب . وهناك كتاب اخر منها نسيت عبارة اهدائه .

واخذت اتأمل الصور المجموعة في جلود من الكرتون وكلها بالقلم الرصاصي ، فعثرت بينها على واحدة مقدمة اميشاين سنة ١٩٠٨ وهي صورة جبران الشاب بقلبه . وفي المتحف صورتان كبيرة وصغيرة عليها مخايل القدم لم افهم سرهما ولكنني متكل على الصديق الفنان الشيخ قيصر الجميل الذي سيدرس متحف جبران بدعوة من اللجنة . وخرجنا من المتحف مشيعين بنظرات محافظه الباسل السيد حنا مارون الذي ينام على مسدس كاد يذهب ضحيته ليلة لولا لطف الله به وبعائلته .

وعدت الى الفندق اتمتع بلطف وايناس صاحبه يرير بك الضاهر ، وقبل الغروب جاءني السيد لدوس لنذهب الى اجتماع لجنة جبران ، فاستوقفنا كثيرون وكثيرات ممن انعشتهم نهضة لجنة جبران في هذه السنة الضيقة . وفي النادي تعرفنا بوجوه بشري اعضاء اللجنة ، وبحشنا شؤوننا تتعلق بجبراننا الخالد لو كانت وافقت اللجنة لاتعش الادب العربي كما اراد جبران وفعل . وسرنا خطوة ثابتة الى الامام ، والكامل خير من العمى .

لا تتعجب ان قلت لك كنا نخال جبران معافصوره، بربشة الجليل، في صدر القاعة التي اجتمعنا بها. ان جبران اول اديب عربي له متحف اثار وبيت يزار ومدفن فخيم، وسيكون له اشياء غير هذه وهو يستحق. وعلى ذكر يستحق اخبرك انه استحق شكر لبنان، بعد الموت - من الدرجة الثانية - والبراءة معلقة على جدار متحفه.

ان جبران في تآليفه العربية لباني محض بل اقليمي حتى في سماء بعض ابطال قصصه واما كتبها، ولا بد للراغب في فهم جبران قلمها من زيارة ودرس الاقليم الذي نشأ فيه اذ يلحج في كل مقال كتب. جبران في هذه الكتب العربية من اعظم مفاخر لبنان الادبية، اما في كتبه الانكليزية فانساني شامل وهو فيها مفخرة الشرق كله. حمل الى العالم عطر الشرق ونجوده وانوار شجوعه...

هرب جبران من ظل الاكليروس ووقف بعين الشمس، ولكنه اليوم ينام بينهم. فهم الذين يصلون عليه كل احد كما قلت لك. ثابت عندي ان الذين كرههم جبران من رجال الدين هم غير كهنة بشري الردعاء النقية قلوبهم. فكهنة بشري، كرايت، ديمقراطيون لا يعرفون ارسقراطية الاكليروس، ولا يرون لانفسهم سيادة الا تحت القبة وجناح الهيكل.

في بشري نحو ثلاثين كاهناً! لا تتعجب، فانا اذكر انه كان في عين كفاح تسعة خوارنة، وعين كفاح اربعون بيتاً، كلهم من طراز: الكبير فيكم فليكن انكم خادماً. واخيراً لا تتعجب من صوفية جبران، فموقع بشري مدرسة يعلم الصوفية بلا استاذ، فجاء الله بشري واهلها، وحيا لجنبتها الجبرانية العاملة بلا ملل، ووفقها الى احياء ذكره وان كان في غنى عني وعنهما وعن منهاج البكالوريا.

حاشية: ضيعت عصاي في طرابلس، وعلامتها الفارقة ان كنتي واسمي مكتوبان عليها، وعليها رموز ورسوم، فهل يردها لي من يجدها، وله حلوان يعادل ثمنها، اللهم لا تتركني بلا عصا اتوكأ عليها.

صبح: عادت العصا كما اعاد الحاج الى جدي الخوري كبسه الذي نسيه في مكانه، وظن انه ضيعه.

من أجل الادب

الى الرئيس اده - مجمع جبران وجائزته .

سيدي الرئيس

اذاعت الصحف انذاراً يمنع رعينتك التالية ان تذكرك ، فهل يمنحنا هذا ان تذكرك وتذكرك ؟

اننا نباهي بثقافتك العميقة الواسعة ، ونعلم انك حفيد شاعر لبناني جري^(١) كان قدى في عين الجزائر وقد أرخ وفاته ذلك التاريخ الرائع .

ولا نزال نذكر بالفخر موقعك النبيل عبر البحر المتوسط ، غير ناسين انك باهيت بثقافة هذا البحر . الحق معك يا سيدي ، اترى دول اوربا العظمى تحوم حول هذا الحوض تدعيه ، وتنسى انت ايامنا الغر على شاطئيه الشرقي والغربي ؟ الا تذود عن حوضنا ولرب الكلام !

اراني ذهبت كذبتك الشهيرة على غير الوجه الذي فيه بعضنا . ادركت انك تقول للغرب : وثئن كنا اليوم امة صغيرة نحضر هذا المعرض بتواضع عميق ، فـلا تنسوا اننا كنا السابطين في هذا الميدان ، فاستعمرنا الدنيا وعمرناها ، كنا معرضاً جوالاً فننت العالم عـصـرلاته وكسا ملوك الشرق والغرب برؤوسا وارجلانا .

نعلم وتعلم انك قلت لاوربا : لئن فاتنا الغاز الخائق ، ولم يكن لنا طائرات

١ - الشيخ الياس اده المتوفى ١٨٢٧

ومدرعات وغواصات فما فاتتنا الثقافة ، ولم يتقنا الاختراع ، نصيرنا البحر طرفة
معدة فذل لنا وخضع.

ما وجدت مجالا للفخر بالسلاح المدمر فطاوت بنبوغ امتك الذي عجز الدهر عن
طمسه بعد الوف السنين ، وكيف لا تطاول هؤلاء النوابغ وانت واحد منهم ان
شاء الله .

فكرت بهذا يا سيدي ورجعت لنفسي في الخلاء الوها ! لقد افلست يا نفسي ،
اما سفك قومك بافراد وجماعات ، فلا غني فتح كيسه ولا جماعة اهتزت لما دعوت اليه ،
وبعد الف جهد ظفرت بمئة ليرة ورقا ، جائزة لاحفاد اولئك الذين افتخر بهم فخامة
الرئيس في باريز فلماذا لا تقرر عين بابه ؟؟

انفتح لنا يا سيد ؟ انت تعلم انه ليس في مكتنتا بنيان دولة عظمى كبريطانيا ،
مثلا ، ولكنه في اليد انشاء دولة ادبية تمتد حدودها الى حيث نشاء تخومها كما تروم ،
فقل كلمتك وهات يدك .

تذكر جيداً كلمة بطرس ليسوع : يا سيد قد تعبنا الليل كله ولم نصطد شيئاً ،
ولكننا لاجل كلمتك نلتي الشبكة . اتقول هذه الكلمة لاطرح الصوت فيأتي الناس
ويعينوني على اخراج شبكتي من بحرك الطامي...

انكون الفقيه المشتف ويشقي في عهدك الادباء ! ان اشقى الجمهورية اللبنانية ادباؤها
وهم الذين يبنون مجدها الخالد مسخرين غير مأجورين . لست اطمع من فخامتك
بشيء ، فعندي من خير الله وخيرك خبز وكسوة ، ولكني اسألك العون على هذا
الادب ، ذخيرتنا الباقية وسلاحنا الفرد . فالادباء ايتام في مأدبة الجمهورية .. لا يذكروهم
احد بكسرة يسندون بها قلوبهم . فما يمنع ان تكون لهم (جائزة ادب) يسابقون الى
تيلها واحدا اثر واحد ، تشهد العقول وينبه بين امم الارض ذكر الجمهورية التي احببتهم .
قلت لك - تفوا اذا تركت الميم - اني لا اتمنى شيئاً غير هذا . فوالله وبالله
وتالله (بكسر الهاء) بل لا اتمنى الحياة الا للعمل الدائم في بنيان هذه الدولة التي نحن
بها مستهزونون ...

اننا نرى في انفسنا قوة ولكننا ، وبإللاسف ، عن اظهارها عاجزون . ما نفـع

(الاستحقاق اللبناني) يعلق على التواييت ، وهل تروق دفيننا جودة الكفن ؟ اذا استعرضنا التواريخ تجربنا ان الادب لا يعيش الا في ظل دولة ، قابسط عليه ظلك ، ورفه عن رجاله تسمع الاناشيد الخالده . اننا نريحك من الانعام السبعة ... ونسمعك ما ترتاح اليه نفسك . سخذا حصتك وانت الرابع .

جعلت في الربيع الفائت جائزة ضخمة للخيول الاصيله ، فحرب اجعلها العام التادم للبشر ، هؤلاء الذين يصاولون بايديهم وارجلهم ليخلقوا اللون اللبناني الذي لا يحقته لك غيرهم ، هؤلاء الذين يجرون كل يوم شوطاً وعليتهم غير مضمون في المساء .

ضع لنا هذه الجائزة ، وخطيتك في رقبي ان ندمت ، انك ستري كل مهروقارح يجري في هذا الميدان الخالد ، ستري بينهم الف عبدو^(٢) . وبهذا نبني دولة ثابتة لا يغزوها فاتح ولا تؤخذ عنوة ، ولا ينتدب عليها يوماً من الايام ... وان صح زعمي فيها مفرق طريق الاستقلال التي شققها لنا ، ولا شك ان التاريخ سيقدّر جهادك ، ويذكر البطل الاعزل المظفر في انصع صفحاته بياضا . وللتاريخ يحيا الرجال وهو جنتهم التي يخلدون فيها .

*

اما الان فلنؤد الحساب لاخواننا الادباء ان سعينا المستمر لم يذهب سدى ، ولم تعد يدنا فارغة ، فلبنة جبران الوطنية ما خاست بعدها ، وان نقرح الان فبالنواة التي نسوسها لتسي دوحة اذا انعشها الهواء وواتها الماء والغذاء . وهذه قطعة من رسالة رئيس جنة جبران توضح ما نقول .

« قياماً بما قطعناه من العهد لكم بجعل جائزة ادبية لجبران تتحدث جلسة خصوصية للبحث بهذا الموضوع ، فعلمت اللجنة النتيجة على استشارة رئيسها الفخري غبطة البطريرك عريضة . وفي موعد اخر تقرر ان تكون الجائزة مائة ليرة لبنانية تدفع للفائز نداءً ، وارصد ستمائة ليرة اخرى لمنحقات مجمع جبران الادبي ، فتكون الجائزة بظاهرها مائتين . ولم نتوفى الى اكثر .

٢ - عبدو اسم الحصان الذي ربح جائزة فخامة الرئيس وتقدرها الف ليرة .

وان شاء الله تعلمنا التجربة الاولى وتفهمنا نتائجها وفوائدها فتجعل الجائزة التالية اضعافاً . وقد اتخذ قرار يعهد اليكم بتأليف مجمع جبران من خيار ادبائنا بنظام رسمي معترف به ، وتعطى النتيجة — الحكم بالجائزة — في بشري خلال حفلات ذكرى رجوع جبران الى بلده كما اقترحتم في الاجتماع .

سليم رحمه

رئيس لجنة جبران الوطنية

يقول المثل العربي اول الغيث قطر ، ويقول المثل اللبناني : من التهب عقدة عقدة ، وطلوع السلم درجة درجة . اما المجمع فنحن ساعون الى تأليفه ووضع قانونه ، اما عدد اعضاءه فسبعة ؛ ينضم اليهم عند الحكم رئيس لجنة جبران وعضو اخر تنتخبه اللجنة . اما جائزة جبران لعام ١٩٣٨ فستكون للتصية الطويلة يحكم بها المجمع في بشري وفقاً للشروط التي تداع قريباً مع اسماء الاعضاء لبيعث اليهم الادباء بتقصصهم .

انا نشي اطيب الشناء على لجنة جبران الوطنية فلعلها هذا تهلل روح جبران ، وهو عندي اقرب اعمالها الى نية الواهب كل ما يملك لبلده . فجبران سعي جهده في حياته بل وقفها كلها على هذه الفكرة فانشأ الرابضة التلمية التي مرضت بمرضه وماتت بموته . فعسى ان يكون هذا المجمع الجديد من ابناء الحياة فتفرح به روح جبران فرح الجد بمحفيدة . وعسى ان نبشر الادباء بجائزة الرئيس اده التي ستكون منية ان شاء الله .

حاشية — اذا متع الله هذا الادب اليتيم بجائزة اده فلتكن محرمة علي منذ الان ما عاشت وعشت ، وكذلك جائزة جبران التي تحققت . اقول هذا دفعاً لسوء الظن . رب يسر ولا تعسر .

عاليه

اخي الشيخ فؤاد حبيش

قرأت كلمتك الان عن مجمع جبران وجائزته ، ورأيتك (تود) — وودك في محله — ان يكون للشعراء والمصورين نصيب من جائزة جبران .

سيكون ذلك يا شيخ ، فالجائزة القادمة عام ١٩٣٨ للتصويرة الطويلة ، وجائزة ١٩٣٩ للشعر ، وجائزة ١٩٤٠ للتصوير . هذا اذا بقيت الجائزة قرمة ولم تكبر ، اما اذا غت افنجلها للفنون الثلاثة في كل عام . صل معي للتديسة نيريز من كل قلبك .. شكرت لك ثناءك علي ، وثقفت ، ثم افنسلت . لا تعجب يا فؤاد فالشاعر صادق .

يهوى الثناء مبرز ومقصر حب الثناء طبيعة الانسان

ساعدونا يا اخي ، طوفوا معنا حول الصناديق وانفخوا في الابواق فلعلها تسقط مامنا كما سقطت اسوار اريحا عند اقدام البطل يشوع بن نون عدونا الالد .. ليس فينا من يستطيع ان يحدق الى الشمس دقيقة ، اغا نحن ابناء الليل تطربنا موسيقى الزوابع وترجفنا الصواعق ولا تخيفنا ، اتنا نرقب وجه الصباح لننام في الضحى كصاحبة امرى القيس رحما الله .

اليوم قرعت باب رئيس الجمهورية ، كما قرأت او تقرأ في صوت الاحرار . اتقول انه يصرفني ؟ لا تنس يا فؤاد ان مارون لا ينصرف ، والرئيس غير شاعر . عفوا الرئيس شاعر اعمال ، والصرف وعدمه بضاعة كلام . فسترى ان رجائي لن يخيب وقد رفعت اليه الان كتاباً خاصاً ، احسن الله الجواب والمآب .

اصافحك مشتاقا الى احماضك الحبيشية التي تغني عن (معكرونيكم) ، فاسأل الستار ان يكشف عني هذه الكربة ، وينبت المرعى فلا تبقى حزازات النفوس كما هي ... اخوكم مارون

ولبراءة الذمة اقول للقاري، الكريم انه لم يتحقق شيء من امالي.

خطبة بشري

جئت وفي نيتي الا اتكلم ، ولكنني فعلت اذ بلغني ، والعهدة على المخبرين ، انكم سيدات وسادات ، مشتاقون جداً الى طلعتي البهية .. اشكركم جداً ، فقد جبرتم خاطري المكسور ، وفهموني ان الله لا يبلو حتى يعين ، فهو ان تكرم علي ببطن كافودي يتقدمني بلا حياء الى كل محضر ، فقد رزقني من يقبلني على علاقي .

سيداتي وسادتي

لست اليوم خطيباً ، ولكنني محش ، اعلق على الهوامش ، وبكلمة ابرع : رجل يقطع من كل واد عصا ، فانعته ما شئت .

جئنا لتعظيم جبران ولا بد لكل زعيم في الدنيا والدين من ناس تؤيده ، فعلمكم لا تشد ظهره رعية لا يهابه الناس وامره يكون رخواً ، وقديس لا يطلب شفاعته احد ولا تفرع له صدور العجايز يعيش بلا شأن في عالم الايمان . فالقديس بولام ، مثلاً ، زبائنه قلائل جداً ، ولا يعرف احد باب بيته مع انه اختصاصي بحب الصبا والنمش .. وله رأي مفيد يشفي من المغص .. وان قلتم من اين جئت بهذا القديس الذي لم يسمع به حتى انخوارنة العناق منا ، اقول لكم راجعوا السنكار فاسمه مدرج فيه كبقية الابهاء القديسين .

اذن لا بد من تعظيم جبران ، وتمجيد اورفليس مدينة المصطفى . فهنا اروع اودية الدنيا ، كان وادي الحبساء والقديسين ، وصار اليوم وادي الزوابع وابطال الدنيا والدين .

يقولون ان الله موجود في كل مكان ، وفي ملتي واعتقادي انه ، لاسمه السجود ،

يتقضي اغلب اوقاته في الجبّة ، فجبّة بشري جبّة الله ، والله في الجبّة كما قال الخلاّج المتصرف المهوس .. فلا عجب ان يصيّف سبحانه وتعالى بين الارز والديان فهذا الماء يطول العمر ، وهذا الهواء يصفي الارواح وينقي الابدان .

واذا كانت السماء يا اخي عمر فاخوري ، جاءت تجري من تحتها الانهار كما وصفها الله في كتابه العزيز ، فهي ، علم الله ، هنا ، او هنا ملحق لها كما هي الحال في لو كندات المصايف . وكاني بالجبّة من الحدث الى اهدن قد خلّقها الله متراً لعباده الصالحين الذين يصابون بالضغط العالي وتصلب الشرايين ولا يستطيعون الاقامة عنده في اعلى عليين . واذا كان في بيت ابي يسوع منازل كثيرة ، كما حدثنا انجيله الطاهر عن مساحة السماء ، فهنا احد هذه الامكنة . اجعل اللهم نصيبي من جنتك في بركة خيرة كهذه ، وما يضرك لو تخلدني بشحبي وطمحي فالافيك في السحب مع الجدين الجليلين : ايليا واحنوخ . وان لم تعد ، كما وعدت ، فخير وبركة ، فالاقامة هنا لا بأس بها .

سأخونني ان تفلسفت اليوم قليلا فتد فعلت دفعا لتوهم الناس انني مع هذه الشبهة الطاهرة لا اعرف اتفلسف . الخير فضلي يا جماعة ، وانا كاتنفلسفين من معاصري ، والفرق بيننا ، انهم يتفلسفون (رسمياً) وبكثرة تقطع الرزق ، وانا اتفلسف ضاحكا ومضحكا . تلبس فلسفتي ، غصبا عن رقبتي ، ثوب المرافع القليل الحشمة ، وما حيلني فيها ؟ انها تحب الرقص ، فاعذروها اذا لم تترصن ..

هنيئاً لبشري ارزها الخالد ، وبطر كما الشيخ الفتي ، وواديا الرهيب ، وجبرانها العبقري ، ومغارتها العجيبة ، كاندراثة الله — لا تنسوا انه يصيّف هنا — ما اعظم حظ بشري ! اعطاه الله وكثر ، وهي تستاهل .

واذا ذكرنا مغارة قاديشا تمثل لنا الخوري طانيوس جميع كولومب الجبّة ، او الفؤاد المتكرر بثوب خوري ، كما سبّاه الجنرال غورو . فعسى ان تشمله الحكومة الكريمة بنظرة ، فابتسامة ، فسلام ، فكلام تأويله استحقاق شكر لبنان .

في لبنان اعياد صيفية اكثر من اعياد الطائفة المارونية ، فعيد كبير للشجرة التي تمنى ان تثمر طحيناً وبرغلاً ، وعيد ازهار تسنى ان تضفر اكليل حمد لحكومتنا الساهرة ... وفيه محاضرات في تواصم الاصطيايف احدثها وزير التربية والاقتصاد

الوطنيين فشكراً لما يبذل معاليه من جهود جبارة في سبيل الانعاش .. اخذ الله بيده ..
اف ! لعنة الله على الشيطان ، نسبت اعياد ملكات الجمال . ليتهم يجعلون جائزة
للجمال المعتدل ، ولو مرة ، فأريحها واستريح قليلاً ، فلا راحة لي مادامت غمة الادب ..
سلم بوزك .

اذن لا عيد ادبي في الصيف الذي يضيع اللبن ، الا عيد جبران ، نبي لبنان . لست
اريد النبي بمعناه الديني فالانبياء قد ختموا ، ولكن عنيت جبران النبي بأسلوبه وتفكيره
وخياله ، ان جبران وسام رفيع ، لا كالأوسمة ، علته الدهر ابو العجائب ، على صدر لبنان ،
مصدر البرفير والارجوان .

واليوم يحدثكم عنه اديبان خليران يفهمان سر الادب ، ولا شك ان حينئذ
جبران سيفتبط جداً اذ يسمع ما يقال فيه من الاستاذين عمر فاخوري و خليل تقي الدين .
ولما سيكتبه الحيشي غداً في (مكشوفه) سائر عورات الكرام .

فلحظة هذه السنة معان كثيرة يستتبعها الذيب ، ففيها المراعاة للمادة ٦ و ٦
مكررة ، ومنها يعلم ان في لبنان كنيسة ادبية جامعة من امرائها جبران وفرح
انطون والشدياق ، ودفتر المهاد في دار المكشوف . كثرت الله هذا النسل المبارك ،
فيه لا بغيره تمتاز الجمهورية اللبنانية .

ان في لبنان اليوم بنائين جدد آيزيدون على هذا الهيكل قبيلاً شحنة نسر العيون .
وأجراً عبودية تشرح وترعد . فكاتب (الباب المرصود) ادب بكل حواسه ،
بل هو الرصد الذي ينشر امامك ذهبه ، ثم يحوله حجارة ان جهلت قيمته ، فحذار .
فكلما بحفته العتل يخلقه خيال الاديب أولاً .

هلم ايها الاستاذ واركب المنبر في هذا الزمن العصيب ، ففيها يكن شبراً فان
ظهره سيلين لك ...

*

قد سمعتم عمر فاسألوا الله ان يقلل من كسله ، وألا يشغله السجل العقاري عن
تسجيل قطع ادبية واسعة الاطراف مغلل يلكها ابناؤنا وينعمون بخيراتها .
اما السيد حليم كنعان الذي اقدمه لكم الان فهو كاتب فتي جديد يتأهب باخلاص

واجتهاد للدعامة الادبية ، واني اتوسم فيه خيراً ، وان زججناه اليوم بين الفحول
خليتعود ان يسد المكان الذي سدوا ... والآتي قريب .

*

والان جاءت نوبة الاستاذ تقي الدين ، والشيخ خليل من رجال الحكومة
كصاحبه عمر افندي . عمر يقيّد صكوك البيع و خليل يراقب تدوين الحكمي ، اي
ما يقال في مجالس النواب ... ولكن هناك الى جانب هذا الحكمي كتاب (عشر
قصص) وهي حكايات بلدية طيبة كعرائس المروج والارواح المتردة ، انما بصورة
اخرى . ولو كان خليل اصغر سنّاً لملت جبران قد تقمّس . (القضية ثابتة) يا شيخ ،
وجبران يؤمن ان امرأة اخرى ستلد ...

اننا نلتظر من خليل تصوير (الخلوة) وما فيها ، كما صور جبران الصوامع والديورة ،
فقد بنا مفتر جداً الى تصوير الخبايا والزوايا والتكاي ، وبدون هذا لا يصير عالمياً .
المنبر يدعو يا شيخ ، فانس ثروة مارون فللمع حق ، وللسن حصّة كبيرة ...
اسمع جبران صوتك ، فبيته قريب منا ، وان شككت مرة فبطرس شك ثلاث مرات ،
وبولس اكل كفاً سخناً على طريق الشام ...

لو كنت على رأس الدولة لعزلت خليل تقي الدين — لا تخافي يا ست ، مع المعاش
وحدة مسك — وما فعلت الا لأصرفه الى الادب الخالص ، فيخلق ابطال قصصه
واحاديثهم كما يشاء ، لا كما تقتضي الجريدة الرسمية .

*

يظهر ان الحال اقتضت ان يتكلم الاستاذ الشهير فؤاد افرام البستاني ، فأكثركم
ان لم أقل كلّم ، يعرف صاحب الروائع ، ومن جهله فستعرفه به محاضراته المتتابعة
كقافلة ابن العاص الى ابن الخطاب ... ان كلمته استغاثة ، كما سماها لي ، فعسى ألا
تتكون (من الاعماق) .

*

اما كلمة انتم فلا تعيبكم ، فليس هناك خطيب آخر ، انها كلمة : شكر ،
شرقتم ، قوموا الى المأدبة .

الحداد وجبران

الخوري يوسف الحداد هو ابن عمي ، وابن خياعي ذات الطريق المشهورة ... وهو ايضاً احد شيوخه الذين اخذت عنهم ، وكثيراً ما حاولت ان اظهر عبوديتي لهذ الذي علمني حروفا وامسكت قلبي . خفت ان تهتم حكومتي فيه وان يقرأني (ماسح نفسه) سلاماً انا مستغن عنه .

ظهرت (النجوى) كتاب ابن عمي الحبي بتفكيره وتعبيره ، فقرأت اقوال المنصفين ولم احرك ساكناً كما يقولون ، وما لهذا الخوري ذنب الا ان اباه منذ مئة سنة اختار عمي من بين الصبايا .

وعام اول ، او هذا العام — لا اذكر — اذ اخ معهد الحكمة الخطير اسبام الاساتيد الذي حرثوا كرمه ونسي الحداد . مع انه ذكر الجميع حتى فاعل الساعة الحادية عشرة ... فعتبت وجاء العذر مقبولا ، فكان العتاب صابون الثلوب . واليوم وقعت عيني على كلمة الاستاذ الياس ابي شبكة مقدراً الاستاذ الكبير منوهاً به بعد ماتناساه كثير ممن احبهم حباً جماً شاركه فيه الكبر والمطرفة والسندان ، عدة الحداد ...

ارى ان عقل الاستاذ ابي شبكة وقلبه قد اشتركا في المقادرة بين الخوري يوسف الحداد ورجال زمانه . هذه الاسبق في الطبقة الاولى من ادباء الجيل السابق ، وهذا حق ننفق في سبيل تأييده عن سعة . اما العاطفة ففي قول الاستاذ (ولا اذكر انني هففت الى رجل قطع هذه المرحلة من العمر كما اهف الى الخوري يوسف الحداد) . لقد صدق الاستاذ فكل من عرف شيخنا الجليل يهفو اليه ، فتمت جنته السوداء .

قلب كانذي تمنى داود ان يثقله الله فيه ، وتقدس ذكوة لا تحتاج الى التفلس بالنسج .
ذهبي الفهم على المذبح ، كناري في المجالس ، وهبه الله احدى خصال امه ، بلغه الله عمرها ،
فهو يجبو الى الثمانين ولا يزال جديداً كايوان كسرى الذي يقول فيه البحري :

و كأن اللقاء اول من امس ووشك القراق اول امس

فشكراً لابي شبكة عن سيدي الرائح الجاني كل مساء بين ساعدي شط جونه
اللازوردي كأنه الرمح دارجا ، مشغولاً في جسده عن متاعب القم (ولكنه — كما
وصفه ابو شبكة — ما برح اخضر الذوق ، طري التفكير ، طلي الحديث)
كذبت اليه عام ١٩٣٦ أسأله عما ترك جبران في ذهنه من اثر ، فأجاب غير عابئ .
بتقطع النبض وأدرجت مکتوبه في ظرف (وثائق جبران) فنام مع النائين فيه
ينظرون الساعة . ولكن كلمة الاستاذ ابي شبكة ايقظت كتاب ابن العمه في تلميذه
جبران ، وهذا رأيه فيه مکتوباً يؤيد الحديث المردى :
ابن الخال الحبيب ،

السلام عليك ، وعلى شق الطريق الى عجوز ابن الخطاب ،
كذبت الي تستفسرني عن جبران ، وهل كان من تلاميذي في مدرسة الحكمة ،
ثم تشعرني بنوفيتك الى شق الطريق ...
اما جبران فهاك عنه ما يعلق بذاكرة استاذي ، درس علي جبران سنة واحدة فيها
كنت له لساناً وقلماً ، وكان اذنا تعي ما عندها ، وقلماً تابعاً لهوى متبوع ، ونفساً
وثابة ، وعزلاً متمرداً ، وعيناً هازئة بكل ما تقع عليه ، مقلداً من الاخوان ، يزرع حقله
في عقله وفي يوسف سعد الله الخويك ، مجتزأ به من بين سائر الرفاق . كثير الانتقاد ،
شديد التمسك برأيه ، مفكر آقلاً ترسم الابتسامة على ثغره ، طموحاً تحت مهاز لا رفق
معه ، يجده ليجد ناظراً ، في افق بعيد .

وفي قص خبر اتصاله بي ما يفتح لدرسه منفذاً يطل عليه ، وكثيراً ما يتأس الخضر
على الماضي (والطبعة الطيبة تعرف من العدم) اسجع : في اواخر تشرين اول سنة ...
قرع علي باب غرفتي ، وعلى كلمة (تفضل) دخل شاب ربعة ذو وجه حنطي مشرب
حمرة ، وعينين ناعستين ما بين اجفان ذابئة كزهرة تطل من اكمامها ، ترسلان
نظرات طويلة متشبثة ، وله شعر مرسل يلامس اذنيه .

— الاسم الكريم ، وهل اُصلح لخدمتك في شيء؟
— انا جبران خليل جبران من بشراي ، انتهيت دروسي في الانكليزية ، نائل شهادة الفلسفة ، اُقيمت لبنان لادرس اُداب لغة وطني وابدي فيها افكاري ، فكان نصيبي الصف الابتدائي.

— ماذا تعرف من مبادئ العربية؟

— احسن القراءة فقط.

— افلا تعلم ان السلم يرقى درجة درجة؟

— ولا يجهل الاستاذ ان الطائر لا ينظر السلم في طيرانه.

— انني لم ارك قبل الساعة فمن ذلك علي؟

— عيني وَاُتَكَ ، وقلبي دلني.

اقشعر بدني من الجوابين وشعرت ان امامي عظمة بارزة في فني له حكمة الشيوخ ، وذكرت للمتنبّي : ليس الحداثة من حلم بمائة .

— والان ماذا تريدمني؟

— رأيتك مراراً فسألت تلميذك يوسف الخويك ، من يكون هذا الخوري؟ فقال : هذا استاذنا الحداد وله رفق بتلاميذه وعطف ، وكلمته مسبوقة عند الرئيس ، فنجستك في امري . دعني ان احضر عندك لا اسأل ولا اسأل ، واني دافع مرتب المدرسة كله حالا ، وانا المسؤول عن نفسي ، لا امي ولا اخي ، وان لم اُتل مطلقاً فتشت عن غير هذه المدرسة التي تتعلق بحرفية النانون ولا تفهم تلاميذها .

— مهلاً واعود ... وما زلت بالرئيس حتى قال كلمته (التاريخية) : (النتيجة

يا حبيبي) انت المسؤول ، واني راتب المدرسة ؟

— حاضر...

وعدت الى جبران وما راني حتى اُقر ليله وابّعدني قائلاً : انتغني غرضي يا استاذي .

— ومن اين عرفت ؟

— من وجهك الضاحك وعينيك .

وثاني يوم كان جبران بين تلاميذي على مقعد التدريس ، وقدامي على المكتب
كتابة منه : قبل مرور ثلاثة اشهر لا تسألني عن شيء وبعد ذلك سل ما تشاء ..
لم يكن جبران وقت التاء الامثلة يفتح كتابه بل كان اذناً وعيناً ، وتلك الاذن
العطشى لا تتوي وتلك العين لا تشبع . وكان يختلف الي حيناً اثر حين يلقي علي امثلة
ويستشيرني في انتقاء كتب المطالعة فحولته على كلية ودمنة ، والاغاني ، ومقدمة ابن
خلدون ونهج البلاغة ورسائل بديع الزمان والدرر لاديب اسحق والمنتبي والبهاء زهير ،
والزوراة ... ودرس الطبيعة وطبائع البشر واخلاقهم وعاداتهم والزواريع .
وكان يأتيني بمقالات من عنديانه يستقل بها فاري منها جسماً متناسق الاعضاء عليه
مسحة من الجمال تحت ثوب من اللفظ لا يشاكل المعنى ، فامشي معه في ثقافته مشية
من يرى تلميذه اكبر من تلميذ . وضعت له هذه القاعدة : فكر طويلاً ، واكتب
قليلاً تكتسب كثيراً الى ان تفيض الترجمة فيضاً .

ومن اول مقال له ادركت ما هو جبران وقلت له : انك صائر شاعراً مطبوعاً ،
وكتاباً خيالياً فاتق الله ، الى الامام .

وكان جبران يسمو في أسلوبه غو الحورة وينبثق انبثاق الحوض ، ومعه تقوى
الروح الرثابة العابثة المتمردة .

وفي اخر السنة تركت المدرسة ولم اعد اذكر اين اتجه الى ان اهدى الي كتابه
وعليه العبارة (انت أولى بأولى براكيري) فكتبت اليه في بعض نقط ، فقطع الجبل .
. وكل ما اقله : لا تتعجل بنشر نقد جبران قبل ان تلم به من
كل ناحية . وجبران كان يحذق فن التصوير وهو في المدرسة .

لا اقدر ان ابي رأيي في جبران لاني لم اطالع تأليفه كنافد ، ولا جدي اليوم ،
بل اعتقد انك بدرسك له الدقيق نجد الغث والسمين . وعسى نقدك ان يكون نظير
عصا موسى وراء عصي سحرة مصر... ان شاء الله الذي لا توفيق الا منه .

ابن عمك الخوري

٩ اذار سنة ١٩٣٦

شيء عن مي

يا حبذا !!

هكذا أجابني مي اذ دعوتها الى الكلام في حفلة جبران الذاكرة . كانت يومئذ مجاورة بالفريكة ، بعد عمتها ، وقد صحبنا الى زيارتها صديقنا وصديقها الريحاني . تلك اول مرة رأيت فيها وجه مي الذي اطراه الناس نعتاً . رأيتها فخلتني امام كنيسة مهجورة ، في عتمتها روعة وجلال ، وفي شقوق جدرانها رائحة الفن والذهب . من اين جاءت الى ذهني ، في تلك الساعة ، صورة ابن الفارض كما رسمها جبران ؟ لست ادري . رايت في محياها ظل الشباب مسفوحاً على الهرم . قعدت على « طراحة » كمادتنا اللبنانية ، وجلست هي على كرسي بالقرب مني ، فاعتراني اضطراب التاعد قرب جدار متداع . ادركت فوراً انني امام امرأة لبنانية لم تمح مصر ولا مدينة الغرب خطأ واحداً من خطوطها الجميلة .

يا حبذا ! تلك عبارتنا الاقليمية عند الحسرة المزوجة بالالم . فهي بنت قرية من قرانا المتواضعة وهي ما برحت تحتفظ بلحن عذب تحدث به لبنانياً عتيقاً لا يتمطق ولا يلوك لسانه . قابلته ماري زيادة بالمثل ، وهي بنت الجبل مثله ، لا تعرف مضغ الكلام ولا صبغ الاحاجيب كبدويات المتنبي .

كم كنت غليظ القلب في الحاحي عليها ، فواعجبا ثم واعجبا لي ! كيف لم افهم ان هذه الهاء هي هاء السكت والندبة . كيف لم ادرك ما احتوت عليه (يا حبذا) من تفجع يعتلج في صدر تلك المسكينة ، فرحت ازيد الطين بلة ولا احس . كانت مي في تلك الساعة :

كعصفورة في كف صفل جبينها لتأني عذاب الموت والطفل يلعب
قد ، والله ، كنت اقل من طفل ، واني لا ذكر ذلك وضميري يؤنبني . فمغفرة
يا روح بنتنا العزيزة .

كنت انا مل مي وانا في حضرتها ، كاني غيلان اطوف بربعها الخرب . كانت
تحدثنا بصوت في قرارته حسرة تحاول اخفاءها فلا تحتفي . رايتها تأبى الجلوس بين
الصديق الشيخ فؤاد حيش والسيدة عقيلته ، عملا بتقليدنا اللبناني الذي تلقته في مدرسة
البيت . لم تبدر منها بادرة لا عهد لي بها ، فبانت في عيني مثال المرأة اللبنانية ، لا
تجود باكثر من ابتسامة لما كنا نقهقه من نكات شاردة حضرتنا في تلك الساعة . اسمعت
بتوهم : بنت متهورة . لقد رايتها تلك الليلة بشخص مي فاستغنيت عن البحث
والفتيش .

قرأت ان الدكتور فهمي ختم خطبته ، وموضوعها (نزعات مي في حياتها) بهذه
الكلمة التي يقال انها كتبها قبل موتها : (هذا قبر فتاة لم ير الناس منها غير اللطف
والبسما ، وفي قلبها الالام والغصات ، لقد عاشت ، واحبت ، وتعذبت ، وجاهدت
ثم قضت)

من نكد الحظ ان تبدي حياة مي بالملتبس ، فبعدما امست الكاتبة الاولى
احبت الكاتب الاول فمضى لسبيله . وكان الكبت وكان الانفجار ، ولم تفز مي
بالتصعيد الفرويدي المزعوم لتسامي بغناها وتستولي على الامد . فلو احبت في فجر
طلعتها الادبية لظلت امامها رقعة الامل واسعة ، ولكنها ابتدأت حيث ينتهي الناس
فلم تتحول غريزتها الجنسية الى اسى من الهوى ، الى حب الجمال والشعر والموسيقى
فذهبت ضحية (الفكرة الثابتة)

(الفكرة الثابتة) شر من التنين الذي رآه يوحنا ، فاذا احتلت ساحرة الشعور
سيطرت عليها واستعمرتها ، وكيف لا تفترس حملا وديعا لا حاجب على حظيرة ولا
يواب . مات الاب ولحنت به الام ، وامست البنت وحدها ، وجهها والحيط كما
يقولون ، وجبرائها امسي عريس البلى .

قد يقال ما هذا الحب وبينها مجور اقل امواجها جبل . فنجيب ان بشار بن برد

قد انبرى لحل هذه العقدة فاستفتوا شعره . واذا كان علم النفس يعلل الحب العياني
زاعماً ان المرء يحب شخصاً حقيقياً ، بل يعشق شخصاً خيالياً فينتزع من نفسه اشياء
يسبغها على معشوقه حتى يخال انه اكتشف بذلك اسرار النهاية وحقيقة الوجود ،
فكيف بمي المفتونة بسحر جبران حتى ترى فيه شخصاً اسى من البشر ؟

ان التقاليد التي شن عليها جبران الف غارة هي التي ختمت مأساة من احبته حباً
جماً ، هذا الختام الفاجع . ابنت البنت ان تخفف رأسها وتذهب الى لقاء الشاب ، فعلى
الشاب ان يسعى . وقبل ان يلها حلاً ملائماً مات جبران وعاشت مي بعده كراحيل
لا تريد ان تعزى . استبدت بها (الفكرة الثابتة) فابغضت الناس وتحامتهم لانهم
سعدوا دونها ، حتى ابنت ان تستقبل الدكتور طه حسين الذي سعى اليها ، بل اذانه
— كما روى — بان ليس بينها وبين غيرها من الناس اتصال ، ولا خطاب ولا حديث
الا من طريق الكتابة ، فان كانت لك كتب لم اقرأها فارسلها الي ، واما شخصك فلا
اراه ولا يراني .

اقبمت لي في العالم العربي اعراس تليق بالعروسة الخالدة ، ولا بدع ان كانت
خيرها عرس مصر فقد اسدت الى الكنانة خير الياضي ، وجددت عهد الاندلس في
ذلك الراي الهمج . فهذا اسميل صبري باشا يتلف بشعره الرصين الى يوم الثلاثاء —
يوم صالون مي — ليرى مي والا فلا كان يوم الثلاثاء . وهذا امير المنبر الدكتور
تقولا فياض يهتف من على منبر الجامعة الاميركية :

يا مي ، هذي ساعة الميعاد فلي فؤادك عن خفوق فؤادي

وهذا الدكتور طه حسين يقول في ناديا : (وحسبكم اني استطعت ان اصل
اليه حين لم اكن اكثر من طالب بالجامعة القديمة) .

وهذا الدكتور شميل يخاطبها بتصيدة لتلبن ويفرخ روعها بعد ما دخل خدرها
محنشاً فافزعها :

اذا ما قت اطري الحب يوماً الا تدرين انك في خيالي

ومي ترصد هذا الحساب الضخم بما أوتيت من فصاحة ولسن وشدة عارضة. كانت في ذلك المعترك ، معترك المتول الكبيرة لا الاحداق والانهج ، كما يقول المثل اللبناني : يا بحر ما يترك ربح . وظلت شاحنة كأنها سندية الكنيسة حتى اقتلعتها العاصفة الشمالية . ليس بين يدي من كتب مي الا كتاب واحد عنوانه بين (المد والجزر) كاني به عنوان حياته ، ولكنه لا يكفيني لرسم صورتها كاملة . بيد انني استعين بذاكرتي فاتخيلها وارسلها ببضعة خطوط قد تبدي للاذهان صورتها المصغرة .

مي غربية شرقية في تفكيرها ، تفاعلت في قلبها الثقافتان فكان من نتائجها تعبير رصين لم تظهر بثقة انشئ قبلها . فهي الكاتبة خير انشئ عرفها الشرق العربي ، وهي في اسلوبها المتين تبرز الكثيرين من الفحول كما قيل في بنت عمها الخنساء .

نفست الخنساء كربتها بما قالته في رثاء اخيها صخر ، واعتصمت مي بالحياة فماتت بدائها . ولها عذرها فالام غير البنت ، والشقيقة غير الحبيبة .

في منشورها رائحة شعر ذكية ، وفي تعبيرها موسيقى بعيدة الاثر . كانت ادب المقلدة مسيطراً في عهد صباها فتأثرت كغيرها بأسلوب الشدياق والحداد واسحق وغيرهم من كتاب القرن التاسع عشر ، ثم ضمت الى قسماتها الفنية بعض ملامح جبرانية ربحانية .

الكثير من ادب مي يؤثر بمقارنته لانه ابن الانفعال ، والانفعال كما يقول ريبو ، خميرة الابداع الفني .

بحس قارىء مي انها قرأت كثيراً ، وتمثلت ما قرأته فاخرجته متساها بطابعها الشخصي ، وان لم يكن في هذا الطابع نتوء بذلك عليه فتعرفه انى وجدته . والذي عندي ان مي ليست ممن يرسلون المقال عفواً للخاطر بل تنتزع وتحكمك ، فاذا كانت الحطية عبد الشعر ، في أمة النثر . اما اثرها في بنات جنسها فبعيد جداً ، انها ربة البند والعلم ، وبحق يعتقد لها اللواء في ادبنا النسائي الحضر والناير ، وحسبها هذا .

رحم الله فتاة نابغة هي احدى حلقات سلسلتنا الذهبية ، وفي ذمة الله حياتها ضاعت . (بين الجرر والد) « ان المطر غطت وحدها تشيع السفينة - سفينة نبي جبران -

بنظرها حتى توارت بالضباب .

اشارت اليها المحبة فاتبعتها ، فدرستها على يديها ، وغربلتها لتحررها من قشورها ،
وطعنتها لتجعلها نقية كالثلج ، وعجنتها بدموعها حتى تلين ، واعدتها لنارها المقدسة ،
فكانت خبزاً طاهراً ، ومحرقة نقية »

امد الله في حياة اخواتنا الكاتبات ، وابقي لهن رداء الشباب .

ما بين مي وجبران

رسالة تكشف الغطاء وتزيل الستر
نعيمه وكتابه «جبران خليل جبران»

يا صديقي.

لا تعجب ان اخاطبك بياصديقي ، فقد كنا وما زلنا اصدقاء وان ضرب الدهر
بيننا ، وفرقنا ايدي سبا .

تذكر ايام المدرسة ، وقد سبت وشبا . وحينما — تمرون الديار ولم تعوجوا —
انظر الى حركاتك وسكناتك فأتذكر مارون المرح كالبرذون الفار . لا تسعه
الارض التي يحملها او يحملها . وعندما اسمع حديثك او افراك اذكرك لواءك نكاتك
التي كنت ترمينا بها فنفر نفع عنك بعد تكأ كئنا عليك نتعشر بك . اذكرك (عاصي)
و (الناكوزي) وغيرهما؟!

تلك ايام (وهيدي بداها) يا مارون .

سمعت حديثك في راديو الشرق فعرفتك ... ارشدني اليك ما في صوتك من بجة
وصحل لا ازال اذكرها — ماركة مسجلة — فبقيت اسمع حتى انتهت كلمتك عن
مي — الله يساعدها — واعلن المذيع انك انت هو ، ذلك المارون الذي كنا نحب
قوارص كلامه كالنساء النواتي يستطiben الاطم والضرب ... اسمعت بين ؟ يظهر مما
افرا لك انك بكل شيء عليم — الحمد لله على هذه النعمة ...

قد طال الحديث وأقصودك كما أدتك سئمت وقلت : ايش بدتك يا خيبي ! قل

وحلّ عني .

الملك يامارون ، لانك نبشت قبري ، وشرحت تلك المستورة على قارعة الطريق . أليس الراديو مثل قارعة الطريق واكثر ! ما كنت ألومك لو لم تأت ما نهيت عنه . أما لت الكاتب الكبير ميخائيل نعيمة حين تحدث عن حب جبران لمبشيلين ، وما كان بينهما من علاقات ؟ أليست هذه كتلك !؟ ماذا هم الادب هذه النواحي ، أليست عيوباً يجب ان تغطي ، فالانسان ضعيف ، وما خلق آلهة كاملاً . منزهة عن كل عيب وضعف .

الامضاء ب.ع.

ب.ع. نصف بعب . من هذا ؟ لست ادري . جمعت قوى ذاكرتي واستغنت بدفائري ، وانتظرت الفرصة انتظار القارم اللحم والصائم بيضة العيد فقرأت ، كتابي الجوائز لسنتي ١٩٠٥ و١٩٠٦ من الجلد الى الجلد ، فلم اوفق الى شخص عرفتة وعرفني في مدرسة الحكمة بيتدي اسمه واسم اسرته يهذين الحرفين .

ذكرني هذا الرفيق بايام (البنوتية) التي لا انسها ، واحس اني أحيائها وانا ازاحم الستين . فلم ابلغ بعد الساعة التي اقول فيها مع ابي نواس : واراني اموت عضواً فعضواً . واظنني لا ابلغها .

اسمع ايها الصديق (الحشري) . انا لم ألم الاستاذ مخايل نعيمة لانه قال ان جبران بشري احب كما يحب الناس ، ويشرب كما يشرب عبید الله ، وجمع من حطام الدنيا مثلما يجمع معظم المخلوق . وهل انا مجنون لاعتقد ان جبران لا يعيش باللحم والدم كسائر الناس .

لا اشك ابدأ في ان دم جبران حار جداً ، وان زهت غير ذلك فرسومه تكذبني . ان تياراته الفكرية في أدبه وفنه تنبج دائماً صوب الحب الذي يراه الحياة كلها . ومن قرأ اول حرف وآخر حرف بما كتبه جبران — حتى يسوع ابن الانسان — رأى (الحب) كنجة للتطب واليهما تنبج سفينة جبران .

ولست اشك ايضاً في ان حياة الاديب الفيلسوف مخايل نعيمة اقرب الى الصالحين المتعنفين ، وان حياة جبران اقرب الى الوثنية اللبنانية العريقة منها الى المسيحية

الطارئة . ولكن كل هذا لا يدعو الى تلك (الزحمة) الكبيرة التي صرف اليها نعيمه
همه ، بدلا من ان يدرس ادب جبران درسا جامداً وعلى ضوء لا يتخرج ولا
يتذبذب .

انا لم اكتب حرفاً بعد عن كتاب نعيمه في جبران ، وان كان ، في نظري ، على
علاته ، خير ما كتب عن جبران . ما ابطأت عن ذلك الا لاني ساتكلم عن مدرسة
جبران واثرها في ادبنا الحديث حين تتجمع لدي الوثائق الكافية . اما وقد اثرت
الحديث فلا بأس علينا من قول كلمة عابرة .

بين كلامي وكلام نعيمه فرق واضح . ان الاستاذ نعيمه تحدث عن (فضائح) وانا
لم اتحدث الا عن حب طاهر اين منه الحب العذري . قد رأى جميل بشينة ، والمجنون
ليلي ، اما مي فو الهف قلبي عليها . . ان نعيمه يروي حديثاً يعجز عن اثباته بالوثائق
التي هي مقطع الحق الاول . اما انا فسأريك — اهلني قليلاً — ما يزيل كل شك
بخامرك ولا يس مي وجبران بضر . ان حبها كحب ابي وامي ، وابيك وامك يا
صديقي ب ع . اما ما ذكره الاستاذ مخايل — ولا استبعد وقوعه اذ ليس جبران
اعظم من داود — ففيه جموح ونعد يؤخذ عليه من قال فيه نابغتنا الدكتور فيليب
حتى: ان ملايين الدولارات التي كسبناها في هجرتنا لا تساوي جبران خليل جبران .

ليست (مبشيلين) شخصاً وهماً في حياة جبران ، فهناك صورة لها بريشة جبران
محفوظة في متحفه ، واذكر ان تاريخها سنة ١٩٠٨ . ان مبشيلين شخص من لحم ودم مرّ
في طريق جبران ، ولكنه اصبح — كما اظن — تحت قلم الاستاذ نعيمه شخصاً روائياً .
فكتاب نعيمه في جبران وان كان ذا قيمة فنية رفيعة ، فهو كروايات ديماس
يختلط فيها حابل التاريخ بنابله . اخرج الاديّب الكبير بشكل رواية بدأها بوع ، وع .
وختمها بفر ، غر . اي من المهد الى اللحد . وهدف نعيمه في كتابه إعلامنا ان جبران
بشر مثلنا — آمننا وصدقنا .

وما رأيت نعيمه يملك وثيقة تؤيد ما زعم ، ولا هو شاهد عيان... بل لا يملك اخر
مقطع من مقاطع الحق وهو (التواتر) . فاكثر الذين خالطوا جبران ولا بسوه
ردوا على نعيمه بعنف وقسوة .

خاف نعيمه ، كما ظهر من مقدمة كتابه ، ان يصير صديقه جبران اسطورة او نبيا ، فارانا ان جبران انسان لا غير . والا فهاذه الحكايات عن فلاتة وفلاتة ... الاوربيون يذكرون المرأة التي احبها الاديب ليبنوا اثرها في فنه وادبه ، ولم نر شيئا من هذا في كتاب نعيمه . فيشيلين وفلاتة اشباح لا علاقة لها قط في الادب الجبراني ، وقد يكون لمن علاقة ولكن شيئا من هذا لم يذكر . فكان الغاية التصوي من سرد الحوادث بيان ان جبران احب حباً خفياً واعلان ان جبران (نبأ كاذب) . يقول ذلك نعيمه في (ص ١٧٩) ويروي ان جبران قال ذلك عن نفسه . اراد ان يعترف لصديقه في البرية ، ولكن تواضع ميخائيل حال دون سماع ذلك الاعتراف القاسي . (هالتي ان يمضي في اعترافه امامي فيجد نفسه المعاتبة المتمردة امام عيني ، ويلتزع عنها دروعها العديدة ، ويتركها عريانة وبلا سلاح . ومن ثم فمن انا لاقتبل اعتراف نفس وان تكن اختاً لنفسي ؟ ! وقد تكون نفسي اخرج الى الاعتراف منها) ص ١٩٠

لبنه سمع ذلك الاعتراف وحلّ جبران من خطايا بعد التثبت من توبته وندامته .. وجاءنا بالتفاصيل ولم يتركنا فيما تركنا فيه من حيرة . فانا اجلّ الاستاذ مخايل واحترّم اخلاقه النبيلة واصدقه اذا قال سمعت باذني . وبعد فهذا الاعتراف يذكرني باعتراف دوستوفسكي لتورغنيف ، واكن نعيمه كان ارحب صدراً .

لقد ولقى الاستاذ نعيمه كل التوفيق في اخراج قصة جبران ، فهي خير ما كتب ، وخير ما اذاع وما اذيع له . شاء الدكتور طه حسين والاستاذ توفيق الحكيم ان يكونا بطلي قصة فكبا ، في سالنش ، قصة « القصر المسحور » ولكنها قصرا جذاً عن الاستاذ نعيمه في كتابه جبران خليل جبران ، الذي هو ابن عم المثل السائر لحنا . فكثيراً ما يلتقي نعيمه بابن الاثير ، فيدعي ابو الفتح ويتواضع مخايل والمطلوب واحد . ولنعد الآن الى حب مي المسكينة ، فقد كان له اعظم اثر في توجيه حياتها ، ففقت تلك المأساة ، كما علمنا وعلمت ، ايها القارئ العزيز . فهي بين الحسين كداود بين للتائبين . توبة داود منقطة صارمة ومحبة مي مؤلمة عارمة ، وفي كليهما لذة كالتشعريرة التي تأخذنا عند فجر ايلول في الخيمة . واذا صح ما زعم علماء النفس في تولد الهوى كان

الجلاني على مي خيالها القوي .

يعلمنا مبعث اللاشعور ان ميول الناس واعتقاداتهم تتبدل ، من حيث لا يدرون ، اذا خابت امالهم و كبت خيول امانيتهم في ميادين الحب . والخبر عن مي ، كما روى ادباء مصر الذين خالطوها بعد محنتها وقبل ان يلفها الفسق ، ان عاطفتها الدينية غت وتضخمت في طورها الاخير . ان طور اليأس والغم والقنوط ، ومنبعه الكبت ، يوجه الضعاف الى هذا الملجأ المتسع . فكل عمود من اعمدة قصر العواطف الدينية يرتكز على قمة هرم قطعت حجارته من مقلع ميول واهواء مكبوتة .

تلك حالة المغلوب اذا كان رجلاً فكيف به وهو امرأة بل بنت (مقطوعة) منبثة . فكم ادى الفشل الحبي الى ظلمة الدبورة ، وما الفرق بين فتاة تدفن حبا المقهور في قرنة ، وبين مي التي جعلت من بيتها ديراً قبرت حبا في زاوئته ، وصلت عليه صباح مساء . ان عزلة مي المفزعة ، فقد عادت طفلة في دنيا الحب والهوى اذا اعتبرنا الحب كما سماه برغسون « طفولة جديدة » . وقد انتهت مي في طفولتها الجديدة الى نسيان (الانا) فصارت ميولها (غريبة) وعالية ، كأنها ادركت ان سفينة املها الانانية قد تحطمت على صخور جزيرة الحب ، فكتمت داءها واستعلت على حبا بينها وبين الناس . فاما بينها وبين نفسها فظلت متمسكة بذلك الخيط الواهي تجدد لذتها في الما ، وفي الام لذة لا تحقى على الخبراء ...

ولا بدع في ان تلجأ مي الى دينها في تلك العزلة الموحشة ، فالحياة الدينية ينبوع العواطف العذبة والاحلام اللذيذة : طوبى للعزائي فانهم يعزّون .
والعاطفة الدينية تنمو غالباً في تربة الحرمان ، وتمتد جذورها حتى الطبقة التي يعيش فيها الكبت ، وهي للطبقة القريبة من النار في قلب العالم الاكبر والعالم الاصغر - الانسان -

وكأني اسمعك يا صاحبي بع تقول : قتلنا يا هو ! هات البرهان ودعنا من اللت والمط . فاقراً اذاً يا صاحبي المجهول هذا للكتاب من مي الى جبران .

١٥ يناير سنة ١٩٢٤

مصطفى

« ماذا جرى للبريد ! لقد كان يصل سابقاً في ثلاثة اسابيع او اقل احياناً . وها

مكتوبك يصل الآن بعد اربعين يوماً ، و معك تذكرنا بريد في غلاف خاص تملأه
الوجهين اليونانيين البديعين تناسلاً ومعنى . ما ابطأ الرسائل في انتقائها ! اترأها تجيء
من اقاصي الدنيا ، من اميركا ، لتصرف كل هذه الايام في الطريق ؟

عيد ميلاد يسوع ، يوم رأس السنة ، عيد معمودية يسوع وميلاد جيران في يوم
واحد . اتصوركم في هذه المواسم من فراغ ووحشة لاسيا عندما تمر امامنا وجوه ، ثم
وجوه ، ثم وجوه الا ذاك الوجه الذي نشوق اليه . ونسمع اصواتاً ثم اصواتاً ثم
اصواتاً الا ذلك الصوت الذي نطلبه ونناديه فيلبي منه الصدى (الافتراض) . حتى
نسيت ان تعيدني يا كثير النسيان ! في حين ان بعض اصحابنا يفتنمون هذه (الفرصة)
ليهنئوني (كثيراً) . او على الاقل ليتحفوني بزر كشة كهذه : يا مي عيدك يوم وانت
عيد الزمان الخ ..

لقد كنت يوم ٦ يناير بطوله موضوع تفكوري . وكنت مائلاً امامي بصورة
طفل ، نونو نونو ، تتحرك يدها الصغيرتان في الهواء بإشارة الباحث عن ادوات قدر له ان
يحملها ويحلبها . وتيسر لي ان اتفرغ للتفكير والتأمل في المولود النونو ، لاني كنت
مصابة بنزلة طفيفة علمت من رسالتك انها جاءتني منك . (كيف ذلك ؟) تستنهم
انت ؟ ذلك انك اجتزت كما تقول ، مسافة طويلة ليلاً وفي سيارة مكشوفة فكنت
معرضاً نفسك للبرد فظهرت نتيجة ذلك البرد في . مفهوم ؟ فلتوفر علي في المستقبل
جميع صنوف التولات والوافدات وما شاكلهن . لا تعرض نفسك لبرد واتق كل ما
يؤذيك . مفهوم ؟ وهل يوافق مصطفى على هذا الاقتراح ؟

كانك تلومني لاني اسألك عن صحتك ! وهل يمكن الا اسأل ؟ انك مدين لي بأن
تقول عنها ما قلته في هذه الرسالة ، فتسعدني بعد ان كنت تطعنني في الرسائل
السابقة كلما قلت انك مريض . وبدلاً من ان اشكرك على هذه الإشرى اودني مسودة
الى العتاب لان في نفسي لك قسطاً وافراً من العتاب ، على ما يلوح .

لماذا لم تخبرني بشغائك قبل اليوم ، قبل ان اسألك ، قبل ان نعود الى التراسل ؟
لماذا لم تقل لي انك شفيت منذ ان شفيت ؟ لست مغرمة بحكاية ابريق الزيت الا الى
حد محدود . ولكن كيف استطعت ان تهمل ظميني وانت تعلم ان ليس من بطني
غيرك ؟ كيف استطعت الا تفكر في كل هذه الشهور ولا مرة واحدة ؟

(علامة الاستقلال هذه) ، قد تقول انت . (النسيان بعض اشكال الحرية) قد يكون . وقد يدل كذلك على شيء آخر في بعض الظروف .

(اذا تخاضعنا في المستقبل فيجب الا نفرق مثلاً كنا نفعل في الماضي بل ان نبقي تحت سقف بيت واحد حتى غل الخصام الخ)

سجماً وطاعة ، يجب اهل اهدن . ولكن الرجاء الى سيدي الاستاذ ان يذكر انه لا بد من اثنين للخصومة ، فيجعل لاهل بشرتي نصيباً من النصيحة الحكيمة التي نفع بها جيرانهم ومنافيتهم . وان يذكرهم (هم يعني اهل بشري) بأن نصائحه ومشوراته اثن من ان يفرط فيها كما فعلوا (هم اهل بشري الذين فعلوا) يوم انت نسوا (هم اهل بشري الذين نسوا) صندوق الذهب الحلو المليح الذي كان يصلح الامور ويحل المشاكل . افدني — اجارك الله من غضبات اهل بشري — يجوز لجيراننا هؤلاء ان ينسوا ذلك الصندوق الواجب الوجود ؟

اما من جهتي فلدي من خطير المشاغل ما يبعدني حيناً عن كل تنازع وضوضاء . اني عاكفة على تفهم هذه الاعجوبة : اعجوبة ابيضاض الشعر بفودي تلك الجهة التي اعرفها . يا للتفصيل الحلو الحلو الفتان ! انه يستحق لفرط لطافته ان يدمج في صف واحد هر والذقن المطبوعة .

وعلى ذكر نقرة الذقن لا تحسب اني سأخاطبك لاجل الاحية التي تهددني بها . بل بكل حصافة وهدوء اتشرف بأن احيط مولانا علماً بأن من الشؤون ما لا شأن فيه لمولانا . وان ذقن مولانا من الشؤون التي لا شأن فيها لمولانا . فليتفضل اذن — بلا مؤاخذه — فيقف عند حده .

انتهيت من الكلام الرسمي الحصيف . واذا شئت ان اترجمه لك بلغتي العامية قلت : اني لا اريدك بلحية . واذا ابنت الا ان يكون لك لحية توليت انا امر حرقها . ها ! « هذه الابنة — يتحدث مولانا — هذه الابنة تصل منها الجرأة بل الوقاحة الى اخطاري بأنها ستحرق لحيتي المنوي ارسالها ! »

الامر كما تفضلت يا مولانا . سأحرق لحيتك ضاحكة كما اضحك الآن . ولا احتاج للقيام بذلك خير قيام الى اكثر من سيجارة اقدمها لك ، وعود كبريت (اتلطف)

باشعاله . وهناك يكون ما اريد . فتظل الذقن على ما ارادتها الطبيعة تحمل بين هضاب
(الجمود والنمة) صورة مصفورة للوادي المشحون بشتى المعاني ، وصورة من عطف
الزهرة التي وضعت عليها علامتها ...

اما (الشروط) التي تعهد بتسميتها بعد الاطلاع عليها فحسبي ان افول ان هذا
كلام يليق بقائه . فاعلم اذن ان البند الاول من هذه الشروط هو ان يتندي اليها
(المغلوب) من تلقاء نفسه . اما البنود الاخرى فتأتي بالتبع . فهات اونا مثالا جديداً
من ذكائك الفريد ! واحذر خصوصاً ان تخطيء في معرفة ذلك البند لئلا ترجع حسن
ظني بفراستك وصدق نظرك !

ما احلى رسالتك في قلبي يا مصطفى . ما احلى كلامك بين تافه الكلام وركيكه !
ان الفاظك وسطورك جدول نور وندى وتشمع وحرارة ولطافة وانشاد . ومع ذلك
فقل ما اخبرني به عنك . لم تقل شيئاً عن كتاب (نحو الله) وعن تلك الرسوم
الزيتية ، وما يشغلك الآن من كتابة او تصوير او هجس ، ولا نصف خبر عن
الوادي ! اصدق اني اشعر بأسف كما فكرت في الرسوم التي تنتقشها ولا اراها ؟
فاستعيص عنها بالنظر الى الرسوم المنشورة في كتبك واكتشف فيها كل مرة شيئاً
جديداً . هي خاصة فلك الاولى ان يكون زاخراً بالاسرار والمعاني ، متفلتاً من كل
تعريف ، هازئاً بكل حصر وتقييد .

جبران . كتبت كل هذه الصفحات ضاحكة لأتحايد قول انك محبوبي . لأتحايد
كلمة الحب . ان الذين لا يتساجرون بمظاهر الحب ودعواه في السهرات والماراقص
والاجتماعات ينمو الحب في اعماقهم قوة ديناميكية رهبة . قد يغبطون الذين يوزعون
عواطفهم في الألاء السطحي لانهم لا يقاسون ضغط العواطف التي لم تنفجر . ولكنهم
يغبطون الآخرين على راحتهم دون ان يتنوهوا لنفوسهم . ويفضلون وحدتهم ،
ويفضلون السكوت ، ويفضلون تضليل قلوبهم عن ودائعها والتأهب بما لا علاقة له بالقلب
والعاطفة . يفضلون اي غربة واي شقاء (وهل من شقاء وغربة في غير وحدة القلب ؟)
على الاكتفاء بالنقطرات الشحيحة .

ما معنى هذا الذي اكتبه ؟ اني لا اعرف ماذا اعني به . ولكنني اعرف انك محبوبي

واني اخاف الحب . اني انتظر من الحب كثيراً فأخاف ان لا يأتيني بكل ما انتظر .
اقول هذا مع علمي بأن القليل من الحب كثير . ولكن القليل في الحب لا يرضيني .
الجفاف والقحط واللاشيء خير من التزد البسير .

كيف اجسر على الافضاء اليك بهذا وكيف افترط فيه ! لا ادري . الحمد لله اني
اكتبه على الورق ولا اتلفظ به . لانك لو كنت الان حاضراً بالجد هربت خجلاً
بعد هذا الكلام ، ولاخفيت زمناً طويلاً فما ادعك تراني الا بعد ان تنسى . حتى
الكتابة اليوم نفسي عليها احياناً لاني بها حرة كل هذه الحرية . اذكرك قول القدماء
من الشرفيين : انه خير للبنت ان لا تقرأ ولا تكتب ؟ ها قد صح علي ارتياهم وصدق
في سوء ظنهم . لا تقل ان القديس توما يظهر هنا . وليس ما ابدي هنا اثر الوراثة
فحسب ، بل هو شيء ابعد من الوراثة . ما هو ؟

قل لي انت ما هو هذا ؟ وقل لي ما اذا كنت على ضلال او على هدى . فاني اتق
بك واصدق بالبداهة كل ما تقول . وسواء اكنت مخطئة ام غير مخطئة ، فان قلبي
يسير اليك وخير ما في يظل حائثاً حواليك يحرسك ويحنو عليك .

غابت الشمس وراء الافق . ومن خلال السحب العجيبة الاشكال والالوان
حصصت نجمة لامعة . نجمة واحدة هي الزهرة ، الالهة الحب . اترى يسكنها كارضنا
بشر يحبون ويشوقون ؟ ربما وجد فيها من هي مثلي ، لها واحد جبران ، حلوبعيد بعيد ،
هو القريب القريب . تكتب اليه الان والشفق يلا الفضاء . وتعلم ان الظلام يخلف
الشفق . وان النور يتبع الظلام . وان الليل سيخلف النهار ، والنهار سيتبع الليل مرات
كثيرة ، قبل ان ترى الذي تحبه . فتسرب اليها كل وحشة الشفق وكل وحشة الليل
فتلقي بالقلم جانباً لتعتمي من الوحشة في اسم واحد : جبران !

ماري

لم اتناول بحث حب ماري لجبران استفاضة من ان تصير ماري نبيه مثل صفورة ،
وجبران كوسي او احد الانبياء ، ولكنها نواة درس نبدأ به على ان يتمه غيرنا ان
لم يتمه نحن .

عد بنا الى الراء ، الى اول كتاب ماري فقيه كلمة جبران التوفو . ان الطيف

با صديقي يشغل حيزاً كبيراً من دماغ مي . وجبرائها النونويذ كرتني باحلام الصبا ، فكم عرس كاذب اقناه ، وكم بنية رأيناها تحتضن دميبتها وتمخو عليها حنو المرضعات على الفطيم . اقوا لمي في (ظلمات واسعة) (انا والطفل) تعرف حب مي للاطفال . طالع اولا قراءتها ما خطته يد الاقدار في كف روبرت من خطوط الحياة والعقل والقلب ، وكيف رأت تل المريع يرتفع في تلك الكف الصغيرة متهدداً متوعداً . (ص ٧)

ان مي انقلبت مع روبرت — اسم هذالك الطفل — (بصارة براجة) وهذا ما يثبت ما يؤكد علم النفس من ان صاحب الميل والهوى يتعلق بجمال الهوا ويصدق السفايف : واذا بلغت (ص ٣٤) وقعت على مقالة (بكاء الطفل) فتقرأ فيها (فدنوت منه متوسلة ، وضمته الي بذراعي التي لم تضم يوماً اخاً او اختاً صغيرة ، واجلسته على ركبتي حيث لا يجلس سوى اطفال الغرباء .)

(صحت الطفل حائراً لانه شعر بان روحاً تناجي روحه . صحت هنيهة ثم حذق في سائلاً عن اعز عزيز لديه . وقال بصوت هاديء كاصوات الحكماء : ماما ، ماما .)
(صغيرك يناديك فلماذا لا تجيبين ، يا ام الصغير ! لست بالعليلة لاني رايتك منذ حين تمسين بقدك تحت بونيظتك ، والخواهر انطوق العنق منك . انت صحيحة الجسم فلماذا لا تسرعين ؟)

(عودي من نزهاتك الطويلة ، وزياراتك العديدة ، واحاديثك السخيفة ، عودي واركمي امام الصغير واستمعيه عفواً . لقد خلقت امرأة قبل ان تكوني حسناء ، وكيفتك الطبيعة اماً قبل ان يجعلك الاجتماع زائرة .)

(تعالي اسجدي امام السرير ، سرير الصغير . اسجدي امام هذا المهد الذي لعبت بين ستاره طفلة ، وحملت به فتاة ، وانتظرته زوجة ، فما جعلت ان تهمليه اماً)

هذه احلام مي . هذا هو الشوق الكمين في سجاياها ، والحنين الدفين في لاشعورها ، هذه احلام الفتاة الكامنة في كتلتها كون الحياة في البرعم تحت برد كانون ، وعواصف شباط ، وصواعق اذار ، تنظر نيسان لتبرز . ولكن نيسان مزق سجوف احلام مي ومات جبران فيه ، ولاح لها غدها الاشمط .

ان ادب مي نوعان : ادب منبري ، وادب شعري ، وفي ادبها كليها تسود عاطفة الشفقة والحنان والرحمة ، وهذه كلها وليدة الألم . ففي تأملت جداً وانكى الامها الحرمان . حرمت الزوج والامومة وهي ترى ان المرأة ما خلقت الا لتكون امّاً . يلوح من مكتوب مي انها الباذة في اعلان حبها ، وان جبران كان كمادته يطوف حول الموضوع ولا يلجئه . ان بين سطور (مكتوبها) مشاهد والامأوشجوننا فيه حب مي واطواره كلها . وفيه ارتياح من مستقبل هذا الحب . وفيه شروط وبنود لا يوضعها لنا الا المفتود من رسائلها ، فرسائل مي لجبران ، ورسائل جبران لمي — الموجودة مسودتها — لم تسعني على البت في حل عقدة مصير هذا الحب . قرأت في كتاب (حياة مي) للاستاذ محمد عبد الغني حسن ان مي اعادت رسائل الادباء الى اصحابها ، فالى من اعادت رسائل جبران يا ترى ؟ فهل من يرشدنا اليها وله الشكر .

لسنا نسأل عنها لنثبت امر هذا الحب ، فهو لا يحتاج الى اثبات ، وقد حالت تقاليدنا الشرقية دون تحقيق هذه الامنية . فجبران لم يستطع المجيء او لم يجيء ، والبنت لا تذهب ، وهذه هي البنود والشروط الموما اليها في رسالة مي . وان زالت مي من دنيا الحب والهوى فهي باقية في دنيا الادب بقرب حبيبها جبران . وقد تكون صارت اليه اقرب ، اذا اعتقدنا كما يعتقد اصحابنا تلاميذ جبران .. ما اضيق العيش لولا فسحة الامل . بل ما اقل عتل الانسان . ان العقل في المعنويات كالبطنة في الذاتيات اصل كل بلاء . فياويل الانسان من عقله .

الى شكر الله الجبر

اخي شكر الله .

يخلق الشعر كل يوم عروسا
تبعثني لنا العذارى فذكسو
لا تقولوا شذا فما الشيب عيب
رب شيخ قضى الحياة فتياً
رب شيخ يظل عارض رمع
لو اتنا الحياة تسترذق العزم
مثلاً تخلق الخور الجبابا
عريها من بيانا جلبابا
ان في الشيب من يبر الشبابا
وغلام في موعة العمر شابا
ينصابي لو استحال توابا
خلعنا على الحياة شبابا

هكذا انا يا عزيزي شكر الله ، فما زلت كما فارقتني على مقعد التدريس في جبيل ،
اراني كما كنت تسمع مني من على ذلك المنبر :

يفنى الزمان وصبوتي تجدد
فكأنني في كل يوم أولد

لقد صدق الحوراني ، فما يأخذ الدهر مني مثقال ذرة عزمًا ، ولم ينل الزمان من
همتي قدر (حبة الخردل) ، وفي من الايمان بالحياة اكثر من مقدارها ، ولهذا احسن اني
استطيع ان اقول للجبل انتقل من هنا الى هنالك فينتقل ...

تطلب صورة (معلمك) لترى تلك الكهولة الصالحة ، ولا تقول الشيخوخة لثلا ..
فاليك احدث صورة في مكتبه بعاليه ، واليك ايضاً صورة اخرى وهي صورة تلك
(الدابة) التي تصورني اركبها منتصباً من فوقها كالرمح ، وهي من تحتي تغني الميبحانا
والعنايا وتندق موسيقي .

لا تسلي اين ذهبت شوارب الزناتي خليفة! فقد سددت بها منذ زمان فم الدهر

ايراني الناس جديداً او اقل سنين ، فاطلب ان يطول الله عمري لاؤدي رسالة نذبت
نفسى ، او لا ادري من نذبني اليها .. واننى لأتحيل اننى استأجرت الدنيا من الذي
نفسى بيده ، فأجرنيها عشرين سنة ، وعسى ان نجدد العقد بعد انقضاء مدته... ومن
الشروط بيننا وبينه ان يظل (الطابق العالي) عامراً ... فقل : ابشر بطول سلامة
يا مربع ، ان لم يجد ما يفسخ الايجار ، والا فاقول انا :

وما مات من عاشت بقاياها مثلنا شباب تسامى للعلى و (فحول)
لا اخالك ناسياً ايام جيل ، مسقط رأس جدك وجدتك لأمك ، وملعب صباك ،
ولا يوم كنت تجلس قبائلى على منعد اللمذة ، كانك (الحركة الدائنة) التي اختوعها
ابوك وحده ... تدندن كالنحلة في القفير ، وتحاول نظم الشعر الذي افلحت فيه ،
فكنت تلميذاً طاهراً كبطرس ، وحبيباً كيوحنا .

أي يا بني في الامس ، واخي اليوم ، تلقى الكلمة التي تريدناها ، لانهم الشيخوخة
فتشيخ قبل الاوان . هات اصبعك من وراء البحار والمس فؤادي ان كنت لم تصدقني ،
وكن مؤمناً لا غير مؤمن ، اسمعت يا توما ؟

اقرأ السلام عني جميع اخوتك ، رسل الادب العربي المبشرين بعهد الجديد . وليكن
شعاركم — وهو كذلك — ما قاله سيد الشعراء : ما جئت لاحل الناموس بل لأكمل .
كفوا رسالة التدماء ، ولا تنتقوها كلها ، ففي ذلك القديم جديد رائع . ان شعر
الحياة يبتى جديداً الى الابد ، وهذا ما يجب ان يعلمه الادباء واخص الناشئين منهم ..
ان ادبنا كبيت قديم راسخ بنيانه ولكن ابوابه شبابيك ، وشبابيكه نوافذ ، فعلينا
ان نوسعها لتدخله الشمس ، ويصح البدن ...

الحياة عندنا — غيت الادبية ولا يعنينا غيرها — في نشاط ، والشباب المثقف
يسعى الى مقعده وسيجلس عليه او كاد . وبأويل من لا يماشي الزمان ويظل قاعداً امام
دكانه يكتش الذبان عن (الخلاوي) المحمضة ...

ان مملكة لبنان الادبية ، كمملكة انكلترة ، لا تغرب الشمس عن ارضها ، والفضل
لكم ايها المجاهدون ، وللغزاة الفاتحين وزعيمهم جبران واركان حربه الذين شيدوا
واسوا قبلكم فلا تنسوهم . لا نكون كأولئك الملوك الذين كان يحو الخلف منهم

اسم السلف ويكتب اسمه موضعه . فليضع كل منا مدماً كاً في هذا الهيكل العظيم كما
يفعل الترويون حين يبنون كنيسة لتجيد ربهم ، واكتساب رضى قديسهم ..
ان من يفعل هكذا فقد وفى نذره ، اما من يفعل كذلك الملك فهو ديوث
منافق .

كتب اليك اليوم من مكتب عاليه ، واوراق تلاميذي امامي تنظر اليّ بالف
عين ، وما كتب اليك غداً من (ابرشيتي) الصغيرة — عين كفاح — صفحة
من ذكريات الماضي ، وما اكثرها ، وما احلاها ! اما الان فأعانقك ، واعانق كل
اخ لنا بالادب ، وراء البحار في امبراطوريتنا الواسعة ...

عاليه ، الجامعة الوطنية

١٩٣٧/٥/١٧

الشدياق والجاحظ والمتنبي

ضريح الشدياق
الشدياق بين مصر ولبنان
يوبيل مئوي
الشدياق وهينو
ابو الادب العربي ، الجاحظ
ليلة جاحظية
ابو عثمان وابو علي
زيارة شاعر

obeykandi.com

ضريح الشدياق

يظهر هذا الكتاب ويكون قد مر على ميلاد احمد فارس الشدياق مئة وخمسون سنة ، فهل يفوز الشدياق اليوم بما لم يفز به في ذكرى مرور خمسين سنة على وفاته ؟
ايكون لبنان المستقل برأى بنوابغه العرب اكثر من لبنان الانتداب ؟
اتقوم (جمعية اهل القلم) بهذا القسط وتحيي ذكرى ابي النهضة اللبنانية ، وطلبة ادبائها ؟

قد يقال : اتظل تتحدث عن شدياقل ، اما كتبت كتابا عنه وميته صقر لبنان ؟
بلى يا اخي ، ولكن لا يزال عندي شيء لا بد منه . لقد احبطوا مساعيها هناك ، فخرجوا ان تقوم هنا ببعض ما يجب نحو الرجل . فكثيرون لم يفهموه بعد .
اما عده الاستاذ محمود تيمور ، في محاضرة (القصة العربية) التي القاها في مؤتمر الدراسات العربية ، في الجامعة الاميركية ، بين كتاب المقامات ، وهو لم يكتب الاربع مقامات في (الفارياق) الا ليستهزئ بكاتبها ويضحك منهم .
وذاك الضريح الذي ثرنا على مكانه الشائن ، حتى قضت هندسة طريق الشام بنقله ،
ها هو يفرق اليوم بين البيوت التي احدثت حوله ، حتى خشينا على الشدياق ان يفطس .

لقد امست قبور حكام لبنان في غمرة لا تنجلي . ولكن جبار القرن التاسع عشر
يظل في قبره الحالي ارفه منه في قبره القديم الذي قلنا في وصفه منذ بضعة عشر عاماً
ما يلي :

قبر احمد فارس الشدياق ، مثل عين كفاح ، بلا درب . يعترضك الشريط الشائك

ان حاولت الدنو منه ، فعليك ان تنط نطاً ، او تحلق ، ان تقدر ، كما خلق شعراؤنا الكبار في (مناسبات) شتى !... اما اذا كنت أكرش مثلي فعليك ان تتوقى الشريط لئلا يعلق بشيء منك ، فيغضب لك الشيخ في قبره ...

القبر في الحازمية عبر طريق الشام ، يمر به الناس غير دارين انه مرقد الذي ملأ مشارق الارض ومغاربها ، وانفتحت لنبوغة ابواب ملوك عصره وسلاطين زمانه . شكل الضريح الخارجي مشتمن مقبب كأنه فانوس هرقلي ، او فقص 'سك' في رأس قبه هلال ، باهت كالدرويش في مفروق الطرق . داخله افخم من ظاهره وابدع ، كالكتب التي ابدعها الراقد فيه .

زرته ، اول مرة ، منذ سنوات ، فرأيت هرايزين صفته ساجداً ، وبابه مفتوحاً للزائرين من ذوي الحاجات ... والوسخ للزئار ... فتألمت وغضبت للنبوغ المتهن . لم ادر من اسب فالتقطت (الدهر) سبة الضعفاء ، واشبعته سباً وشماً فانقشت كربتي ، ومضيت في طريقي . ثم عدت بعد اشهر فرأيت الحال قد تحسنت : القبر مكنوس ، والباب متقل ، اما الدرايزين فمتلوع ، كأنهم استصعبوا اعادته كما كان فحذفوه ، وفي الحذف بلاغة ... سلمت يد من فعل ففي تسكير للباب احسان واي احسان ، وحسبنا استراحة الفقيد من زيارة الاوباش ، واثارهم الظربانية ...

#

ثم انقضت سنوات ولم اعرج عليه حتى جئته منذ ثلاث جمع فكادت انفسخ قبل ان اتخطى الشريط ، وما بلغت القبر حتى طأقت حوله اطلع على ما فيه من شبايكة ، فرأيته قد امن غزوات الفاتحين القليلي الحياء ... وبيننا انا واقف اذا بعجوز صعلاء ، شحطاء ، هر كولة ، تقبل علي متخصرة فسبقتها الى التهمة بقولي : الله معك يا ستي . فاجابت : الله يجيرك يا عمي .

ظننتها تقول يا ابني ، فقالت يا عمي ، رأنتي اعجز منها ، فتألمت جداً وترحمت على الاخطل الاصيل ، واين مصيبتيه من مصيبتني ، فالتني دعاني (عمها) عجوز محطمة . وفيما انا افكر ببقية شباب نعتها اتي هذه العجوز الدرديس ، اذا بها تسق الحديث قائلة : الميئت من فرايبك ؟

قلت : رجل هو أم مرأة ؟

قالت : يتولون رجل تركي .

قلت : وماذا رأيت في يا خالتي من ملامح الترك ، أوجهي الأبيض الحلو !!
فابتسمت وقالت : هكذا حسبتك ، ما تعودنا نرى أحداً يزوره . لا تؤاخذني .
قلت : حاشاك يا ... وابتلعت المنادى لئلا تبسّ الخ في توفيري فتجعلني جدها .
وتذكرت في تلك اللحظة يوم حبسني تخرب دواليب سيارتي في خان بكرة النعمان .
ما عرفوا اني اتيت خصيصاً لزيارة قبر ابي العلاء حتى اخذوا يتسائلون : منو ابو العلاء ؟
فقال واحد منهم : هذا رجل من عندنا كان مثل الزير وعنتر واكثر .
وقال آخر : وله شعر كالزناقي خليفه ، ومعارك تشيب الاطفال . فتجلى لي حينئذ
سبب تبزم ابي العلاء ، وتركك الخان كئيباً ، اؤثر عليه قارعة الطريق وعين شمس
المعرة التي تشوي العصفور .

وامس اصابني هكذا في الحازمية ، فالمرأة القاعدة بيت على كنف قبر الشدياق
لا تعرف جارها ، وتحسبه وتحسبني تركياً . وما انتهت من غفلي حتى رأيتها توليني
ظهرها فقلت لها : كلمة واحدة يا عمي ، امس كانت هذه الارض بوراً فكيف زرعت
وغرسم حول القبر ؟

فقالت : فلانة الحاج اشترت الارض من المير ، الارض ملكها اما القبر فلا .
فضحكت وقلت : كنتم اشترىتم القبر ايضاً ... اين المفتاح ؟
فاجابت : مع الحكومة . وكأنها شعرت باستيائي وظنني شديداً ، فقالت بتلطف :
ماذا ضرروا القبر يا شيخ ، كان العليق آكله عندما اشترىوا .

قلت : بارك الله فيك . فتمتمت : وفيك يا اخي ، فسرتني عني قليلاً لانها صغررتني ،
وشعرت انها ردت الي شبابي مثلما كان . وطابت نفسي وارادت العبت فقلت : اياكم
وزراعة البطاطة ، فالمرحوم كان يبغضها لكثرة ما اكل منها في بلاد الانكليز .

فنظرت الي مشدوهة ثم قالت : مليح ، لا نزرع بطاطة . قلت : ولا الفجل ولا
الرشتاد ، فهو يعبر الانكليز انهم ارادوا ان يسقوه القهوة ، ويطعموه معها الفجل
والرشتاد .

فتقهقهت وقالت : يا نقيبها اكلة ، الحق معه ، من يشرب القهوة ويأكل معها
الفجل والرشاد !

قلت : الانكليز ، كما يقول هذا المتصور هنا .

فاقتربت صوبي وقالت لي : بجيسانك يا ابني تقول لي ايش كان دينه ، وايش
كان يحب .

وحملت بي توقع الجواب ، فقلت لها : النساء فقط ، هن دينه ومعبوده .

فصفت بكفيها على فخذيها وقالت به ، به ، به ، يا صباح الشوم .

قلت : نحن عند المساء يا ست ، لا تقولي يا صباح الشوم .

فأجابت بتواضع : ستك العضرا يا عيوني ، هذه كمة تقال .

قلت : لا تخافي منه ، هو يحب الفتيات لا العجائز مثلي ومثلك . ولا ادري اذا
كان فعل كداود في مرضه الاخير ...

فقلت : وماذا فعل داود ، فقلت لها : اسأني معلم ذمتك - الخوري في لغة العتاق -

فتأوهت وقالت : يا حسرتي ، راح راننا وسابقنا ، ايش بقي منا ... ثم تأملتني

وقالت : اراك تحب الضحك .

فأجبتها : وجارك هذا كان يضحك اكثر مني .

وقالت : الحق معك ، اضحك ، كل حياتنا مضحكة ، ولكن بشيذك تقول

لي اسفه .

فتعنفصت وقلت : احمد فارس الشدياق .

فصكت وجهها وقالت : اقبر عمري ، انا خوفت ، عرقته ، عوفته ، هذا فارس

ابن الشيخ يوسف ، هذا ابن ضيعتنا .

قلت : نعم . من اخذت انت ؟

قلت : نعم نعم ، كثرا الله خيرك يا عم - فاعادتنا الى الخس من ذي قبل -

ولكنني كنتها وقلت : وخيرك ، وخير هذه الامة اني لا تكلف نفسها ارشاد الناس
الى صاحب القبر .

وتركتني ومشت صوب الشمس ، وهناك قرفت تسند الحائط كأنها تخبصر في

العشي كعمر ابن ابي ربيعة . فقلت في قلبي : لو افاق احمد فارس ورأى هذه الجارة
الفرجورة ماذا كان يعمل واية نكتة يكتب ؟ وحضرت النكتة ولكنني ارجعتها
بسلام كأني تمام ، فالحقوق محفوظة للشدياق ، ومعاذ الله ان نكون من المقلدين
والمنفترين ...

وفيا انا افكر اذا بانثى اخرى تطل من فوق سائلة : من الذي عندك ؟ فقالت
عجوز انخير همساً : رجل غريب مطحول ، كثير الحكيم .
فقلت تلك : من هو . فأجابت العجوز بنبرة : تعالي اسأليه ، انا ما سألته ،
وما عرفته .

فلأوصت لارى أهى كالتى حدثتها فاذا العصا من العصية ، والفرق بينهما زهيد
جداً ، فأسرعت الى السيارة ، وقلت للسائق : الى عاليه .

*

— جان تذهب بكرة الى الحازمية ومعك آلة التصوير .

— شو بيروخ يامل — يعمل —

— تصور لي قبرا .

— كبر مين هادا ؟ — قبر من هذا —

— قبر احمد فارس الشدياق .

فردد : كبر احماد فاريس الشد ... وظل يشد نصف ساعة وما استطاع ان يخرج
الباق من فمه .

فاخذت ادله عليه فلم يفهم ، واخيراً قلت له : يا جان ، اتعرف قبر الباشا ؟
فقال : كبر والي . قلت : اي نعم ، اسمع ، تحت قبور الباشاوات قبر وحيد لا
سرو حوله ولا شربين . حوله شريط سائك يصون المغروسات الجديدة من الحمير والبقر
والمعزى .

قال : ما بيعرف ، فقلت : يا جان ، تعرف الهلال ؟

قال : وف ، كيف ما بيعرف الهلال .

قلت : تصور القبر الذي عليه هلال .

قال : كبير مؤسلم ؟ قلت : نعم مسلم .

فقال : سؤ يريد انني من كبير مؤسلم هنيك — عنيق —

قلت : هذا لا يعنيك ، صوره وخذ اجرتك !

قال : والمسروف — المسروف — قلت انا ادفع المسروف ، وثمن الصور ، ولك

مني علاوة اعلان عن فصاحتك في صوت الاحرار .

وبعد يومين عاد جان يحمل الي صورة الضريح وخبرني احاديث شتى جرت بينه وبين جيرة القبر . فقد تركناهم حيارى ولا سيما انهم رأوا زواراً عديدين في هذه الايام من اساتذة الجامعة الوطنية وطلابها — حتى ظنوا ان انقلاباً عظيماً يحدث في الجمهورية ، او ان قدسياً ظهر هناك عندهم ولم يعرفوه .

فهل لي ان اقترح على بلدية بعبداء او الحدث ، او على الحكومة اللبنانية الجليلة وضع بلاطة فوق باب ذلك النبر الفخم ، او على دكة امامه ، للدلالة عليه ، فيعلم المشرقون والعلماء والمشايخ والادباء والشعراء والصحافيون انهم مارتون بضريح الشدياق ، العالم والاديب ، والشاعر والكاتب ، واول صحافي شرقي عربي من الطراز الاول ؟ ايكون انبغ رجالنا ومؤسس نهضتنا الحديثة نكرة بيننا ، فنمر بمثواه كأننا نتطعم واديا كجوف العير ؟

وهل تفكر الحكومة الجليلة بل الدولة الفتية بعمل هامش لهذا الكتاب الخالد المطروح في الحازمية ، فتعاق عليه الحواشي والثمروح الدالة على يقظتنا الروحية ، لتعظيم اخلص ابنائنا للغة الفصحى ، واعظم العرب ادراكا لاسرارها ؟

قد يكون الناس مشغولين باحاديث المعاهدة ، والاستقلال ، والظواهرات ، ولا تلبذ لهم قراءة هذه السخافات — الادبية — اما انا فاقول لهم ، وسواء عندي اسمعوا ام لم يسمعوا ، ان للبنان دولة ادبية يعز بنيان مثلها على اضخم الدول ، فعلينا ان نخذ زعماءها . الدولة السياسية تضيق وتوسع ، وقد تكتسح ، اما دولتنا الادبية فخالدة ابدية ، لا يكتسحها فاتح ، ولا يدخلها غاز عنوة ، فابوابها مشرعة لعباري السبيل ، والفضل لمن يدخل ، ولا يزيد بها هذا الا منانة وقوة . فهبوا الى احياء

رجالها ، فهم ميراثنا الخالد .

سئل امير الجبل الاسود مرة : ما هي حاصلات بلادك ؟ فاجاب بابهة الملوك
وغطرتهم : الاميرات . لان اكثر الملوك - قبل الحرب الكبرى - كانوا اصهاراً له .

اما لبنان فلو سئل مثل هذا السؤال لاجاب :

الادمغة الكبيرة ، والتاريخ يشهد له .



الشدياق

بين مصر ولبنان

اسنولت مصر العزيزة على مبادرتين كان من واجب لبنان ان يستولي عليها ،
الاولى يوم مجتدت ذكرى مارون النقاش ، الي المسرح العربي ، والثانية حين خصص
بجمع فؤاد الاول جائزة ، لادباء مصر ، قدرها الفسائيرة لبنانية يعطاها من يكتب
احسن بحث موضوعه : احمد فسادس الشدياق واثره في اللغة ، والادب ، ووضع
المصطلحات الحديثة .

هذا نبأ اذاعته اول من امس وزارة التربية الوطنية عندنا . ترى ، هل فكر من
يعنيهم الامر فيها ان يدرجوا في منهاج البكالوريا العتيد اسم من اقرت له مصر بالفضل !
حيثيت يا مصر ، لكأنك تقولين لنا : هذا رجل النهضة لا غيره . لقد ظن المتعدون
طمس ذكره انهم احيوا غيره واماتوه ، فما حاق المكر . لا بأهله . لا بد لاحياء
الموتى من مسيح جديد ، ومن اين !

ما كنت لاعرف من عدل ذاك المنهاج لو لم أرَ (في كل وادي اثرآ من ثعلبه) .
كنت اسائل دائماً : اما نزلت طبخة عجوز ابن الخطاب ؟ فيجيبني الصديق جوزيف
شعون رئيس الديوان في ذلك الزمان : منهاج يرضيك ويعجبك . ولما فرض علينا ما
انكرت منه ، ما كنت اعرف انها شئنة اعرفها من (اخزم) ...

عجيب غريب !! الا يكون لرب البيت مكان يسند اليه رأسه ، الا يذكر
الشدياق في منهاج وطنه وهو امرؤ قبيح ، وجاحظه ، وخليله ؟ امكن ان تبني نهضتنا
على اساس ان لم يكن الشدياق حجر الزاوية ؟ ترى ، بماذا كنا نباهي لو لم تكن

آثاره ؟ حقاً ، لا يكرم نبي في وطنه !

هل من يقول لي ، واجره على الله ، اي عمل للخلاصة اللاهوتية في منهاج البكالوريا ؟
انحن نعد اكليويكيين ؟ وبعد فهل يعرف ذلك (الذكي !) من الخلاصة اللاهوتية غير
اسمها . اما الله شيطانه حين جعل فلاناً وفلاناً (فرضاً) ، ان يجعل الشدياق (نافلة) مثل
جبران !! انتز سوريا جبران في (متن) منهاجها ونضعه نحن على (الهامش) .

لماذا طرد الشدياق خارجاً ... ألا لأنه انتصر لآخيه الذي قتل صبراً ... اما حمل
فولنير قبله حملات غواشم ، وهو يدرس في مدارسنا ومدارس من لم يادهم قط ...
قد يقولون : في كتب الشدياق احماض ، فهل في كتب ابي نواس والجاحظ وعمر ،
وروسو ولافونتين ، كنافه بجن وعسل بشهده ؟!

ماذا يريد (رتيلاء) وزارة التربية ان تدرس ابناءنا من آثار من أفروهم في عصر
النهضة ؟ فواحد ، اجزل الله ثوابه ، جمع ولم كثيراً ، ولكنه لم ينشي شيئاً .
وآخران ما كانا الا مقلدين لقدماء . ومقدمة سليمان ليست مقدمة ابن خلدون ولا سفر
الجامعة . كان لها شأن قبل ان وجدت كتب الادب المختصة ، اما اليوم ؟؟

اننا نفهم منهاج البكالوريا معروفاً لانتاج نوابع الامة ، لا مأوى عجز . ان لبنان
موطن الحرية الاممية . فلنعلم له منهاجاً برئاً من كل ميل ، فكم هي مضحكة تلك
الخلاصة اللاهوتية في منهاج ادبي . فمتى كان منهاج نوفيستيا Noviciat يا جماعة الخير !
ومتى كان يأوي منهاج غير بغاء الكتاب والمبدعين ؟!

نعد وزارة التربية الوطنية بمنهج سوي فأن غربالها ؟ عفواً . اين الددت ...
ان الغرض الاعمى ونعراتنا اللثومية والطائفية تحول دون التطهير ، فلا بد لنا من
مكنسة لا شعورها لتتذف الاقدار ، مكنسة كهربائية لا تحس بما تعمل فلا تشفق
على احد ...

ان لهذا منهاج التربوي قصص اطول من قصص الحيات . ففي عام ١٩٣٢ التأم
ما كاترا يسمونه مجلس المعارف الاعلى ، فكان كسفينة نوح ... دار البحث فيه حول
الغطاحل فرفعت الطائفية اذنيها وكان الشدياق كبش المحرقة . اما كتب احمد فارس
(الفاريق) ؟ فكيف تطلب من رجال الدين وريبتهم ان يؤيدوه ! لا اعيد عليك قصة

جبران فقد سبق ذكرها بالتفصيل . ولكنني اريد هنا ان اريك ما حصل بعد حين لتعرف بمقدار التعصب البشع .

في عام ١٩٤٨ انضمت دول منظمة الاونسكو في لبنان ، فكانوا اربعاً واربعين دولة . وشاء لبنان ان يريهم وجهه الادبي فاختروا منتقيات لاعلام ادباء النهضة وشعرائها ، فكانت المقدمة وتراجم ادباء هذه المجموعة من نصيب الاستاذ فؤاد افرام البستاني ، المقيم العام (الدائم) في وزارة التربية ، فهو الضيف الخفيف الظل الذي لا يحول ولا يزول من تلك الوزارة . كتب تلك المقدمة (اعزه الله) ببلاغته المعهودة . فقال في المقطع الاخير منها :

« فانت المجموعة انسانية الرمي ، وافرة التنوع فكراً وتعبيراً ، جامعة بين الرصانة التقليدية والجرأة الطافرة ، تدرج شعراً من تامر المصلاط وداود عمون الى فوزي المفلوف والياس ابو شبكة ، ونثرأ من ابراهيم اليازجي الى عمر الفاخوري ، ومن بطرس البستاني الى شلي الشميل ، وهي ، على اي حال ، تحمل ذلك الطابع من العمق والشمول الذي ماز الادب اللبناني على مختلف العصور . »

اتهي (الفرمان الشاهاني) ولكن اين ابو النهضة الحديثة احمد فارس الشدياق ؟ انك تجده في طليعة المنتقيات في الصفحة الخامسة والسبعين من كتابهم (اعلام اللبنانيين في نهضة الاداب العربية) اما كيف أبعده الاستاذ فؤاد افرام في مقدمته السابقة الذكر ، فهذا دهاء اقتبسه الاستاذ وتدرب عليه .

انه اراد ، اذ لم يستطع حذفه للمرة ، الا يذكره في مقدمته ، والا فكيف يستطيع ان يذكره قبل المعلم بطرس البستاني كما جاء في ترتيب الكتاب . واني قلم فؤاد افرام الا ان يغمز من قناة احمد فارس ، فقال حين ترجم له في الصفحة السادسة والسبعين :

« ولم يد ان ضاق به دينه لينتقل الى آخر فأخر . ذلك انه ليس في الكثير الذي يقرأ للشدياق ما يدل على ازمة ضمير »

وانتقلت الى ترجمة المعلم بطرس لاقراً ما قيل في دينه ، فما وجدت اقل اشارة الى ذلك ، مع ان الرجلين رحمهما الله ، عافا ما روئيتهما .

اظنك ادركت الان ان هو حجر العثرة في طريق المنهاج التربوي اللبناني .
تعصب قومي طائفي ، ورجال هم هم يولجون اصبعهم في المنهاج ... ويأبون الا
ان يكون حسب ميولهم واهوائهم . تلصق تصرفاتهم التعصب بالمارونية ، والمارونية
قومية قبل ان تكون طائفية ، والبرهان على ذلك صراعها المستمر مع رومية محافظة
على (المجمع اللبناني) دستور استقلالها . كانت ولا تزال في نضال دائم للحفاظ هذا
الدستور ، وكان الغربيون يحاولون دائماً هدمه ، واخيراً تم لهم النصر و (ليتنوا)
الكثيرين من كهنة الموارنة ، فتهربوا وعافوا (الاكليل والقاووق) . ومات (المجمع
اللبناني) ولم يدفن دفنة مكرمة ، فاصبحت الاساقفة تعين كإيعين (الضابط) وينقلون
كما ينقل .

رحم الله البطرك الياس الذي قال لي حين كتبت محتجاً على انه ليس منا كردينال :
اسكت يا صبي ، تريد ان تجعل بطرك الموارنة موظفاً عند الفاتيكان ، ينقله حين
يريد الى حيث يريد .

بطركك مستقل اكثر من البابا ، والاول في لبنان افضل كثيراً من الثاني في
رومية . الا تعرف هذا المثل ؟

فقلت : وكيف .

فقال : فاذن اسكت . صد بوزك .

الحاذق يفهم .

يوبيل مثوي لكلمة تحفّت بعد قرن

غداً تبذلع هاوية الزمان هذه الضجة الصاخبة حول مرّة البطرك الماروني على
بيروت ، بطريقه الى رومة المدينة الأزلية ...

وبعد غد تفجح اللجة حنجرتها ، وتزدرد الشؤون والشجون هذا القيل والقال ،
فتنام الالسنه في مضاجعها وتسكت المحاضر سكوت الارض بعد العاصفة ، وترمع
السنونو في الافق مبشرة بربيع جديد .

وبعد سنوات معدودات ينسى المؤرخ ما اصابته به الجسوم من حكاك ... ولا
يسجل التاريخ الا ثلاث كلمات ستكون فاتحة عهد جديد . وكما يحمل الفجر بين
انامه الوردية قرصة برد هكذا يبتدىء هذا العهد ، فليطشّن المخلصون المصلحون ،
فما بعد الفجر الا النهار ، والنهار لا يكون ليلا مهما تلبدت في سماءه الغيوم ..

سينسى التاريخ طقطقة خيول الحرس الجمهوري ، وزفيف الدراجات ، ونحيات
العسكر ، وارتعاشات الموسيقى ، ورنين الكؤوس ، وكياسة المرحبين ، وبلاغه
الخطباء ... انه سينسى كل هذه ولا يحفظ في ذاكرته الا ثلاث كلمات فقط .

ان المؤرخ كالتناقد لا يبالي الا بالروائع ، وروائع زيارة صاحب الغبطة في بيروت
ثلاثة اسطر . فلا تلك المآدب ولا الحفلات ، ولا السيارة ولا العلم ، ولا الالوف
المؤلفة من جماهير النظارة ما يصفه المؤرخ الذي يماشي الدهور ، انه سيسجل هذه
السطور الثلاثة .

زار البطرك انطون مفتي المسلمين .

زار البطرك انطون حاخام اليهود .

زار البطرك انطون المرسلين الاميركان .

وان لم تات الزيارة الاولى بالحلب المروم فتى ثنيانها وثلثانها يكفل الزمان عقد الخطبة . ستشر هذه الزيارات في الزمان الاتي ، وتنبج الاعصاب المتوترة ، وننسى عناصر البلاد — وما اكثرها — (رقم ٦٩٦ مكرر) كما تحت انامل الدهر البطيئة غيرها من مواد .

الله كريم .

كثيراً ما تخرب الصحف ما يعمره الادياب ، الصحف تنظر الى حوادث اليوم ، اما الادياب الملمهم فيرى ما وراء القرون . يحلم الادياب فيضحك قومه من احلامه ، اما الايام فتحققها بعد حين . قد يضطهد الادياب المصلح حتى يموت لاجل اطمئنان الخلق ، فيضحك الناس خلف جنازته — ان مشوا خلفها — وتمزج قهقهتهم بتضخمة عظامه ، ولكن دمه يسقي نواة الحق وينميها حتى تصير دوحة يتفأ ظلها الهازنون ، ولا يذكرون الفارس والساقى .

قد يكون اعداء المرء اهل بيته كما فعل طنوس الشدياق — صاحب تاريخ اعيان لبنان — سقيق اسعد الشدياق حين تنصل من تبعة ضلاله ، والنمس له المغفرة من البطريك ، اما اخوه فارس — احمد فارس الشدياق — فتمرد ، وهاجر متمرداً ، وعاش متمرداً ، ومات متمرداً ، واليك الخبر :

في . طلع القرن التاسع عشر قدم مرسلون ببليشيون اي انجيليون^(١) قصداً لانذار في لبنان في شيعتهم ومعتقدهم ... فتصدى البطريك يوسف حيش باقاومتهم باشد غيرة ، وبرز ضدهم (منشورين) بهما ينبه ويحرض ويحتم على ابناء طائفته ليكونوا محترسين من خداعهم (كذا)

ففي المنشور الاول يحظر البطرك الحيشي على الاكليروس والعلمايين الموارنة الا يقتنوا كتب البروتستان ، والا يبيعوها او يشتروها ، او ياخذوها هبة ، والا

(١) - تاريخ المقاطعة الكسروانية للخوري منصور الخدوني.

يطالعوها لاي سبب كان ، اما هذه الكتب فهي التوراة والانجيل وغيرهما من كتب
حلوات ومواظ وجدل ديني ، وعلى كل من عنده شيء منها ان يحرقها او يرسلها الى
الى الكرسي البطريركي ، والا يتعلموا في مدارسهم ، والا يطالعوها مؤلفاتهم ، وان
خالف ذلك اكليركي كان (مربوطاً) او علماني كان (محروماً) .

وجاء المنشور الثاني الصادر في ٤ كانون الثاني سنة ١٨٢٦ فكان اشد لهجة . امر
فيه البطررك الحيشي ابنا ملته ان يتجنبوا البروتستان التجنب التام دينياً ومدنياً ، فلا
بيع ولا شراء ، ولا قرض ولا استقراض ، ولا مؤاكلة ولا محادثة ، وبالاختصار
لا سلام ولا كلام . ومن يخالف ذلك يسقط في (الحريم الكبير) المحفوظ حلالاً للسلطان
البطريركي .

هكذا امر البطررك ، وهكذا كان ، فاصبح الماروني يهرب من البروتستاني هربه
من الجدري والطاعون ، وان يخالف فالويل له . فالبطررك الحيشي بطرك قتي حارم
لا يحايي ولا يهاود . كان يحكم لبنان دينياً بحكم الامير بشير مدنياً ، وهما معا صراحت
شهران يعرفها تاريخ لبنان .

في ذلك الزمن العصيب مض شاب ماروني يجير الى الثلاثين ، هو اسعد الشدياق
فيمضي اوامر البطررك الخطير ، ولم يبال بظهيره امير الجبل الرهيب ، وناصر
البروتستان علانية ، فاستدعاه البطررك اليه ووجهه ، ويش من رده فسلمه الى الحاشية
فأرشدوه فتناوبوا الامر ولم يفعلوا ، فصدر امر البطررك بسجنه في قنوبين - الكرسي
البطريركي - وهناك مات سنة ١٨٣٠ .

اجنظت الارقام جيداً ، اني اراجع : اصودر الحيشي منشوريه ضد البروتستان
سنة ١٨٢٦ ، ومات اسعد الشدياق في سبيلهم سنة ١٨٣٠

ووقف فارس الشدياق - احمد - في جانب اخيه اسعد ، ولكنه لم يسجن في
قنوبين بل هرب الى مصر ينادي بحق اخيه اسعد في الحرية ، ويتنصر له ويشكو الى
الدنيا ظلامته ، ويخطي . في (فاريافته) مضطهدي اخيه ، ونادي منذ قرن بما تكبر من
يتقوه به اليوم : الدين لله والوطن للجميع .

وفي سنة ١٨٣٧ جاء احمد فارس الشدياق الى لبنان سراً وبما قاله لجماعته : ان

رأس الفقير ليس باضيق ولا اصغر من رأس الامير ، وان يكن اكبر عمامة منه
واغلظ قدالا .. ارفعوا فرق المذاهب من بينكم فذلك ادعى لكم الى الحظ والسرور .
اعاوا هداكم الله ، ان فرق الآراء في الاديان لا يمنع من الالة والمخالاة (١) .
هذا ما قاله في ذلك الزمن الاسود ، احمد فارس ، اخو اسعد الذي نام في كهوف
قنوين نومة الابد .

لم انشر هذه الصفحة المطوية من تاريخ الحيشي البطارك الاروني (١٨٤٥-١٨٦٣)
لافتح عمل ذلك الراعي الصالح ، فنحن نعلم انه لم يفعل في زمانه الا واجبا دينيا نام
بعده مستريحاً على رجاء التيامة بالرب ، والفوز بالاجر الجزيل ، ولكن لفهم اخواننا
(اليائسين) مما يحدث غالباً فيؤخر التقدم المنشود . فلا تقتضوا يا اخوتي من رحمة
ربكم ، واصبروا فان زمان بطي السير ، واقدامه تمحو حتى النقش في الحجر . ان تطلبوا
مني برهاناً ، فزيارة البطارك انطون للمرسلين الاميركان بشخص زعيمهم الدكتور
بيار خردج رئيس الجامعة الاميركية برهاني .

ففي سنة ١٨٢٦ حرمهم الحيشي مرتين كما قرأتم ، وفي سنة ١٨٣٠ ذاق اسعد
الشدياق غب انضمامه اليهم فمات فتياً ، وفي سنة ١٨٣٧ قال اخوه احمد فارس :
ارفعوا من بينكم فرق المذاهب فذلك ادعى الى الحظ والسرور الخ . فلم يصدق احد .
وفي سنة ١٩٣٧ اي بعد قرن ، زار البطارك انطون المرسلين الاميركان وشرب
الشاي مريثاً . لم تنقل الصحف ما قيل هناك ، ولكنها نقلت ما قاله الجالس اليوم على
الكروسي الذي جلس عليه الحيشي ربع قرن ، وهذا هو كسجع في بيت ساحة المفتي
الجليل الشيخ توفيق افندي خالد .

« الخادم منا السيد ، والكبير صغير ، والصغير كبير ، وكلنا اخوة . يجب ان
يحب بعضنا بعضاً حباً صادقاً ، نحن البشر جميعاً انحدروا من اب واحد ، اذن نحن
جميعنا اخوان . فيها اختلفت مشاربنا ووجهاتنا في الحياة ، فكل فرد منا يسعى لتجديد
الله ، والله ينظر الى نفوسنا . علينا ان نحسن اعمالنا وتكون رابطة اخوية . »
وعدت في مساء ذلك النهار (٢١ نيسان) الى عاليه فنظرت الى قبر احمد فارس .

المعزول فرسفته بوردة ، اما ضريح اخيه اسعد فلا وصول اليه لانه في وادي قنوبين .

*

سألني ويسألني كثيرون ماذا عند احمد فارس حتى تظنب في الشاء عليه هذا الاطناب وتنادي به اباً وزعيماً للنهضة ، فجوابي الى هؤلاء كلهم : طالعوا كتب احمد فارس فهي لا تقرأ من عنوانها ، ان في كتب الشدياق لادباً وعلماً وسياسة . ويقولون لي : والاحماض ؟ فاهز برأسي واعجب من هؤلاء ، وفيهم من يدعي سعة الاطلاع ، فكانهم لم يقرأوا من كتب ادباء العرب غير مختاراتها ، فلو قرأوها كلها لعلموا ان احماض احمد فارس اقل جداً من التي عند (المؤلفين) العرب الذين اتفقت جميع المناهج العربية على تدريسهم .

ما كان احمد فارس منشأً مقلداً ، بل كان كاتباً عملياً مجدداً ، جريئاً الى اقصى حد ، يخطيء الدول العظمى ويعنفها ، ويلوم الملوك والسلطين ، ويعالج المجتمع معالجة النطاسي .

ان في كتبه خيرات كثيرة ، وعلى مائدته طعام مختلفة الوانه يوافق كل ذوق ومزاج حتى اصحاب الحمية منكم...

لا تسألوا المغاسر من ابة الطرق وصل الى القمة فهذا لا يعنيكم . كبروا الجرأة والجراسة والجهاد ، فليس الفنان من يحمل البركار والزاوية ، والذراع والهندازة ، الفنان لا يبالي بالمقاييس لانه هو يخلقها ويتركها بعده للذرية . ليت شعري من علم ايوب وداود وسليمان واسعيا وارميا ويوحنا متاييس الفن .

انراوا كتب نابغتم تعلموا عظمتهم . ففيه كل سمات الاديب الذي يستحق الدرس والتعظيم . يرحم الله بودلير الشاعر الفرنسي القائل : لا يكون للاسم رجال عظام الا على كره منها .

الشدياق وهيغو

اذا وضعت الكتب الانكليز ، سكيت ،
وامرسون ، وداوردروث ، وبلويز ، في شخصية
واحدة ، امكنك ان تتصور جيداً عظمة
الشدياق . ولو ولد هذا الرجل في اوروبا لدفن
مع نخبة العظماء ولُنصبت له التائيسل في اكثر
مدن بلاده ...

الاجيشيان غازت

خففوا من عتبكم ايها الاخوان فما مت وما افلست كما ظن احدكم ، وما انا خصم
احد من الناس فاصالحه وتكون الغرامة سكوتي . لا اسكت حتي تقوم ناقة صالح ،
ولكنني اخشى ان افصح شبابي الغض ان يجت بما عاقني ، فعذراً ايها المرسلون ولتكن
كلامي هذه جواباً لكل منكم .
ثم اليس من الصناعة والبلالة ان نبحث الادب والحلي على الكرسي تميخض
وتملأ البلاد طحيراً وزحيراً ؟

اليس من الخفة والسخف ان تغني النواوند والرصد للغوغاء والضوضاء ؟
فوالله لو فعلت وحدثتكم عن الادب في موسم الانتخابات لقلتم ما ابلده وما ابرده .
الدولة تعلم الحياة الدستورية وهو غارق الى اذنيه في الكتب الصفراء ... صدقتم يا
بشر ، ولكن دستوركم المسخ يكلفنا كثيراً وما لنا منه الا الالم . فهو ، وحياتكم ،
مخلوق غريب عجيب ، كثير الرؤوس كتنين يوحنا الحبيب ، وعديد الايدي
والاصابع كالاخطبوط ، يأكل ولا يعمل ، فلا ابره فرح بميلاده ولا عين امه قرت

به ، بل جفلت منه تنظر اليه كنافذة عمر المجنونة .

عفوآ ، ما لنا وللسياسة ، قد اشتط القلم والشدياق في الحازمية ينتظرنا ، مرت على رأسه ثلاث وزارات : ابو شهلا ، وبللمع ، وثابت . فلعل الثالثة ثابتة كما يقول المثل اللبثاني ، فيعمل صاحب المعالي الجديد جورج بك ثابت شيئاً يبيض وجه الادب . ابو شهلا نوى واستعد ، وبللمع قامت قيامة الاتخابات في عهده وغطست الوزارة على دررها ففرنا بعد تلك الزوبعة بعقد اطول من (العقد الفريد) ، فيه ثلاث وستون خروزة من خيرة المعادن ؟ ..

لعن الله هذا التلم فهو شحوس جموح لا يخاف الملوي المحصد من القند كنافذة ابن العبد ، ان اخذت من لجامه فنظر كأفا سرت اليه العدوى من احاديث الناس ، فإذا افعل به ؟ اما الوزير الثالث في عهد ذكرى الشدياق فالله نسأل ان يبسط السكينة فوق كرسيه في عهد الائتلاف ... ليعيونا اذنأ صاغية . وينجز ما وعد به زميله الاسبق . واجعلتنا من جريدة (البورس اجبسيان) الافرنسية التي كتبت ما يلي تحت عنوان : فارس الشدياق شاعر الشرق الادنى الكبير .

« ما بين سنة ١٨٠٢ و ١٨٨٧ نشأ رجلان ان اختلفا موطنأ ولغة فقد اتفقا في الاتجاه والمثل الاعلى . من المفيد جداً ان نعلم ان هذين الرجلين اللذين لم يتعارفا ابدآ قد جريا لغاية واحدة طول حياتهما . فهذان الرجلان المعلمان المطلقان للغتها قد تصرفا بها كما شاءا بسهولة عجيبة . اسخطها محيطها فعاشا بحوران ، شعراً ونثرأ ، المتسلطين في عصرهما ، مقبحين الاساءة والجور .

هاجم فكنور هيغو الهيئة الاجتماعية من الجهة المدنية فهجا العظماء وفابليون ، فارسله الى المنفى ، اما الشدياق فانتقد في معظم كتبه رجال الدين الذين تألم منهم بلاده وهم الذين سببوا موت اخيه اسعد الشاعر المعروف في السانية والثلاثين لانه بشر بالمذهب البروتستاني . ثم انتهى امر الشدياق باعتناق الدين الاسلامي .

اما هيغو فاقامت له فرنسا التائيل وتغت بذكره ، واما الشدياق فلم تذكره شعوب الشرق الادنى الا هذه السنة اي بعد مرور خمسين عاماً على وفاته ، اذ شعروا انهم لم يفعلوا شيئاً حتى الان لنقادهم الاكبر ، وسيد فقهاء لغتهم في القرن التاسع

عشر . اذكر كوا ان منشيء اول واشهر جريدة عربية — الجوائب — امسى نسياً منسياً ، وان مؤسس الصحافة العربية لم يعرفه الشعب في احتفال وطني .

ففي تشرين اول ستقام ببيروت اعظم حفلة عرفتها تلك البلاد ، يترأسها فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية وقتل فيها امم الشرق الاذننى لتكريم ذكر لبناني كان اجراً واعظم نقادة ، بل اعظم علماء القرن الثامن والتاسع عشر . وسيخلدون ذكره بتمثال يرفعونه له في بيروت سنة ١٩٣٨ .

فنتمنى للناطقة العظمى الذى دافع طويلاً عن مصر وخصديويها في جريدته الشهيرة ان تكون حفلة ذكره لائنة بمقامه السامي .
قلت : يا ليت ...

ان حكومتنا تقدر ، لو شئت ، ان تناصرنا على احياء ذكرى وفخرة من امسى مفاخرنا ، ودرة نفيسة من درر تاريخنا الخالد .

هذا غوبلز وزير الدعاية الالمانية اعلن ، امس ، في (اسبوع الكتاب) فقال : ان السياسة القومية التي تمثل الامة تتجلى في الكتاب ، والثورات قامت على اكتاف الخطباء والمفكرين ، والانتقالات تقوم على المبادئ لا السلاح .
ثم اعلن في اخر خطابه الذي نقله الينا البرق ان حكومته خصصت مئتي الف مارك لمساعدة الادباء والشعراء الفقراء .

قلنا : اما والميزانية اليوم تحت الدرس فهل تفكر حكومتنا بتخصيص شيء لنابغتها الاكبر؟ انها تفكر ببث الدعوة للاصطياف ، فلماذا لا تكون ذكرى الشدياق احدى هذه الدعوات ؟

يا ليت شعري أية ذخيرة تفاخر بها هذه الجمهورية ؟ هناك غير الادمغة الكبيرة . واذا كانت حكومة المانيا ، وهي من اعظم الدول سلاحاً ، ترى الكتاب مبعث قومية ، فلماذا لا نغنى نحن بكعب الشدياق الفريدة ؟

عسى ان يحقق وزير معارفنا الجديد هذه الامل ، فقد طال الانتظار ويبس الكون .

أبو الأدب العربي

أبو عثمان ، عمرو بن بحر الكندي ، عصامي الأدباء ، كان بئاع خبز وسبك بسيجان ثم استحال زعيماً أدبياً ، بل أبا الكتاب العربي فجعل النثر يقف تجاه الشعر وقفة الذئب أمام الدب . أراد ، أولاً ، كما فعل المتنبي بعده ، أن يقيّد اسمه في التاريخ (إماماً دينياً) فوضع (الجاحظية) وكان نصيبه السجين ، ولكنه ارعوى فصار إمام الأدب العربي . قضى التسعين عاماً كاتباً باحثاً فامست كتبه مستودع المعرفة يرجع إليها الناطقون بالضاد حتى عصرنا هذا . وهكذا خلد ذكره في تأليفه التي صورت الحياة في عصره أصدق تصوير وكانت لنا ذخيرة لا تنفد مادتها . إنها استطالت المدة .

وظل ذلك الرجل يعالج الكتب ويحشدُها حتى تحينت منه غرّة فانتضت عليه وفطس تحتها كما زعموا . عجز الفالج عن وقف قلمه السيال ، وحار عزرائيل في قبض روحه فعاربه أخيراً بسلاحه ، فحق للجاحظ أن يقول : اتق شر من أحسنت إليه . مات الجاحظ ، بئاع الخبز والسبك ، فاضطرب قصر الخلافة ، وقال المعتز بالله لوزيره : يا يزيد ، ورد الخبر بموت الجاحظ ! فاجاب يزيد معزياً الخليفة الكئيب : لا مير لمؤمنين البقاء ودوام النعماء .

يقولون : لا يصدر عن التبجح شيء مليح ، وأنا لم أر أحلى واطرف واجمل مما كتبه هذا الرجل الذي هجاه الشاعر بقوله :

لو يخلق الخنزير خلقاً ثانياً ما كان إلا دون قبح الجاحظ

فاذا عدت الامم كتابها وقيل للعرب بمن تعدون ، فهل نستطيع ان نقدم احداً

على ابن بحر؟ لقد كان بحر آحاً ، وما زلنا على بعد عهدنا به نعرف من خضمه . اذا جلسنا اليه خلنا أننا نعيش معه في ذلك الزمان اذ يعرض علينا رجال عصره من ملوك وامراء وسوقة ، عرضاً غريباً عجيباً . فمن منا لا يعرف باب بيته ، ومضيفته وسفرته والمدودة التي (لا تنقش سماؤها لكثافة غيمها .) لقد شق للعرب طريق الثقافة وعبدها ، ومهد عتاب العلوم فسارت الذرية في شاعها باسمه ضاحكة ، لا تلهث ولا تكل . وعى صدره علوم ومعارف البشر اجمع في زمانه ، فكان ، وحده ، جامعة تلقى المباحث عن منبره ، فتلقاها الامصار معجبة ومكبرة .

فمن يقاس بابي عثمان الذي ناقش ارسطو كالأعرابي وجعل عقله حكماً يرسده الى نجمة القطب . فكم فك من عتد ، وكم حل من طلاس أكبرها غش النظر ، فزخرت الحياة حيث مر قلمه . ارانا عوالم جديدة منها المكتشف ومنها المبتدع . ومن رأى قبل ابن بحر أن في غير القصور حياة ، بل من راز ادب عوام الناس قبله فصف الامراء والسوقة في معسكره ، فكانوا جميعاً ابطاله الخالدين . ان ادب الدهماء الذي يعارض به ادباء العالم اليوم ادب الطبقات العالية ، أنشأه منذ اثني عشر قرناً ، مولانا ابو الكرميتين البياضويتين . قلن فخر الفرنج بموليرهم فهذا موليرنا في بخلائه .

هنيئاً لمن تهكم به الجاحظ فقد ابتاه ... فما الاصبهان والهمذاني والمري وابن العميد القائل: كل من جاءوا بعد الجاحظ عيال عليه ، الا مقتدون له وآكلون عن طبقه حتى البشم .

قد يعجب من لم يقرأ كتب الجاحظ ان قلنا له : الجاحظ عالم يدرس طبائع الحيوان والنبات والامعادن ، ولاهوتي يقضي عن الله في الارض فيجعل بعضا لهنم وقوداً ، ويجلس البعض على سرر متقابلين . حكم عقله في التضايا السوية ، وعينه في المشاكل الارضية ، فبنى يده على البصيرة والبصر ، يوم كان الناس لا يفكرون . رحل في سبيل تمحيص العلم الى الاقطار حتى شرفنا بزورة يوم كان يقال : السفر قطعة من العذاب .

لم يعرف العرب قبل هذا الرجل المظلم الملامع ادباً نيراً ضاحكاً ، ادباً يتفرق فيه طيب الحياة فتقراه كأنك في مجلسه الراقص . كان معلماً صادقاً فأفاد الالباء ، اما

انقلدون فرجعوا من عنده رجعة الخمار من العرس .

ما رأيت لعظيمنا شبيهاً الا فولتير ، اديب اوروبا الاعظم ، فكأنها جبلا من طينة واحدة حتى اتفقا في ابن الاخت . صهبا الباري في قالب واحد ثم كسره وهيهات ان يبدع ثلثاً ... من يجعل من الحبة قبة غير الجاحظ ، فله بشاعته ما احلاها ، وما اكثر خير دمامة خلعت على ادبنا العربي جمالا وظرفاً ، فهل لنا ببشع آخر يلاء المذاق الادبي حقاً ونوراً بعدما لمليء مواء وهريراً .

لقد كبر عقل الجاحظ عن السفساف ، فما هال امتداد الظل ذلك الذي يمدق الى الشمس ويراعىها . لقد حطم النظائر الذي يغزع ثعالب الحقول ومشى بحرية الفكر خطوات ... ما عاق رجله التيد الذي كسره جد الانسانية الطالع ولا خنق عنقه الغل ، فلم يكن ، والحمد لله ، (ثاني اثنين اذ هما في التّور) ، بل عاش للعلم والحق والحياة والادب الحي . فلولا بقية وجدان في صدر القاضي ابن ابي دؤاد لانحدر النور وطير كنز الثقافة في الفبور الى يوم يبعثون ، وكان العرب بلا جاحظ . قيل ان انكلترا قد تنازل عن احد مستعمراتها ولا تنازل عن شكسبير . أفلا يصح هذا في الجاحظ ؟

ليس الجاحظ الا تلك النبعة التي تخيلها الاخطل الذهلي في مدح اصحابه الامويين ، بل تفوقها الشجرة الجاحظية سبواً ، ففي كل فرع منها جمال ، وفي كل ثمرة طعم خلته فيها كوثر الجاحظ .

ان اكسير (الحدي) حقق احلام العرب وحول أفقه العادن ذهباً ابرزاً ، ونفخ من روحه فجا كتب فارانا في كل كلمة عرقاً ينبض ، وفي كل جملة دماً حاراً يحترق ويحرق . ان ذاك المركب الشنيع مستودع جمال لا ينضب ، ظل حتى مضى لسبيله في موعة الشباب . ولا تزال جدته النديمة تهزأ حتى الساعة بظرف هذه الايام ... اليس بيننا وبينه الف ومئة عام ؟ اجلس اليه لترى كيف انك تحدث ابن اليوم لساناً ومعرفة ، ونعلم ان لغة العرب تصاح لكل عصر لو احسن التوم التفكير ولكنهم قليلو المرؤة .

ابى الجاحظ ان يكون تعبير العربي كعباءته ، تصلح لكل شخص ولا تلائم

أحدًا ، فمبر بلسان فصيح يتصل بالحياة والأحياء ، فحرك التلويح وانعش النفوس .
وابى إلا العمل بكتلوا من طيبات ما رزقناكم فأكل كل غير محتشم . تمتع بالحياة
استمتاعاً عريضاً ، وشاء بجنه فكان طويلاً ، وعاش للادب قرناً كاملاً كتب في أخباره
بشق واحد ، فحقق أسطورة العرب في كاهنيتها سطوح وشق أثار .

ليت شعري ، هل عندنا رجل 'يخدم من الجهات الأربع غير الجاحظ ! والغريب
أنا نرى كيف التفتنا ، رجلاً كاملاً متين العضلات ، هو البحر من أي النواحي اتيت .
يعجز القلم عن تصوير الجاحظ في كتاب ضخم ، واشهد اني ما رسمت لأعظم
شخصية أدبية إلا صورة شطاء كلحية الأشيب المخنثة .

هذا الغرب الذي نقله في الملبوس والمأكل والمشروب وكل أساليب العيش
يكرم كبار أدبائه ويحيي ذكراهم من السنة إلى آخر الأرقام ، انه يحتفل بميلادهم
وبذكور تصانيفهم الخطيرة . فهل خطر لنا ان نذكر ادبنا الأعظم ولو بعد مرور
ألف ومئة عام !!

يسمع الناس ان الجاحظ كتاب الحيوان . أما من قرأه فيعلم انه كتاب الانسان ،
فهو مستودع كل ما عرفه الانسان في ذلك الزمان . يسرد الجاحظ كل
ذلك بأسلوب قصصي واقعي ، وهو لا يلقي سلاح الجدل والمنطق في جميع جولاته .
ميزانه منصوب دائماً على منصة العقل ، وهو لا يقبل إلا ما يسلم به تفكيره الصحيح .
كان الزمان أكبر مشقة لذلك الرجل . فحياته تاريخ قرن كامل ، بل تاريخ زهرة
العصور العباسية ، فقد شهدت عيناها الكبريتان أعظم صراع سياسي وفكري ، وخرج
هو من ذلك المعترك بنتائج باهرة لم يظفر بمثلهما أولئك الذين نعتهم فلاسفة
وعلماء .

كان مولانا أقدر الناس حجة ، تبرز لك شخصيته من وراء كل عبارة خطها قلمه .
لا ترتيب ولا نظام عنده ، ولا تبويب لما يكتب . مزج العلم بالأدب ، والشعر
بالفلسفة والحديث ، فهو كـرُخ الف ليلة وليلة ، ينقلك من واد إلى جبل ، ومن
جبل إلى بطحاء ، ثم يعيدك إلى حيث كنت ، ولا تدري إلا انك تقرأ الجاحظ .
يتخير أجمل الألفاظ وأحسن التعابير ويفرّ سريعاً من الأسلوب العلمي إلى مناحي

الادب حيث يتنفس بجلء رثنيه .

واذا سألتني تحديداً للأسلوب الجاحظي قلت لك: ما قوله ديكرت لخادمه: لا (تخریط)
عدم نظام مكبي .

ان اسلوب الجاحظ هو عدم الاسلوب ، فلا تحاول تقليدهُ الا اذا كنت ذا
شخصية كشخصيته .

★

ليلة جاحظية

كنت افكر في احدى امسيات تشرين بموضوع اكتبه بمناسبة انعقاد الاونسكو في لبنان فتمت مهبوماً . وكانها الاحلام بائنة تحت مخدتي ، فما اسندت رأسي اليها حتى سبحت في دنيا الله الواسعة ، وبعد طواف اضلاني رأيتني في بيتي في عين كفاف اشر على مكتبي كتاباً دهرياً فيه نخاريب وانفاق . وبينما كنت اتبين كلمة اكل اكثرها سمك المكاتب ، اذا ببائي يدق دقاً غريباً فقلت : من ؟ فلم يجبني غير قلقة انفتاح في القفل كأن فاعلمها لا عهد له بالاقفال الحديثة .

وطال الدق والترع ، فهضت ارجف غضباً ورعباً وفهت بما يدور على لسان كل غضبان . وفجئت الباب بنزق فانشق عن رجل ما رأيت قط أبشع منه وجهاً ، بعينين مثل الكلوتين وشفة كقطعة من طحال ، مربع بدين ، كل ما فيه راعب حتى الابداسمة . فصحت من هلمي : اسم الصليب وذكر الصلبان .

فما راعني الا زائري الجليل يرد علي بتوله : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم .

فصرخت به لما انكشف عن انسي : وانت تبسمل ايضاً يا حلو ! فضحك وقال لي : لأمك الهبل ، اوحسبني شيطاناً ؟ اين الذئب والقرون يا ذكي !..

ولم يهبل حتى ادعوه للجلوس بل استوى على الكرسي ثم قال : اجلس ، جئناك ، قل ما تريد منا . فسكت . ثم حاولتُ الاخذ بالحديث فما قدرت ، وفيما انا اتفرس فيه رفع يده وحركها في وجهي قائلاً : لماذا تعودت باقائكم الثلاثة ؟

قلت : لأخزيك ، هكذا علمتني أبي ، رعبني جمالك الفتان يا شيخ . وانت ماذا بسلمت ؟

فمجمج في حديثه ثم افصح قائلاً : اترك اجمل مني ؟ احتماً خلعتني شيطاناً ؟

قلت : نعم ، ومن يدربني ...

قال : لعن الله تلك اليهودية .

قلت : من الشيخ ، ومن اين مقدمه السعيد ؟

قال : لولا عرفتي لانفرج شذفاك ، وامتلأ فمك فرحاً .

فقلت : هلا تقول وترجيني ؟

فاجاب بعد قليل : إنا لبلوك ليكشفك الامتحان ، كيف لا تعرف من تمنيت

زورته ، وقلت ليته يعود الينا ساعة فنواه ، قد ادرك مالك شهوتك هذه فأشتر لي آذناً بالجيء اليك .

فاستغربت حديثه وقالت له : مترو مالك ؟

فاجاب بلا اكتراث : خازن النار .

قلت : اذن لا بد من جواز سفر حتى في مملكة جهنم ...

قال : لا يكون شيء الا من بعد اذنه .

ورأى ارتباكاً وتعسر معرفته علي فأشار ببداره وقال : انك لا تفلح ، وما في

الناس عبقرى كشيخ النار ...

فعرفته بها وعلمت انه الجاحظ لا شك فيه ، فقامت اليه احسافحه قائلاً : اهلا برجل

ينوب عن الجحيم بنفسه . لبتك اسقطت عن نفسك هذه الوؤنة . كنت امرت فذهبت اليك .

فكر كر في الضحك قائلاً :

كل آت قريب ... طرفتك زائرآ اللية وستردّها لي ، ان بي لشوقاً الى رؤية

جهنمكم ، وتقيل وجنتيك .

قلت : ايهاتين الشفتين الترمزيتين الرقيقتين ؟

فقال مشيراً الي : ليس اليق منها بهذا الجمال الساحر ، والشباب الفضّ ، والجسم

البض... وكان يعرض على الضاد فتخرج من فمه عريضة ضخمة كأنه لم يبرأ من الفالج كل البرء .

وامتد بنا السخر والتهكم والمزاح حتى تجرأت عليه ، وقت اعلقت في جيبه منديلا بقي صدره من الاعاب السائل . فضحك وقال : ذاك كان في دنياكم ، أو ما ترائي غير ما سمعت بي ؟ فضحكنا وقعدت استعط . فما رأى عذبتني حتى انقض عليها بمخالبه الخمس كأنه يأخذ ملحاً لتقدر هريسة ، ثم غيَّب العاطوس في انفه ولم يعطس ولكنه تجلى وفرح ، ثم فرك انفه وقال ان عاطوسنا افعل من هذا وستفرح كثيراً يوم تصير الى جنتنا ذات اللهب ، فنظر اؤك كثر هناك ، ان حقتهم الذهبية ملأى من العاطوس الروماني ... انه اطيب من هذا .

قلت : ويحك ما امر نكتتك ، الا تتركها حتى في النار ، فكيف حال من فارقت؟ قال : بخير يسلمون عليك .

قلت . بحياتك تقول لي اين مرفع جهنم ؟ فأجاب : في الدرجة الثالثة والثلاثين من عتلك ... وما يهمك هذا الامر ، ان طريقها معلومة ، والمجاز غير قلق .

قلت : والزبانية اهم على كيدهم لنا ؟ وكيف حال لوسيفورس ؟ قال : نعم ، ولكنهم سيحتفلون بمقدمك احتفالاً لا تنساه . قلت : ما بال هؤلاء الشياطين حافدين علينا ؟ نحن من وسدتم تلك المهاد ، ونحن وقفناهم على النار ؟ عليهم بيخا ئيل وجنوده من كل ذي جناح في الجنة .. قال : هو كذلك في دين النصارى ، اما في ديننا فلولوا سجدوا لآدم دخلوها . وسكت بغتة ثم قال : قريبتني كلاماً يا هذا .

قلت : عفراً يا عمرو ، الفرح ينسي ، فاهيك بأني فائق لاخباركم . فاستبشر لما دعوته بأحب الاسماء عليه وقال اني لم اطعم منذ يوم وليلة ، فقد الزاد في الطريق ، ونفضت الجراب على رصافة هشام قدام كنيسة مار جرجس ... قلت : وهل رأيت الاخطل هناك ؟

قال : لا اخطل ولا مخطل ، اين العشاء ؟

قلت : لينك نفقت جرابك على هذا المكتب فكنت ارى طعامكم .
قال : سوف تراه ونشبع منه ان شاء الله ...
وسكت وسرت لاقول على عادتنا : اهلاً وسهلاً بالضيف ، شرفني بأن جعلت
راحتك عندي الليلة .

فصاح : اف ، اف ، حقاً انك بليد ، حطّ الطبق ثم نثر ما شئت .
قلت : حقاً انك جوعان و ...
فقال : هفوان ، اين العشاء وما هو ؟
قلت : هو مضيرة وسلك ، ورزّ بارد ...
فضحك وقال : يسخك الله مثل رزك ، هات السلك والمضيرة ومرحّباً بالقالج ..
فقلت : وكيف حال ابن ماسويه ، فقال : رفعه الله الى اسفل ، فصار طيب
خازن النار الذي سمّيته انت ... ماذا سمّيته يا ربي .
قلت : لوسيفوروس .

قال : اي نعم . ورأى الطبق متبلاً فتجرك ليحكم فعدته فسقط بضعة مجلدات عن
الرف فاجفل وانتصب .

فقلت : لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين . فأجاب وعيناه في الطبق : ولا كافر مثلك ..
قلت : لولا تموت بها يا شيخ مرة ثانية فتزناح من عذاب النار . فتبسم وقال بعد
ان بلع اللقمة : اصدقت هذه الرواية ، فلو اهوى علي جبل عبود ، واطبق فوق أحد
لما فطست ...

وانقض على الطعام بالسكين والشوكة قتلت : كأنك ابن زماننا يا ابا عثمان !

قال : نعم ولا فخر ، قد علمني فولير آداب مفرقكم .

ونذاكرنا الشعراء على الطعام فأنثيت على جديد بشار ، فغص الجاحظ وممص
لسانه ، فغمزت الخادمة فصبت له الخمر في كأس نواسية وتمثلت :

تدار علينا الراح في عسجدية حبتها بانواع التصاوير فاروس

فأنسته حلوة ابي نواس مرارة بشار . فاستزاد من الخمرة المائعة حتى كرع ثلاثاً
أخطليات وقال : ان شرابك المفلعل خلّيق بذاك الظريف الديوث ...

فقلت له : لقد اجدت يا استاذ العرب وسيد الادباء .

قال : وبماذا ؟

قلت : بتو لك في ابياته هذه بلسان احدهم وهو جرّار : هذا شعر لو نقر لطن...

قال : حزرت ، وماذا يبغس في صدر الدجاجة ...

وجاءت الجارية لترفع الطبق ، فصوب الجاحظ نظره فيها وصعده فقلت له : لا

تحف ان عدت الينا مرة اخرى ، فهي ليست سنديّة فتقول (الجاحد) او (الحلّقي) بالباب.

فبدهني بتوله : ولكنها تقول المسيو جاهز ، او المستر هديكي ...

وادركت حتارتي ازاءه فتوقينه ، ورفعت الحديث وقلت : ما ادري كيف

اغفلك ابو الفرج الاصفهاني ولم يترجم لك .

قال : لانه مثلكم يعني بالشعر والشعراء ، ويبغس الكتاب اشياءهم .

قلت : الحق معك يا استاذنا الاعظم ، ان العرب ليباهون بك ، وما هذا الانسيان ،

وان انا ذكرتك دونهم فلاني اتدارسك مع تلاميذي فانت احد الثلاثين (الخالدين)

في منهاج البكالوريا اللبنانية .

وردد كلمة بكالوريا حتى استقام له لفظها وسألني : ما البكالوريا ؟ فخبّرتّه فاستضحك

وانسى ثم قال : وهل سألوهم عني ؟ قلت : نعم و كنت ميمون الطالع عليهم يا ابا عثمان .

اما الاحتفال بذكراك فهذا جد للعرب ، بل هو قسط من دين لك عندهم مستحق

منذ الف ومئة عام ، اما هزرت (العصا) في بيانك وتبيينك دفاعاً عنهم ، فلاه انت من

ابن بار ...

فتناول الكلام وقال : والله انت ، والله ابوك ، والله جدك ، يا اديب الادباء وسيد

البلغاء ، وامام الفصاحة واللسن ، ونبراس الزمن ...

فصحت : وي وي وي وي ، ايش هذا ، حتّا انك ابن بحر . أخرفت يا شيخ ؟

فقال : لا والله ، عشت مئة وخمس سنين بعقل كامل ، ولكنك مررتني بكلام

ففرحتك بشله . اريدني على الصمت وقد اطريتني حتى فلقّني .

قلت : انا لم اعد النيام بالواجب لك .

قال : ومن قال لك اني لئيم ؟ فأنا رجل لي بصر بالكلام وانشاؤه صنائعي .

قلت : لقد صدق ابن ابي دؤاد اذ وثق بظرفك ولم يثق بدينك .

قال : عليه لعنة الله ؛ فهو كسفود النابغة في سقر ...

قلت : انتشفى ، وانت كيف ؟

قال : في نعيم ، في نعيم مقيم ، ثم مسح فمه بكفه وقال : قم بنا فنزور الاونسكو ونرى ما عندكم من علم وادب .

فقلت : اما وقعت على غيري .

فأجاب : ان الطيور على اشكالها تقع . ان سيرى معك أسترُ لي . مجنون انا حتى انتقي غيرك خريّتا .

فصحت : يا ويلاه . اما وجدت غير كلمة خريّت يا ابا عثمان ؟!

فضحك وقال : لكل مقام مقال ...

وبلغنا بوابة مدينة الاونسكو فرأى الاعلام منصوبة على الركائز فعدتها وقال وهو يقهقه : ام اربع واربعين ... وما دخلنا قاعة المحاضرات حتي سمعته يقول : كأنها دارة جليجل .

فقلت : أتراها صالحة لاحدى اللذات الاربع المنقوصة . فأجاب : لو كان فيها ماء . وشاع الاستغراب والرعب في وجوه النظارة والهيئات حين دخولنا . ظنونا من عالم آخر ، اما المحاضر فكان يتحدث بجرارة عن السلام والمحبة . وافاض في الكلام فقال علي الجاحظ وقال : دعنا من سحر الكلام ، فهو ألهيّة لا غير .

ودق جرس التلفون فانقطع الحلم . كان المتكلم الاستاذ بهيج عثمان يطلب مقالا للاونسكو فقلت له : الليلة يكون عندك ، ولكنني كتبت موضوعاً آخر يطابق مقتضى الحال ...

أبو عثمان وأبو علي

هذا رغيث عتيق جداً ، من كعب الجراب ، بالغ من العمر سبعة عشر ربيعاً .
العمر كآله ان شاء الله ، وهذا غير بعيد ما دام الادب عندنا عنوان بؤس ، وحسبك
برهاناً على هذا ، كلمتنا المرددة منذ أيام ابن المعتز : ادركته حرفة الادب .

سبحان منقسم الحظوظ ! فبينما نرى العراق يدعو رجال الفكر في اقطار المسكونة
ليحتفل بذكرى ابي علي ابن سينا اذا بايران تدعيه ، وكذلك تركيا .

اما الجاحظ الاديب ، العالم العربي الاصيل ، فرجونا بشأن ذكره الالفية وزيرين
عراقيين السيدين صادق البصام ويوسف عز الدين وما عملا له شيئاً .

كان ذلك عام ١٩٣٦ فجاء جواب البصام كما نقرأ : نشكركم جداً على ما ابدىتم
من عواطف سامية في كتابكم المؤرخ ١٩٣٦/٢١/٦ . راجين لكم اخطار التقدم
والنجاح في خدمة العلم والادب . وقدكم الله لما فيه خير البلاد وصالح الامة . ودمتم بخير .

صادق البصام

وزير المعارف

وراح البصام بعد اشهر وجاء عز الدين ، فكتبت اليه فكان اكثر اهتماماً من سلفه
وذهب الجاحظ بلا ذكرى ، وان كان الخالد بدونها .

ان ما حدث اليوم بين دولتي العراق وفارس ، هو وفق لما يحدث في كل بلد .
يختلف (ملاك) على شبر ارض ويحلان املاكها الواسعة ، ويتركانها بوراً بلا
حرب ولا غرس .

قرأت في جريدة تلغراف : « ان الايرانيين يعتبرون ابن سينا ، واطناً لهم بسبب

ولادته في احدى مناطق بلاد العجم . « هذا ما ظهر اليوم ، اما الحقيقة فهي ان
الايانيين لا يعتبرون ابن سينا ، وحده ، عجبياً ، بل يحصون في تاريخ الادب
الفارسي الكثيرين من كبار رجالات الادب العربي كابن المقفع ، وبشار بن برد ،
وبديع الزمان ، وغيرهم . لقد طالعت هذا المؤلف منذ اعوام فقلت في نفسي لم يبق
لنا غير ابي عثمان ، ولما وقع حول ابي علي هذا التنافس تذكرت هذه الصفحة مطوية ،
فبعثتها من مرقدها .

ان الشيخ الرئيس ابن سينا عظيم حقاً ولكن هذا لا ينسي العراق ابنها الاصيل .
ان الرجل الذي دق اسفيناً في كل صخرة من صخور الفلسفات والمذاهب ، ولم يسلم
من غزاته احد حتى ارسطو ، ليستحق ان يحتفل وطنه ولسانه بذكره .

ليت شعري ، ايفاجر العرب الموالي ، فخرآ لا غبار عليه ، بغير الجاحظ والمتنبي
والمعري ؟ لقد قضت الشام واجب الاثني وما بقي غير هذا ، فهل تهتم العراق بابنها
العبقري ، ولو بعد فوات الاوان ؟

التقى الجاحظ وابن سينا في حرم العقل ، واحب كلاهما الحياة وملاذها . واذا
كان الشيخ الرئيس ابن سينا قد عالج الجسد ، فالجاحظ هو اول من طبب العقل وفك
عقاله . واني لاستطيع القول ، ولا ينكر علي احد ما اقول : ان الجاحظ هو اول
عربي دق باب الايمان المصحح بيد الفكر الحر ، ففتح امام الفارابي وابن سينا والمتنبي
والمعري وغيرهم باب الشك في (جاحظيته) ثم في كتبه ، فجزأ ابن سينا على القول فيما بعد :
دخولي باليقين كما تراه وكل الشك في امر الخروج

كانت حياة ابن سينا (عريضة قصيرة) كما كان يقول انه يريد ، وكانت حياة
الجاحظ طويلة عريضة ، وكلاهما خلف لنا تراثاً خادياً خالداً ، فمن الانصاف ان يسوتي
العراق بينهما في التكريم والاحلال .
البس الاغربون اولى بالمعروف !

زيارة شاعر

صافحته مرحبا ونفسي تقول لي انه المتنبي ، فصعدت نظري فيه وصوبته ، وقلت له : كن ابا محسد ، فاجاب : انا ذاك . واجال نظره في مكتبي ثم استوى على امثل كرسي .

قلت : منذ شهر وانا اتلفن الى الجنة ثلاثا ، كل يوم ، فلم يجيني احد لا رضوان ولا بطرس . وتلفتت الى الجحيم فاجاب مالك ليس عندنا من اسمه ابو الطيب ولا المتنبي ، ولا احمد بن الحسين ، فضربت لك الكائنات كلها ولم يأتني نباك ، فمن اين هيت ؟ بحياتك تقول لي ؟!

فاجاب بصوت يكاد لا يسمع :

وهذه الارواح من جوه وهذه الاجسام من توبه

قلت : اذن لا جحيم ولا نعيم ، وانت بين بين ..

فبسم كالمساخر وقال : اما فرغم بعد من هذه المعضلة ؟ عدت عن ذا...

فقلت بعد صمت يسير : كيف نجدك بعد انك عام ؟

قال لا احمد الله على شي .

قلت : ولا تقول ان شاء الله ..

فقطن لها واستضحك قائلا : وكيف انتم ؟

قلت : كما وصفتنا منذ عشرة اجيال بتصيدتك : احق عاف بدمعك الهمم .. وجعلت

انشدها حتى اتيت على خامس بيت ، فزفر ، وامسكت . وخفت ان يبرح بغنة فقلت

له : من غرائب الاتفاق ان تحتفل بيوت وباريس بيوم واحد في ذكرى شاعرين

كلاهما شغل الناس .

فكشر عن اسنانه واجاب : ولا فرق بين الذكريين ، ذاك تحت قبة المجد ، وانا تحت المصابيح الحمراء ...

فظننته يهزل فقلت : واين تريد ان يضعوك وانت القائل :

كم قتيل كما قتل شهيد لبياض الطلي وورد الحدود
يتوشفن من في رشفات هن فيه أحلى من التوحيد
كل خصاصة ارق من الحر بتقلب أفسى من الجلود

أوتطمع بعد هذا ان تكون بين الكنيسة والجامع !

فنظر الي نظرة كادت تقتلني .. وكان سكوت .

وحضرت القهوة فصاها بعد امتناع ، فاستعطاف . ورأيت الاجمل ان انكب عن

هذا الحديث فقلت : أترى اعمى المعرة في جوكم ؟

فاجاب : نحن الشعراء لا نعرف الا من تقدم ، اما من تأخر فيعرفنا ولا نعرفه .

قلت : تعني ان المهري استضاء بنورك ، وفصل ما أجملت .

قال : واقول اني لا ازال نهياً مقسماً للشاعر والشويعر والشعروورمنكم .

قلت : ان في لسانك اثرآ من كل مصر .

قال : الا تذكر قولي : ابدأ اقطع البلاد ...

قلت : واليوم ، اين بيتك ازرك في ديوانك ؟

قال : اما منزلي فكما علمت ، واما ديواني ففي دواوين شعرائكم .

قلت : ما عبت هذا يا احمد .

فامتعض لانني لم اكنه ، الا انه ابتلمها وقال : بلى واكثر من هذا انت تعني .

فانجز الحديث وقلت له : حقاً يا ابا الطيب لقد نهجت نهجاً جديداً في الشعر العربي

وقلت كلمات لا تقنى ، ابصرها العيان واسمعت الصم .

فانتفش وطابت نفسه ، فقلت : ولكن . — وحدقت اليه فاذا الغمامة تنشر

مطارقها — ولكن لو ... لو نظمت لنا ملحمة عربية كشاهنامه الفردوسي لثمّ

ادبنا كما يزعمون .

فحك صلته واتسعت حدقته ، وانتظرت الجواب فتال بعد اطراق : ما عرفت
شاعراً اسمه الفردوسي .

قلت : ولا اب القاسم ؟

قال : اعرف كثيرين ولكن بلا شاهنامه . ثم زحزح كرسيه واقبل علي وتو كما
على الطاولة حتى واجهني وقال : الشعر يا اخا العرب ، عسجد يضرب نقوداً على السكة
الرائجة ، فلو قامت لكم سوقنا فعلتم فعلنا .

قلت : ولكنها دنانير تفر من لبنان .

فتعالى وقال : اقرانها جيداً ؟

قلت : مرات .

قال : اذن انت تدرك اننا نبز الشعراء لو قلنا مثلهم .

قلت : نعم يا سيد المتقدمين والمتأخرين ، وبيا عظيم شعراء الارض قاطبة .

قال : كنت نحدثنا بهذه اللهجة ، من قبل ، فتطيب انفسنا ، فومن نفسي بيده كنت
ظننتك الصاحب بن عباد .

قلت : لا احكم فيه شططاً ، فوالله العظيم لولا انك تستحقها لما سمعتها مني وانت
الثنبي .

قال : انك تغيظ الناس وتحفظهم عليك ، يريدون الشتاء من فم قربة وانت تقطره
تقطيراً .

فقطعت عليه الكلام وقلت : اما سمعت حسين هيكلك يفقر لك بلسان مصر
هجوك اللاذع ؟

فانتفض وقال : وما ذنب الامة فاهجوها ، فوالله ما كنت الا محرضاً لها على ذاك
العبد الخصي .

قلت : فلندع ذا ، أعرفت لبنان قبل العام ؟

قال : عهدي به بعيد ، وكان ذلك في الشتاء .

قلت : اذن انت تستحق شكر لبنان .

قال : وعلى ماذا ؟

قلت : على هذا ، اما ذكرته ؟ وحقتك لو دروا بوجودك لمنحك وسام الاستحقاق
اللبناني الاسمي .

قال : وما الوسام ؟

قلت : سبيكة صغيرة من النحاس او الفضة او الذهب .

فهب ، يا سبحان الله ، عندما ذكر الذهب .

وكرر كر في الضحك اذ درى ان الوسام يشك في الصدر .

وخرج التلاميذ للتنفس ربع ساعة ، وكان من دروس يومهم : لا افتحار الا لمن

لا يضام ... احدى فائزات المتنبى ، معشوقة الملك فيصل رحمه الله ، فاختدوا ينشدونها

اجواقاً ، بصوت جهوري لتعلق في اذهانهم ، فانتفض المتنبى فجأة وبرز لهم من الشرفة .

فما ابصرنا التلاميذ حتى صاحوا بلءافواهم : يعيش الشاعر العربي ، يعيش يعيش

يعيش ، وهم يظنونهم معروف الرصافي ، كما صورته الصحف في عباءته وكوفيته وعقاله .

اما المتنبى فاختد بخفي — كظل صموئيل من وجه شاول بعدما احضرته عرافة

عين دور — وسبعناه يردد في الفضاء :

وتركك في الدنيا دوبا كاغا نداول سبع المرء اغله العشر

قَادَة ذَهَبُوا

الاب هنري لامنس
عمر فاخوري
عمر في يومه الاسود
في ذكرى عمر
المونسيور فغالي
ابو شبكة الكاتب
فؤاد سليمان الاديب والشاعر
خمة في عام واحد
ابراهيم عبد القادر المازني
المنفلوطي ورسالة الففران
ابو الفضل الوليد (الياس طعمه)

obeykandi.com

الاب هنري لامنس

المستشرق البلجيكي اليسوعي

« لا حاجة الى ان نبين لقرائنا مسا ينجم من الفوائد الجمة من تشكيل جمعية تاريخية في سورية كما وصفها الاب لامنس ، بل بأخذنا العجب من عدم انشائها حتى الآن ، لاسيما ان بلاد الشام من الاقطار التي توفرت فيها الآثار التاريخية . ونحن الاوريون نبي امالاً طيبة على جمعية تاريخية يكون اعضاؤها شرقيين لان ابناء البلاد يتألمون بزمن قليل ما لم ينله الغرباء بعد الجهد الجيد ، واذا تشكلت هذه الجمعية بادرت الجمعيات الاوربية الى مكابتها فتقوى بذلك على اتمام مشروعات علمية ذات شأن خطير . »

الدكتور ج. كمفاير

مستشرق الماني

تواري وجه الاب هنري لامنس في ظلمة القبر فانطوت صفحة مجيدة من محفاتي تاريخنا المجيد ، واثارتنا الدالة على من سلكوا هذه الطرق قبلنا .

كان لامنس لا يصيح ولا يباحك ولا يطفئ سراجاً مشعلًا ، حياة كلها عمل لا تعرف الملل ، وعزم لا يفله الكلل . لقد ترك فيما كتبه هذا العلامة المفكر منارة للتأملين في مجاهل التاريخ ، يقرأون على ضوءها الوهاج سطور العضلات المبهمة ، ويفككون اجتام الامس . عاش الرجل مجرداً عن الاهواء ، وكسب منزهاً عن الفرض لا يتعثر

علمه بدينه ، فأت برى، الذمة .

حرث كرم ربه من الصبح الى المساء ، واشتغل من الفجر الى العتمة ، فاستحق دينار ربه خللاً زلالاً . لقد ترك آثاراً تدل عليه فلننظر اليها باحترام واجلال .

لقد احيا الاب لامنس آثار لبنان ، فعلى لبنان ان يمجده .

لقد احيا لامنس ملوك بني امية ، فعلى وريثة ذلك المجد النبيل ان تكرمه .

لقد احيا لامنس صفحات مجيدة من تاريخنا العربي فلنكتب اسمه في امثل صفحة

من هذا التاريخ .

كان لامنس ضيفنا ، ولكنه ضيف فعل مسا عجز عنه رب البيت ، فلنتعاون على تكريم ذكرى هذا الضيف الذي لم يحسب قط انه غريب . فمند اربعين عاماً كتب (هيتا بنا على درس تاريخنا .) ثم درسه فأحياه .

ارأيت هذه (النا) في تاريخنا ما اعذبها واحلاها في ذلك الفم الطاهر . لقد انطق لامنس خرائب لبنان المبعثرة ، وخلق من صخورنا الارملة لساناً فصيحاً يخبر بأعمال السلف ، وجعل من قلمه دعامة تقيها الانهيار ، ولكن يد الجهل بحث كثيراً عما ابتقت يد الدهر منها ، اذ لم تتحقق فكرة الاب لامنس بتأسيس جمعية وطنية تصونها . (راجع كلمة الدكتور كنفهاير)

ان لبنان يا لامنس ، بتلاعه وحصونه ، ومعاقله وكهوفه ، بكنايسه المسيحية ، وهياكله الوثنية ، من قرن رأسه الى كعب رجله ، من الشمال الى الجنوب ، يذكر وجهك الصابر على معارجه واودينه ، وجباله وقمه ، وهو يقف اليوم حيال قبرك يرثي ذلك الجهاد الصامت والشبات الباش .

حدثتنا في ما كتبت عن اثارنا كأنك ابن عمنا ، وواحد منا ، وقت تحثنا على حفظ اثارنا ، وتقرئنا سطور امجادنا بالمدل ، فليشاركنا اليوم في تمجيد ذكرك من أرخت معابدهم ، وانتزعت ذكراهم من فم العرادي .

ان ابني بلدي ، ادونيس والزهرة ، يمشيان معي في موكب مجدك فهل تقبل تمجيدهما لك ؟ لست امك في ذلك ، فانت عشت للتساريخ ، والتاريخ لا دين له ، وهما من ابطاله الخالدين . هما بطلا الاساطير اللبنانية العالمية ، انعشت سيرتهما الحياة العقلية زمناً

في هذا الجبل الذي سرحت بصرك في اثره ، ثم شاء ربك ان تنام على ساحله الضحوك
تتاجيك نجومه الساهرة وشمسك المتجردة ، فتم بأمان الله يا لامنس .

لو مات لامنس في غير لبنان لتولت الحكومة دفنه ، ولو كان راهباً . ما كان
لامنس للاباء اليسوعيين ، وحدهم ، بل كان للبنان ، وللعرب اجمعين . فمن لنا بأمة
تعيده تمثالا يذكروا بأياديه البيضاء على تاريخها المجيد . ان لامنس احيا الامة واثارها
فلتحتفوا الامة على الاقل بذكراه .

اين انتم يا هواة الادب ! ألم تعينوا بعد تلك الساعة التي تجتمع فيها لتعظيم رجل
خلق العظمة من صخورنا ، والمجد مما غر به ولا نشعر بفخامته ! ففي مفرق كل قة من
قممكم تاريخ شعب هذا كم اليه لامنس .

لست ادرس الآن ما تركه هذا الكاهن من اثار ، ولست اتقد واحلل ، فانا لم
اقرا من اثاره الا ما نشر في بيروت ، ولكن هذا يكفيني لا كتب مقرأ بفضل رجل على
امة منشورة تحت سماء الله الواسعة . فهل يضع فضل رجل في امة شيعتها عرفات
الجميل ؟ اللهم لا .

اننا لا نتصف الاب لامنس اذا لم نعرب عن شعورنا نحوه بأثر فخيم يذكروا بفضل
عليتنا ، وهذا اقل ما يجب نحو هذا الراحل الجبار . فبهوايا اصحابنا الى احياء ذكرى
علامة جليل . أيتوت رخيصاً من انفق اغلى ما يملك على درس بلادنا دراسة عميقة هي
ذخيرة لنا !! فهذا الفتييد العظيم متشرق فاهم ، وليجز الله عنا العلماء الفهاء ، فهم
سرح الازمنة .

عرفت لامنس في وادي عين كفاح الرهيب . عرفته يوم كان نشيطاً يفر مثل
الطوير ، ويتسلق جبلنا (العاصي) ليصعد الى الكهف الاشدق ، ليكتب عن (دير
التطائن) ويصف (سيدة البراز) (تسريح الابصار ج ١ ص ٩٢) .

كنت يومذاك فتى لا اعرف عن لامنس الا انه (بادري) كما قال لي معاذ
الضيعة ، ولامنس لم يلتفت اليّ الا مرة ليأخذ عني اسم الدير والكنيسة كما يعرفان .
وانا ما كنت اطعم منه الا (بصليب وايقونة ومسبحة) ولكنني لم اظفر بشيء ، غير
تحزق ثيابي ، فعدت الى الضيعة ليضحك مني رفاقي ، وانعت انا هذا البادري بالبخل .

ومنذ تلك الساعة لم ارَ وجهه قط ، ولم اعرفه فيما بعد الا من صورته المطبوعة لا اذكر اين .

وجاء بعده بادري يحمل مطرقة يكسر بها الصخور فلم اذهب اليه بعد خيبي الاولى ، واظنه زمثوفن الجيولوجي .

فهل حمل لامنس على صعود جبالنا ودخول كهوفنا الخفية غير خدمة العلم ؟ فلنتهض اذاً جميعنا لتكريم العلم ، والعلماء المخلصين بشخص هذا القتيب العالي .

انني اوجه كلمتي الى الذين عرفوا لامنس ، ومن منا لم يعرفه ! من منا لم يقرأ شيئاً من فصوله الرصينة ، وكتبه الشينة التي تلقي الاشعة الثاقبة على ظلمات تاريخنا . انني اوجه كلمتي خصوصاً الى ادباء الشباب الذين سيرون معيناً اصفى من عين الديك في آثار لامنس ، فقد عبثد لنا الطرق القلقة المجاز ، فلنتذكر جميعاً هذا الغريب الذي احب بلادنا حباً جماً ، ومات تحت سماءها . فلنجعل ذكره ممجداً .

انا عالم ان شعار لامنس كشعار رهبانيته (لجد الله الاعظم) فאלله نسأل اولاً ان يجزي من عمل لجدده ، ثم نسأل الناس ان يحملوا قسطهم من الجزاء (الثاني) تشجيعاً للاحياء واعترافاً بفضل المحسنين .



عمر فاخوري

عمر فاخوري اديب حسن السميت . في وجهه حيرة متعمدة ، وابتسامة مغلقة لا تدل على صاحبها اكثر من دلالة بعض الاعشاب على ينبوع ، مكبوت في حشائه . حديثه متقطع مفردات وجمل ، لا يكر في حديثه ، ولا يكر كر في ضحكته ، فأخونا في الامرين مكره لا بطل . ليس بالكهاكه ولا بالجهم ، وهو على سلامة البشر من يده ولسانه ، عقدة يصعب فكها .

افوى سلاحه ، وادل ما فيه عليه ، تلك الابتسامة التي نوه بها عمر في (اديب في السوق) فقال : لكني ، لحسن الحظ ، ابتسمت ، ففاظته ابتسامتي الخفيفة كشيء ايجابي . افلا ترى مثلي كم في قوله (لحسن الحظ) من عرفان لقدرة تلك الابتسامة الخرساء ! وقد ذر قرن هذه الابتسامة في الصبا فكلمت الناس في المهد ، اذ (اضاءت عتمة الصف ، فكسر الحساب عصا الجغرافيا على ظهر عمر ، كما حدثنا في (لاهوادة .) ان كيد ابتسامته لعظيم ، فهي شكنه ، اديباً ناقداً ، في (الباب المرصود) و (الفصول الاربعة) وهي عتاده ، كاتب نضال في (اديب في السوق) و (الحقيقة اللبنانية) و (لاهوادة .) انها لفي كل مكان ، تتحدث بنعمة رب عمر على الادب . وان آسف ، فما آسف الا على الحوار الذي جرى بينه وبين منكر ونكير ... اتري فعلت ابتسامة عمر فعلها هناك فأضاءت تلك العتمة الضيقة ... عتمة القبر .

من الخير ان نفي هذه الابتسامة الشاحبة حتها من التصوير ، فقد كانت تشع في العيين والجفون والانتف والغم ، حتى تخالها تطل عليك من شرفات الحاجبين . انها موزعة في جميع قسبات الوجه ، ولكنها في كل مكان ابوز منها في مكانها ، اي الغم ،

فتلما كان ينشق انشقاق التمر !

الباب المرصود والفصول الاربعة احتلا عمر مقاماً رفيعاً في الادب . بصيرة نقادة تنفذ الى الاعماق ، وعينان كأشعة رتجن ، واسلوب ملك صاحبه ولا غبار على عروبه ، متأثر بلغة الكتاب العزيز والسلف الصالح ، وفي جعبته ، دائماً ، لقاح جديد ، فيغرز ابرونه الدقيقة برفق في الشرايين المتصلبة . واسع وعميق في الفصول الاربعة ، يشع الفن تمحيصاً ، ويجول مع (الن) صاحب نظام الفنون الجميلة ، كما سماء ، جولات جد موفقة .

يمزج ادب العرب بأدب الغرب ، فيزاوج ويقارن بين الادمغة المختلفة . يحسها جميعاً كأنه يقلب رؤوس بطيخ لينتقي منها الانضج والاذكى . فيينا تكوث في حضرة المثني اذا بك تصطدم بأبي نواس والجاحظ والجرجاني والبحثري الخ ، وهيجل وفرانس ورنان ودوستوفسكي وبلزاك وفلوبير وديكنز . وكذلك شأنه في كتبه الاخرى فينقلك من عند كبلنغ شاعر الانكيز ، الى مارك توين فكاهي الاميركان ، الى هبنقة نابغة العرب في الحق ، ولا ينسى غاليو .

نعم عمر على الادباء تفهمهم عن (الواقع) فساهم ادباء من حبر وورق ، لا من لحم ودم . ثم هجر البرج العاجي الذي تعود الادباء ان يكنكنوا فيه مجترين .. ونزل الى الساحة عارضاً ربحه ، فأرانا كيف يسمن الادب على الواقع . وهكذا أصبح عمر كاتب نضال ، ورجل عمل ، ولكنه ظل اديباً لم يتخل عن اسلوبه ولا عن خياله ، ولا عن الاخراج الفني لمقاله النضالي . فهو في النضال كرخ الف ليلة وليلة ، ينهضك من اعماق الاودية ليحيط بك على شماريخ الذرى . ان فحص القلب ضروري لقاري ، عمر ، والا فمن يكفل سلامته اذا رافقه صعداً وقدماً ، وانتقاضاً .

يبدأ عمر مقاله النضالي فلا تدرى الى اين يذهب بك حتى تصل . تحاله يمدئك عن الادب المحض ، فاذا هو نضالي بكل ما بالنضال من شدة وقوة ، قوة يخلقها الاسلوب ، وشدة تولدها العاطفة الوثابة ، وفن تبدعه الخيلة ، فتخلق اشياء من لا شيء .

ان عمر في مقالاته النضالية كفحول شعرائنا الاقدمين ، كان اولئك يتغزلون ويتخلصون الى الممدوح ، وعمر يتبدى بغرائب عجائب ، تارة من عند ابن خلدون ،

وطوراً من عند ابن بطوطه . اسهم حادة عمده بها ثقافته الواسعة فيصوبها فكره الثاقب الى غرضه بزخم رائع ، فيهاجم الفاشستية او يمدح السوفيات والحلفاء . فاذا كان للشعراء المداحين تخلصات غير حسنة ، فاشهد اني ما وجدت لعمر تخلصاً غير ساحر . يعجبني مزجه النضال بالادب ، ونفخه الروح الفنية في هذه المواضيع التي تلوكها الاقلام في كل ساعة . انها لتخرج من معرض جمال هذا المزين البقي باحسن توالف .. حلي ، وغلائل فتانة تستر العورة ولا تحفي الجمال ، ولا تعفي على الفتنة .

لا يفارق عمود الادب والفن في اخرج ساعات النضال ، فهو السياسي الاديبي ، والمدافع عن قضايا (الحمر) بقلب لو عمر بمثل هذا الايمان لأمسى في الجنة ، وهو في حلل خضر !! لا يقف عند الحوض ، ولا يروعه عبور الصراط .

قالوا : ما دخلت السياسة شيئاً الا افسدته . اما انا فاقول : حاشا ادب عمر . قد وطدت كتبه ايماني بان الاديبي الاصيل لا يتخلى عن خاصياته حتى في قاع جهنم ، حيث تسيل النار انهاراً ، وتصطبغ امواجاً . اقرأ فصله (البرج العاجي) في ادب في السوق ، تعلم انك من الادب في نقطة البيكار ، وان هناك درة ثمينة التقطها عمر من السوق . اقرأ كلمته عن لبنان في (الحقيقة اللبنانية) تعلم ان هناك مصوراً وشاعراً يحدثك عن هذا الميليمتر من خريطة المسكونة .

قال الرسام الفرنسي النابغة دومه : يجب ان نكون من زماننا . فقال عمر : يجب ان نكون من زماننا ، وفي زماننا ، ولزماننا . ثم كان كما شاء ، وظل اديباً كبيراً . يتكلم عن رسالة الاديبي فيقول : « كان للانباء ، وحدهم ، رسالة . فاذا كل من عليها له رسالة : الطبيب ، والمعلم ، والصحافي ، والمحامي ، ويتبعهم الاديبي ، حلة مبهرجة لستر الفاقة . حبذا لو ان هؤلاء يقولون من التجميع برسالتهم اقل كثيراً ، ويكثرون من اداء وظائفهم اكثر قليلاً »

ويتحدث عن لبنان فيقول بأسلوبه المعهود : « لقد انى علينا زمن في لبنان وبين الطائفة والاخرى ، او بين ابناء دين وابناء الدين الاخر كالحودود التي تفصل وطناً عن وطن . كدنا نحتاج الى جوازات سفر بين الطوائف والاديان » .

اجل يا اخي عمر ، وبكل أسف اقول لك : قلما نجد ، حتى اليوم ، من يؤثر على

هذه الجوازات ، ولاقل نسبة ترفع الطائفية اذنيها ، ولاقل بأدرة تنقل الحدود .. كما كنت ترى بعينيك .

ان اسلوب عمر النضالي يحمل ابدآسة الادب الرفيع . اسبع كلمة من فصل عنوانه : كل شيء يتغير .

« كل شيء يتغير ، حتى النازية التي كان لها لبدة الاسد ، تغيرت . ها قد نبت لها في الصقيع الروسي صوف حمل للدف ، وفي القبط الافريقي ماقا نعاما للهرب .. اما الجيش الايطالي فقد لبس باديء بدء جلد الحمار لعدم الفهم » .

وبعد ، فمالى والتعجب ، ان عبقرية الكاتب الكبير تتوده في جميع الافاق والدراك . في مصنع يخرج منه كل ما يدخله مطبوعاً بطابع الفن ، من ذبّان الجاحظ الى الانتخاب في لبنان عند عمر .

ليها الاتحاد السوفياتي ، فله في اللسان الروسي كاتبه العظيم الحى ايليا اهرنبورغ ، وله في لسان العرب عمر فاخوري ، اديب العرب ، الذي مات . كلاهما نضالي اديب ، والقول بنفذه ما لا تنفذ الابر ، كما قال شاعر بني امية ، النضالي الأسبق .

عمر في يومه الاسود

لا اظني امنح عمر فاخوري وساما بعدالموت اذ اكتب عنه هذه الكلمة المغمومة .
لقد تناولت عمر في ما مضى حمةً وتقديرًا ، واللهد بآخر كلمة غير بعيد . كنت فيها
مصورًا ومقارنًا وباحثًا جهد الطاقة .

لست آسف على سنوات عجاف يعيشها عمر ويثني فيها ادبه مشية للسرطانات في
بدنه . لقد احسن القضاء صنعاً اذ جذب ثنيي الطوأل المرخى وأراح عمر من بقاء
هو فيه .

عليل في مكانين من الاستقام والدين

كما قال الجاحظ عن نفسه في آخر العمر .

عدت عمر اول مرة فخلتني امام مومياء تحذثني ، فارنعت ثم تجلجت لئلا أريعه ،
ولعله قد رأى ذلك في وجهي حتى قال لي : وجهك اصفر !!
فاجبته : الدرب طويل ، والسلام عال ، واذا ابن سبن ، فاصبر علي قليلا بعد
جملي الهارب !

فبتسم ايتسامة دميمة جدآ وقال : تهكم عليك اذا لم تجد واحداً غيرك ...

فقلت : ما وجدت ترياقا لسم الحياة أسقى من الهزء بها وبناسها ...

✽

رأيت اليرقان قد خلع على عمر كل ما عنده من زعفران ، فسألته عما به ، فاجاب
بعد سكوت لا اجد له نعتاً : قلة العافية ، وعناء الحمية . الغمرة انجالت ، ولكن ...
قلت : دعني من لكن . السلامة غنيمة يا اخي .

فاطرق ولم يجيب ، واطرقت مثله ألوم نفسي . وطال السكوت فقلت له : متى
تعود الى عشك ؟

فاجاب بهز شفتيه ، فعلمت ان للبرقان احلافاً تشد ازره في حرب عمر . ثم مشى
بيننا حديث متقطع ، موجع ، انصرفت على اثره بامل قصير الخطى .
وبلغني ان عمر عاد من عند امه ، فهرعت لاهنته بالسلامة فقالت لي الخادمة : معلمي
في السبیتال .

فقلت : والست ؟

فاجابت : معه . فكللت طريقي الى المستشفى الاميركي فلم استطع مقابلته .
وتلفنت مراراً اسأل عن صحته ، فكان الجواب برداً وسلاماً .
ثم فصل بيني وبينه الصيف ، فما ضيعت اللبن فيه . وعاد عمر الى بيته فبعثته
مستكشفاً ، فرأته لا حياءً يرجى ولا ميتاً فيسلى . وتسقط رأيه في نفسه فوجدته
عريض الامل ، كبير الرجاء . وقعدنا حيث اعتدنا ان نجلس فلم يشك عمر الداء بل شكاً
سوء الحال وقلة الوفاء .

رجونا ان يكون سفيراً احمر فاذا به يمسي شهيداً اخضر ... وتباحثنا الغد ، فاذا
بصاحبي متبرم ساخط . تعاون عسره ومرضه على هيكلة الواهي . عاف عمله في الاذاعة
انتصاراً لوطنه فذاعت القلة في كبسه ، وخسر موردين : الاذاعة وكلية الاداب ،
وانقل دينه ظهره . لم يبق له غير جراية وظيفته الحكومية وهي لا تسد ثغرة العقاقير ،
فاضطر الى بيع اعز المقتنى ، وكانت مكتبته كبش المحرقه .

قال لي : غداً — وغداً بمعناها اللبناني الواسع — ادع كل هذا وانصرف الى
العمل حراً .

فقلت : وما نويت ان تعمل ؟

قال : اعود الى الحمامة ، واعلم معك اذا اقتضت الحال .
وحدثت اليه لعلني ادرك عمق يأسه المريح ، ومدى آله ، فرأيت بريق زجاجتيه
قد تضامل ، وزيت قنديلته قد شح فقلت له : يا قليل العقل ، تعود الى الحمامة والتعليم
بعدما خيمت في الشاطي . يا ابا منذر !

فانقرجت شفتاه زهاء ميليمتر ولم يجب ... فقلت له : كفالك الله شرهما يا عزيزي ،
فالذي لم يسهل عليك عمله شابا يعتاص عليك كهلا . اما سمعت قول المثل اللبناني : بعد
ما كبر وشاب حطوه في الكتاب ؟
قال : ولم لا تقول شيخاً ؟
قلت : لكيلا اصير انا هرمًا .

فضحك ضحكة فزعني ... ليس بينها وبين ضحكة الهيكل العظمي فرق كبير .
كان عمر قليل الكلام معافي ، فكيف به وقد هدّ حيله اليرقان ، وله كبِد
مقروحة لا يبيعه احداً بها ، كبداً ليست بذات قروح . كان يعاني مرضاً كالنعاس
يهدّ ولا يؤلم .

وثبت عنان الحديث صوب النوادر والفكاهة فوجدته لا ينشط لها ، فعدت الى
دار المكشوف احدث صديقنا الشيخ فؤاد حيش عن الخطر العتيد .

*

وفي خطرة ثانية سألت الشيخ الحيشي عن حال امر فقال لي : بخير ، كان هنا .
فقلت في قلبي : اذن ما ابعد الموت عنك يا مارون ، ان صح امر وسلم .
وذهبت اليه لاهنته بالسلامة فوجدتني اقول له عفواً : لا تخدع نفسك ، توق ما
استطعت . ما اراك كما اشتهي .

فاجاب ، ما كنت يوماً في حياتي كما تروم انت ... احسن اني اتحسن ، ولا ادري
اذا كنت ابلغ المرتبة التي اجلس فيها امام قدح من عرقك المثلث ، وخررتك
الدهرية .

فقلت : الله كريم ...

ونظرت اليه فخلتني ارى ملامح رجل من وراء برقع ، وانني امام شبح يمثل عمر .
وقرأت ان احدهم حمل الى عمر وسام الاستحقاق اللبناني فقلت : ولم هذه العجولة .
خامرتي ربب فيها فسألت أصحابنا فقالوا لا ، ولكنني رجعت الى نفسي وقلت : انه
قال غير مليح ...

وعدت من (فرصة الربيع) ومعني لآخي عمر شيء من تلك التي شبه بها سليمان

حب الشولية في نشيد انشاده . وما وضعت الاثقال لافعل ، كما قال الاخطل عن قطار فلسطين ، حتى حمل الي الأثير صوت الأستاذ رثيف خوري يؤن صديقنا عمر . فضربت المكتب يجمع يدي وهجم الدمع الى الحدود ، ولكنه لم يتجاوزها ، كعادته في المصائب الجلتي .

ان حصة عمر محفوظة وستبقى مختومة على (السدة) ولا ترى النور الا حين نشرها في عين كفاع مع اخوان عمر واصدقائه ، صانعين هذا لذكر كاتب عظيم مات... سنضع هذا لذكر ركن من اركان هذه النهضة ، لذكر موظف عاش نظيف اليد والجيب . ما مدت يده قط ، ولا اشتهى مقتنى غيره . عاش لا يفصل بينه وبين الناس ذاك التعفص الذي يتنكر به بعض الادباء والمتأدين لاصحابهم متى وظفوا .

كان لاطائياً ، ولكنه لم يتشدد يوماً بدم الطائفية كأصحابنا الاشد تعصباً من الكهان ، ثم يتفانون غيرة على الاوطان . كان عمر لا يصيح ولا يماحك ولا يدهن ولا يصانع ، فظل حيث هو لانه لا يحسن المداجاة والمصانعة والمداهنة ، لانه ابي ثابت يزدرى المنافقين والزنادقة الذين يكرون مع كل خيل مغيرة .

ترك ما ترك من موارد رزق نعصباً لبلاده ، وانتصاراً لها ، ولم يشعر احد بما صنع ، ولو فعل ذلك غيره لاقام الدنيا واقعدها .

عاف موارد رزقه وعاش مكثوراً عليه ليتضامن مع بلاده . فعل كل ذلك صامتا لانه ليس من الذين يجعلون من الحبة قبة ، ومن القباء جبة . لانه من غير الذين يحمزون كالبابيط في حقل المراتب ، ويدعسون على جثث اصدقائهم ليرتقوا درجة ويكسبوا ليرة ورقاً .

ان هذا الاستطراء يجري الى الكلام عن شخصيته . لم يكن عمر حسوداً ولا حقوداً ، كان على ما فيه من شمم وابة لا يزهى ولا يتكبر . كان محباً واذا ابغض اعرض وازدري ، وخرج بالصمت عن لا ونعم كصاحبة بشار .

كان فمه نظيفاً لا يتبدل حتى في المجالس الخاصة التي كنا نعطي فيها المرح حقه . فكان يقابل تلك النكات الصارخة بربع ابتسامة ، ويشارك بكلمات كان يستعد لتأديتها استعداد طالب غير واثق من ذاكرته .

ولم يكن عمر عدواً في ثياب صديق ، ولم يكن من الذين يقتلون الرجل ويمشون
في جنازته شاقين الجيوب حزناً على الفقيد العالي . اما في الادب فكان مؤمناً ولكنه
غير ممارس الطقوس المنظمة . يصلي لآلهة الفن بما يدور على لسانه ... لم يكن اديباً
محترفاً بل كان اديباً هاوياً . كان كسميه عمر ، غفر الله لهما ، موكلاً بالجمال يتبعه .
كان لعمر ابن ابي ربيعة ، لذة النظر ، كما زعم ، وكانت لعمر فاخوري لذة العمل
الفني ، وما معشوقاته غير الكلمات اللواتي يؤلف بينهن ولا يجعلهن ضرائر ... اولع
بالجدید ولم يتنكر للقديم فكان من خير من كتبوا بلسان العرب من المحدثين .
واخيراً مات هذا النسر وعينه الى القمة ، لم ينظر قط الى الاحوال التي يتمرغ
بها بعض زراير الادب .

لا اقول ان خسارة الادب العربي لا تقدر او لا تعوض ، فحسب الذرية ما تركه
لها عمر من غاذج ، وقد لا يصنع اجل منها لو عمر كتوشالغ ...

١٨١ في ذكرى عمر

لقد اشبت عمر درساً في حياته وبعد مماته . اما الان فساتحدث اليكم كما يضيف لي ان اتحدث ، ولعله يطيب لكم .

أفلا يعيننا من الاديب غير تعبيره وتفكيره ؟ فإين نحن من اخلاقه ؟ ألسنا احوج الى هذا منا الى غيره من الخصال ؟!

مساكين اهل (الفن) حتى قبورهم عليها تراب الذل دون الخلائق . اسرجوا الخيول ، وافرعوا الطبول . اي خيول ياسادة ؟ خيول الفكر لتجلي في ميادين الورق ، وطبول الخطب لتقرع في حفلات التكريم والذكرى . مسكين الاديب . يعيش على الكلام ويموت على الكلام . فكل ما يُعمل للادباء عندنا هو من بضاعتهم تلك . (حكي بحكي) والذي مات بداء الحكي غماً نحاول نحن ان نحياه بالحكي ، ثم نعد هذا خلوداً .

خلود ، نعم خلود . قال جبران : يقولون لن تعرف قدرك حتى تموت . لقد اصابوا . فمن يا ترى يعرف طبيعة البذور التي تطرح في الارض قبل ان تثبت ؟ هذي غير تلك يا جبران ، وانا لست على رأيك في هذا القول . لا اريد ان اموت ليعرف الناس قدري . فيوم حلو جميل ، وامسية او عشية تتمتع بها بمثل هذا الاجتماع بكم يا سادة ، يسوي الف خلود ادبي بعد الموت . وما هذه الامال والاماني الا تعلق البائسين ، وجلهم من الادباء .

هذه علكة كالتي يلهون بها الاولاد عن اكل لباب اللوز حين يستأجرونهم لتكسيه . ما لنا ولهذا الخلود الكاذب . أنعيش فقراء منكوبين بجيوبنا ، أينعم سوانا

١ - الفيت هذه الكلمة في دار المكتبة الوطنية ببيروت .

بخيرات الارض لننعم نحن فيما بعد بحفلة تكريم ؟ أليس كل راحل عظيماً ؟ أليس كل ميت عبثياً ؟

انا لا اقول ما قاله الحجاج : والله ما احب ان ما مضى من الدنيا لي بعمامي هذه . يظهر ان عمامة تلك كانت ارثاً واعتق من عمامة نقولا الترك التي سأل الامير بشيراً ان يعتقها مع ذلك الشر وال ...

وبعد فلنفرض ان ادبياً عظيماً مات ، فمن يشعر بموت هذا الاديب غير المصابين مثله بداء الكلام ؟ يموت رجل وادم الكيس ، منتفخ للصدوق ، فتتهز الارض بالطول والعرض ، حكومةً وشعباً . ويموت الاديب الانمي فلا يشيعه غير جيرانه واخوانه . وبعد هذا ، ماذا ؟ اسمعوا . علينا ان نقيم لنوابغنا اثاراً مشهودة لنحت شبائنا على اقتفاء اثارهم ، فقد كادت حية لبنان ان تنصل . علينا ان نغرز الاديب حياً ليقتدي به النشء ويكون للوطن غيره ، والا انقطع النسل الادبي . فهذا الاديب العظيم اندي اجتماعنا لاهياء ذكره الليلة ، أنعرفون ماذا حل به قبل ان لفظ روحه ؟ لقد مات معوزاً وكفى ، وما يوم حليلة بسر . فلننتقل الى ادبه .

قرأت ، بعد موته صفحة من انشائه فكادت انكرها لو لم يثبت لي ذلك خطه . نسمعون ، ولا شك بالعملية القيصرية ... هكذا كان عمر يضع مواليدته .

اثنان كانا مقلين مجيدين : جبران وعمر ، وكلاهما كان صائغاً متأقلاً ، وقد عرفت ذلك اثناء اطلاعي على مخلفاتها التي لم تبع كمخلفات الجيش .

كان عمر صريحاً لا يوارى ولا يوارب ، وحسبك منه قوله : « فاذا بما يفيض من عبقرية جبران يروي بطاح المستقبل ، بينما عبقرية شوقي مسفوحة على هضاب الماضي . شوقي من الشرق وجبران من الغرب ، فلا يلتقيان الى يوم القيامة . ويغلب على الظن ان الشرق سيظل كامراً لوط ، في موكب الزمان ، ناظراً الى وراء فيمسخه الله صنماً من ملح ، اي من دموع جوامد ، على حد قول اندره جيد الذي يزعم ان لوط ضائع ابنتيه في احدى منعطفات التاريخ ، وهو ناظر الى المستقبل ... »

اجل ، كان لعمر فصول ولكنها روائع حتماً لانها ملك صاحبها ، وعليها ماركته المسجلة .

أما وقد انتهيت من عمر ، فلا بد من كلمة دعت إليها الحال . أما حان للادباء ان يدعوا الشكوى ؟ فاصحاب ارميا كفتوا البكاء ...

الادباء من المواطنين ، ولهم على الدولة ما يطالب به كل مواطن منكوب بزلزال ، ولهم اسوة بمن ذهب الثلوج والعواصف بموزة وليمونه ...

الادباء دعاة الامة ولهم على الدولة ما له عليها كل رجل من رجالها . فاناشد الله من يعينهم الامر ان لا يتركوا الاديب حتى يموت ليتبرعوا بتجهيزه ...

ان يوماً هائلاً على وجه الارض خير من كل ما يعمل له وهو في بطنها . اذا ذهب النفس فلا أسف على الجيفة .

وانتم ايها المحتفون ، بذكري عمر ، هلموا بنا نعمل اثرأ يحيي ذكري عمر في غير هذه القاعة ايضاً . اخرجوا (الاديب الى السوق) فينعم بمشاهدة ابطاله . لقد كثرت ضيوف المكتبة الوطنية ، وانني لأخاف ان تضيق صدورهم يوماً فتعلو صيحتهم ، ويتكلم كل منهم على هواه ، فما يفهم الحداث الا التراجم . فهبوا بنا فنخرج الخالدين الى الهواء الطلق .

رحم الله من سمع ووعى ، والسلام عليكم .



المونسنيور فغالي

في مدرسة أكثر من متواضعة، نشأ المونسنيور مخايل الفغالي حيث نشأ قبله، أخوه المطران بطرس . تلك المدرسة الصغيرة الجائئة على كنف جسر المدفون ، في مزرعة اسمها كفرشخي ، كانت ملعب صبانا . كان نخله يوسف — اي المونسنيور فغالي — اكبر مني قليلاً ، فكنا صديقين صغيرين ، وعشنا كذلك كبيرين ، والرأي مختلف ...

لا تبارح مخيلتي صورة صديريته الدينا — من حياكة فغسال — ذات صفين من الازرار الزجاجية الرخيصة . ولست انسى شراويلنا البيض المصنوعة من المقصور ، وكانت بذلة الاحد والعيد غنابازاً من الجوخ الرصاصي شتاء ، ومن الحرير المحاك في جيت شباب او الستي كروزا صيفاً . اما اللباس الفرنجي فلم يكن له أثر .

كان يرعانا ويعلمنا كاهن جليل اسمه الخوري مارون شكور ، وهو ابن كفر عبيدا ، ضيعة نخله يوسف . كان معلمنا ، رحمه الله ، عارفاً باصول العربية معرفة دقيقة ، وبارعاً في (الليشيات) اي ما اذا رفعوا اسم كان ، ونصبوا اسم ات ، مثلاً . فكان يحملنا من تلك الاثقال ما استطاع لا ما نستطيع .

وكان نخله يوسف في الصف الاعلى ، فكنت استفتيه فيما يشكل علي من مسائل ، وما يفوتني من (درر) الليشيات . وكان صديقي كريم الاخلاق لا يستأثل ان يجيب على اسئلة طالب في الثالثة عشرة . لم اكن في ذلك العهد احسن درس الاخلاق ومع ذلك كنت اعجب بهدوء نخله يوسف ورزاقته ، واحاول ان اتوصن مثله ولا اقدر . كانت ابتسامته حائرة ولكنها صافية خالية من كل معنى الا معنى المحبة .

وكان قدوتنا في اجتهاده ، فلا يخلو من كتاب ، ان لم يكن في يده ، فهو تحت
ابطه او في جيبه .

ومات في تلك السنة - ١٨٩٩ - البطرك يوحنا الحجاج فهب شعراء المدرسة
يرثونه ويتفجعون عليه ، خائفين على الطائفة بعده ... وانتخب المطران الياس الحويك
بطركاً ، وكان هوى رئيس المدرسة - الخوري بطرس بو صعب - مع المطران ابي
نجم فغمرت المدرسة موجة يأس وخسرنا (القادوس) . ثم كان الرضى والتسليم
فاقترح معلمنا وراعينا على الشعراء من كبار التلامذة ان يبنثوا صاحب القبطة الجديد ،
فقال الكثيرون منهم شعراً . قال معلمي الاول طنوس حنا الياس من عين كفاح :

قد سدت يا بذر السعادة والمهدى وبدا ضياك لكل مغوى فاهتدى

وقال الخوري مارون شكور ، مدرس البيان في مدرسة مار ساسين فقال :

احن الى النظم الرقيق توددا وقلبي بحسب الغيد لن يتقيدا

وقال نخله يوسف كفر عبيدا :

الا ايها النشوان من خمرة الذعر افق لا تحف أمّنت من نوب الدهر^(١)

هذا هو المونسنيور فغالي في مار ساسين فقال . وافترقنا سنة ، ثم اجتمعنا في
مدرسة مار يوحنا مارون الكايريكية . وهناك في الغابة التي تلف دير كفر حي
النارنجي جددت مع صديقي نخله يوسف ذكرى سديانات مدرسة مار ساسين فقال .
كنت كبرت قليلاً واصبحت اقدر على ادراك معاني الحياة فصارت عشتري ألد .
كانت لنا حركات تستفز الاساتذة وتضحك التلامذة ، فكان المرحوم نخله يفوز من
حركاتي بالغنم وافوز انا بالغرم .

لم اكن ابالي بما عند جبابرة الاساتذة من بطش في سبيل توطيد عرشهم ...
خاطروني مرة في مدرسه مار ساسين على التدخين في قاعة الدرس فدخنت . وكان
الجالس سعيدياً على عرش (المناظرة) حنا الخوري حافل - الخوري مخايل الخوري ،
كاهن رعية مار مارون ، في بيروت سابقاً - فانزلوا بي عقاباً شديداً . أطعمت

(١) هبة الحق ص ٢١٠

الخبز اليابس راحكاً في المائدة ، مدة اسبوعين فقط ، ومع ذلك لم أنب فقركت في مار يوحنا مارون قصصاً خالدة ...

واخيراً صح الصحيح ولبي صديقي نخله دعوة نعمة روح القدس التي لم تحل علي ... فبعثوه الى فرنسا حيث اتمّ دروسه الاكليريكية . وهكذا حدث عن ذلك الدرب وافترقنا . ثم اجتمعت به بعد الكهنوت اكثر من مرة ، وتبادلنا (النظريات) في حياتنا ، وكان اخر اجتماع في مكتبي بعاليه . جلسنا ساعات نتذاكر الماضي ونستعرض شريط حياتنا الماضية ، فبعشنا بها هنيئة .

كان صديقي غير مغرور ، فرأيت به بحلاه الذهبية من سلسلة وصليب وخاتم ، وازرار حمراء ، اكثر منه تواضعاً في صديريه الدبى ، وشروال المتصور . لم يتغير فيه شيء . غير علمه العميق ، وثقافته الواسعة . قد زودت طلاباً كثيرين أمثوا فرنسا بطاقات توصية فكان يحسن استقبالهم في باريس ، ويبد لهم يد المعونة غير مدخر شيئاً من وسعه ، فيمهد العقبات التي تنف في وجوههم . كان يقابل كل لبناني وسوري ، على اختلاف الملل والنحل ، ببشاشة وعناية ، فكان كما قال مار بولس : صرت لكل حتى اربح الكل . اندع الآن نخله يوسف ولتق كلتنا في المونسنيور فغالي . كان هذا الكاهن الفاضل غرّج البساطة اللبنانية في حركاته وسكناته ، وفي اساليب حياته . لم ينصل لونه اللبناني في الغرب ، فرغماً عن تزييه بالسمت الاوروبي كنت ترى سيماء كهنة لبنان في القرن التاسع عشر بادية على وجهه النقي . هو احد الذين شرفوا لبنان في الغرب ، وبنوا مدماكاً بارزاً في صرحنا العلمي العالمي . فالامونسنيور فغالي ظل لبنانياً حتى في هجته وحديثه . رأى منه الغرب لوناً لبنانياً لم يعرفه من قبل . عرفهم بلغتنا اللبنانية العامية الفصيحة ، المنفوخة فيها الروح اللبنانية ، وحسبك كتابه المعلنون (لهجة كفر عبيدا) كان رحمه الله عالماً بالاداب الشرقية والمغربية ، عارفاً لها كل المعرفة . علّم لغة العرب وادابها في كلية الاداب ببوردو ، وفي مدرسة باريز الوطنية للغات الشرقية الحية ، فاحيا ذكر نوابغنا الذين كانوا اساتذة لغة الضاد ينشرونها في اربعة اقطار المسكونة .

قد أريتك في مطلع كلمتي انه قال الشعر عربياً ، لتعلم انه رجل خدم وطنه ولغته .

فاذا ذكر القروم منا كالسماعي والتولاوي والحاقـلاني وغانم وغيرهم حق لنا ان
نضيف الخوري مخايل الى ذلك الفهرست الطويل . والى عمله في حقل العلم ، يمكننا ان
نضيف عمله الحبيب في القضية اللبنانية ، فقد عهد اليه بامور جسام فحل معضلاتها .
قلت له في عاليه : اعرفك يا خوري مخايل رجل علم واخلاق وفضيلة ، فأريتنا
انك تصلح ايضاً للسياسة . فاجاب بالنفاته الى فوق ، وكثيراً ما كان يعبر بهذه
الالتفاتة البليغة ، ويستغني عن الكلام الفارغ .
لست اعدد ما كتبه المونسنيور فغالي من تأليف فهذا لا يعنيني الآن . فالذي
يهمني ان اتحدث عنه هو ما قلته ، واني اختمه بقولي : كان صديقي ، رحمه الله ، على
علمه الواسع ، كما قال الانجيل عن يوحنا : قصة مرضوخة ، لا يصيح ولا يباحك ولا
يطفي سراجاً مشعلاً ...



أبو شبكه الكاتب

إذا رأيته يمشي وشعره كالصوف المنفوش ، يهزول موقعاً خطاه على نقرات عصاه ،
أو يسير الهويناء عارضاً عصاه السوداء ، معلناً نظره بأذيال السحب كأنه يومي إليها
لتنزل إليه ، حسبته عرفاً هم مع الأرواح في الأبراج العليا لا شاعراً يعيش في
برجه العاجي.

إن بين أنفه وأنف ابن حرب أقرب النسب ، وعيناه ترقصان مكانها محاجر مسك
ركبت فوق زئبق. أما لونه فنحاسي أو كما قال أبو تمام في وصف عمورية المحروقة :
ضوء من النار والظلماء عاكفة وظلمة من دخان في ضحى شحب

شحوب وأي شحوب . ولماذا لا ، ما دامت الحرب قائمة على قدم وساق في ذلك
الجسد النحيل الذي كان اضحية العين والقلب ... معركة دائمة بين الكربات البيض
والحمر كان محرقها ذلك الهيكل الذي عرفه الناس باسم الشاعر الياس أبو شبكه .

رأيت نهايته بعيني حيث ألتى عصا الغامرات والنمرود في مستشفى خندق العميق .
كنا تواميه وإذا بالكاهن يدخل الغرفة وفي عنقه البطرشيل . القى على المريض نظرة
معناها : كن مستعداً ، فنسي الياس آهاته وآخاته . واتصب في فراشه كجزع
اعتصرت ماويته ، فتمثلت لي صورة فارلين على فراش الموت .

حوط الياس جسده بأشارة الصليب من الجهات الأربع وراح يتلو مع مرشده ،
بشير الموت (الأبانا والسلام) بخشوع وحرارة . أما أنا فوجمت . ولما مرت الزوبعة
بسلام قلت له . الموت نعم يا الياس !

فقال : يا ليت . الحياة أمل ، والامل يموت على مهل .

وبعد قليل ودعته وقلت لعقيلته التي رافقتني الى الخارج : قولي للخوري يقلل زيارته للياس ، فقالت : انه يجب ذلك ، فقلت لها : لا تصدقي . اذا كانت زيارة الكاهن العادية ثقيلة على المريض فكيف بها اذا كانت ذات طابع رسمي .

لم تطل مدة هذا الاديب ولكنها كانت مملوءة بالروائع التي يزدهي بها تاريخ ادبنا . لقد احدث شيئاً يذكر بتاريخ ادبنا . ذرته نجمه على مقعد المدرسة فكان ذلك التلميذ المزعج الطماح ، وكتب له منذ تلك الساعة شقاء من تدرسه حرفة الادب ، واين اليسر لمن يكتب في مذكراته بلهفة انه قبض يوماً ثلاث ايرات لبنانية ، وان احدى الصحف شاهرته بخمسين ليرة ، وهلم جرا .

كان شاعرنا ربيب بيت لبناني مستور . تدخل ذلك البيت ، وهو ما زال كما تركه المورث ، فتراه حارة تدل على يسر صاحبها ، فحيطانها مدهونة ، وارضها مفروشة بالبلاط الرخامي ، وغرفها واسعة وعالية ، و (الدار) فسيحة ، وهذا هو طراز البناء البورجوازي اللبناني . كأننا اعد ذاك البيت الرفيع العماد ليأوى اليه شاعر ثائر شقي ، بأئس تأبى عليه انفته ان يظهر امامك في مبادله ، فاستطاب شقاءه ، والشقاء هو الحياة بل لا لذة للحياة اذا لم يكن الشقاء .

سعى الياس الى الوظيفة ليعيش مكتفياً ولكن الوظيفة لم تستقبله ببشاشة ، فلجأ الى احد النافذين من رجال الدين ، وبعد الف رح وتعال ، كانت خيبة الامل . فقال له ذاك الوسيط متهمكماً : (اعمل خوري يا يياس) فجن جنونه وكتب على اثر تلك المزحة السمجة مقالة داوية بهذا العنوان ، ولما بلغ الثامنة والعشرين كان في اوج سخطه على البشر ، فكتب مقالة عنوانها (انا) مبدياً اسباب سخطه وحنقه على البشرية وأشار الى هذه الحادثة ، قال :

« اقنعني احد المسودين بقبول وظيفة فرضيت بعد ان اشترطت عليه ألا يكلفني حفظ الجليل جيش من الناس اذ لا طاقة لي على ذلك . فرضي ورضيت وبدأت المهزلة . جعل هذا المسود العظيم يحملني رسالات وبطاقات مقفلة الى المراجع حتى عيل صبري اخيراً ودفعني التطفل الحكيم الى فض رسالة فاذا فيها :

نظاھر امامه باللطف وعده خيراً لانه (زاحني) بطلباته وزياراته المتكررة . ماذا

جدة بمسألة فلان.. اني اعلق اهمية كبيرة على نجاحه لانه يستحق الالتفات ولا تنس
انه خدمنا ايام الانتخابات ولا نزال بحاجة اليه .»

أجل هذا ما كان في تلك البطاقة ، ومثل هذا الحدث المخزي الدال على رياء البشر
ومراوغتهم واستهزائهم بأبابة النفوس هو الذي اسخط الشاعر الذي قال فيما بعد: «هذا
هو احد الاسباب التي تدفعني اليوم وغداً الى الثورة على البشر . أحمق انا ام مخطئ .
أيجوز ان اصبح ساعي بريد مضحكا بعد ان كنت بلبلاً وكناراً اغرد لأطرب الناس .»
واخيراً ينصح كل من تحدته نفسه ان يطلب بطاقة توصية ان يفضها قبل ان
يكلف جيبه دفع اجرة سيارات .

قلت : ولعل ركض الياس وراء الوظيفة واخفاقه هو الذي احنته حتى كتب
خير كتبه في النثر . ذاك الكتاب الذي عنوانه (رسوم) واظنه خير ما كتب في
فترة عصبة العشرة . لقد صور فيه الكثيرين من الرجال اللبانيين من رؤساء
جمهورية وحكومة ، ومن وزراء وادباء . احدث هذا الكتاب ضجة كبرى في ذلك
الزمان ولكنه لم يوصل صاحبه الى وظيفة دخلها اعطانا خبرنا كفاف يومنا . فظل
طول حياته القصيرة يذرع الارض بين الزوق وبيروت مغنياً على ليلاه .. اما كيف
خلق ابو شبكه تلك الصور والرسوم الرائعة فهو يحدثنا عن تلك العملية القصيرة
بقوله : «لست من الكتبة الذين يستطيعون ان يخلقوا شخصية من غير ان يكون
هناك موديل لها . فعندما افكر في موضوعي استعرض في مخيلتي شخصاً خبرته عن
قرب ، واجعل اشرحه كما اريد انا لا كما يريد هو . قد اضع في فمه كلاماً لم ينطق به
في حياته ولا عهد له بمثله . وكثيراً ما سخرت لاجل ذلك عدداً من اصدقائي وصديقاتي
وهو لا يشعر . فغضبوا علي وتجنبوني ، ولكني اعلم اني اذا عدلت عن هذه الخطة تجف
مخيلتي وينضب قلبي او اصبح مثقلاً مهادراً .»

هذا هو الياس ابو شبكه النثر الذي كان يكتب محنتاً وكأنه يلعب بالحكم .
ضربة على الرأس ، نكزة في الخاصرة ، وطعنة يطير لها القلب ولكنها لا تقتل ، بل
لا تؤذي . اما الياس الشاعر الرومنطيقي النثر في افاعي الفردوس وغلواء والشاعر
الهادئ الناعم في الى الابد والمريض الصامت ، فما اكثر من عرفوه ويعرفونه من

الناطقين بالضاد ، وقد تقدمت دواوينه سابقاً .

فاذا ركع فارلين حافياً في غرفته وصرخ : رباه ، هب لي البساطة ، فالياس كان
يركع حتى في أشد ازमत مرضه هاتفاً : يا رب لا تجزعني كاس حبهاء . بل دعني
أشربها حتى الثمالة ، الى الابد .

بقي عندنا الشاعر اللبناني الراعوي ، صاحب الالحان التي يضارع فيها فرنسيس
جيمس . فهذه الالحان تنزل في هوة اذنيك لتستقر في اعماقك . ان هذا الشعر اوحى
به المحيط الذي نشأ فيه ، محيط الزوق وبكركي وحريصا ، وذلك الجبل الذي لا يقلع
ثوبه الاخضر ، ومحيط جرود كسروان حيث الفلاح اللبناني الاسمر يأكل خبزه
بعرق جبينه ، فاذا تغنى الياس برنين الاجراس وأثرت به فهو ربيب القباب القائمة
حول حواليه . وكم تعلق بمجال اجراسها صغيراً ، وكم فرحت كالفراشات في تلك الحقول
بين المعاصر وعلى البيادر ، وهاهو يردد صدى الحداثة والفتوة ويتغنى بذكرياتها .

كان الياس يحب الحياة ويهيم بها ، ولذلك عبد الجمال في الجسد الانساني الذي هو
مستودع الحياة والجمال الاسمي ، ومن تعلق بمحيطة الرائع تعلق الياس لا بد له من
ان يقول في وطنه كله ما قاله الياس في ختام (الالحان)

يا بلادي لك قلبي لك آمالي وحيي

وجهادي يا بلادي

الى ان يختم هذا النشيد بهذه الصرخة الدامية :

طهري اليوم دمي وغداً كوني في

يسترح فيك رمادي

يا بلادي

اجل لقد استراح ذلك الرماد ، ولكن اشعاعه يزداد مع الايام ، فلا سراج يضيء
وينير بعدما ينطفئ إلا الاديب والشاعر .

والذي يكبر بعد الموت هو الاديب الحق ، والشاعر المبدع .
والخسارة التي لا تعوض على يده هي ان يكرر ادبائه في الرحيل ، ويبارحوا
الديار قبل الموعد .

مات ابو شبكه شاعر الحب والالام حين نضج . مات حين وجونا ان يضيف الى
كتاب ادبه الحي صفحات جديدة رفية . فلبشباب طعم ، والمكهولة دسامة ، والشيخوخة
حلاوة ان ظل العتل في الرأس .

فيا اخي الياس ، لا اعزي فيك احداً غير لبنان الذي تغنيت بكل ما فيه من
جمال ازلي ، وحسن ابدى .

اما نحن يا اخي فماذا فعلنا لك ؟ آه والأسفاه ، اننا نرى مجدنا في آثارنا المتهدمة ،
وقد اصبحت انت واحداً منها .

نم هائناً وانعم بهذا الذكر فتبلك تمناه شاعرنا الاعظم فقال :

ذكرُ الفتى عمره الثاني ، وحاجته ما قاته ، وفضول العيش اشغال
لقد مت فقير الجيب ، غني النفس ، ولكنك باق . هذا هو (التومس) الذي تقسلى
به عن اللوز ، كان الله في عوننا .

فؤاد سليمان الاديب والشاعر

فؤاد سليمان ، في نظري ، وحدة شعرية لا تتجزأ . هو شاعر في كل ما خطه قلمه من منظوم ومنثور . قد يكون شعره كشعر غيره ، اما نثره فذو طابع خاص ، و كتابه درب القمر ديوان شعر له مقوماته وخواصه التي لا تجدها عند غيره . وربما كان هذا الكتاب على صغره ، خير ما انتجه شبابنا في الفترة التي عاش فيها فؤاد سليمان . كأني بهذا الاديب الشاعر نظام مستقل في كون الادب . له شمسه ، وكواكبه ، ونجومه ، وكل في فلك يسبحون . فحيثما تصادفه تنبئك عنه خصلتان : عاطفة من نار آكلة ، وكلمة من حديد محمي .

هو شاعر الالم وكاتبه ، فكل ما نراه على موائد الالام يتجسد في جمل كتبها قلمه الناري . ما رأيته مرة الا تخيلت الزئبق الرجراج . لا يستقر على حال من القلق ، هو دائماً متحفز للقفز ، فكان في داخله لولباً يدور افاقياً . نصف ابتسامة ، بل ابتسامة كالجبهة ، وضحة لا تفتح لك باباً للانطلاق . ما نسيت يوم عرفته في دار المكشوف فقلت له : كيف يكون سوط النار الذي يسوق ابو شبكه به الشعراء كما قلت ؟ فاطرق اطرافه من يهياً للوثوب ثم قال : مثل السوط الذي تستعمله انت في نقدك لهم .

ما استرع ما امسى فؤاد سليمان ، والأسفاه ، كلمات نرددها ، واكبر هم الاديب هو ان يستحيل في الغد كلمات نجد لها رواة ومرددین . اجل هذا هو ملكوت الادب الذي يموت المباشرة على رجائه ويعدون به انفسهم . كان فؤاد من المؤمنين بالوهة الحرف ، وكان يقول الصحيح ولو حرقن الكلمة فيه ، كما يقول المثل اللبناني . والكلمة

دعامة الحياة وركيزة صرح الانسانية ، بل هي قوة غير منظورة تلقتها الحياة من
يستطيعون تأدية رسالة الحق .

ان تلك الكتلة البشرية التي كان اسمها فؤاد سليمان قد كانت ثورة قائمة برأسها .
كانت عاصفة تحييء تحت جناحيها ابتسامة البرق وفتحة الرعد . فهو وصاحبه ابو
شبكة توأمان ، وان ابتعدا نسباً يجمع بينهما الشكل والمزاج والعاطفة . كلاهما غنيا
قلبيهما أولاً ، وهذه المنعطفات والقمم ثانياً . كلاهما ربيبا القرية اللبنانية فكان لهما من
شعرهما ونثرهما نصيب . انفتحت اذنا فؤاد سليمان على رنين الجرس المتوجع في القبة ،
وكان ملعب صباه تلك البيادر المنبسطة حد بيته في فيع ، تلك البلدة الجائعة على صلعة
الجليل . لعب الشاعر ومرح في تلك المضارح الحلوة فانطبعت صورها في نفسه لتستحيل
فيما بعد شعراً طلياً ، كما تستحيل قبلات النحلة لشغور ازهر شهداً .

لفؤاد سليمان ثلاثة آثار : ديوان شعر ، ودرب القمر ، وما كتبه بتوقيع تموز .
وهذه الآثار ، وان اختلفت موضوعاً ، هي واحدة من حيث الروح والمحبة والبغض .
لقد بكر فؤاد في الحنين الى ايام الطفولة ، ومرانع الصبا ، فكأنه كان شاعراً يقرب
وفود ذلك الضيف الثقيل عليه .

كان هذا الاديب مناضلاً في درب القمر وفي تموزياته . كان يفضيه كل شذوذ حتى
شذوذه هو ، فيحتدم غيظه وتخرج الكلمة من تحت قلمه كأنها حديدة خارجة من
الكبر تقطر دماً وتشع نوراً وناراً . فاذا تصفحنا ديوانه رأيناه يبكر في التوبة . ففي
عام واحد ، عام ١٩٣٤ ، نشر اولى قصائده (الى اين) وختمها بهذا البيت :

يصفق الوادي لاعراسنا اذ يسمع الوادي صدى القلبتين

وفي العام نفسه نظم (مزمور الخلاص) الذي يقول فيه :

اتوب عن الماضي المجمر بالالظى واغسل ادراني بتارودة العطر

فكأنه ما شب حتى شاب ، ولكنه رغم توبته في شعره ظل حاد الشهوات فتخيل
الزنبق ، وهو رمز الطهر عند البشر ، كأنه يحس ما نحس من شهوات لجية ، فقال في
ابتسامة الزنايق البريئة :

ما للزنايق فوق النبع خالعة عذارها وشباب النبع يغويها

أظنها صورة لم تمر في خاطر شاعر ، وما أكثر مواليد قرائح الشعراء .
أما الفاظ فؤاد وصورة الشعرية فأرى الكثير منها منتزعا من محيطه ، وهذا اثر
المربي فينا ، فاصمع كيف يخاطب واحدة في قصيدة (عابرة طريق) :
لست من عجبتي ولا من خميري فاتركيني اسرو حيدا وسيري
أما الموت ، أبعده الله ، فكنت أراه في شعره اني اتجهت في ديوانه ، كقوله :
إذا نلتقن في عيني همتا وفي وجهي اصفرارات المغيب
وكما يقول في قصيدة عنوانها (مقبرة)

أنا وجه القبر تلقين على جبهتي الصفراء اشباح المنايا
غلغلت في كل ضلع غصة وجنازات نهأت في الحنايا
أرأيت هذا الشعر الزوالي ، حقا ان خاطر الانسان دليله .
وبعد فلنطو صفحة الفناء لنرى بعض غاذج من الوان الحب الجارف . ففي قصيدة
(الهوى المكثوم) يخاطب حبيبة بشأن ثغر لها خاف ان تجعله وقف ذرية ، فقال لها :
خليه لي وحدي على طهره ، أنا اللظى ، والناس ماء وطين .
وفي قصيدة (عذراء) يقول :

ان في صوتك الحنون جراحا ألف آه تموج فيه وآه
أنا أهوى على شفاhek شيئا غل في فتحة الشفاه وتاه
انظرت الى الفاظه ؟ فلفظة غل ، وفتحة ، وعجيني ، وخميري قروية لبنانية مئة بالمئة ،
وما أكثر الفصيح في لهجتنا ، فليته لم يستعمل الا الفصيح الخالص .

ليس شعر فؤاد سليمان الفاظا منمقة مرصوفة ، ولكنه كلام يحيا بما في قلب قائله
من حرارة محبيه . ليس هو من اصحاب الرموز وان قال في قصيدة (العرس الاسود) :
يا حلمي الاستقر يا رفة طافت بقلب اخرس معتم
واذا ما اصفحنا درب التمر رأينا ان ثوره فيه كديوانه شاعرية . ولذلك عدده
ديوان شعر ، فاذا واجهت (مرايا لم تعد تضيء) اقشعر بدنك لتلك التعابير التي تصف
البيت في غياب ربه . لقد اظلم كل شيء في عيني الابن البر ثم ما لبث ذلك الظلام
ان انتشع حين عاد الوالد الى عشه وملأت الخيرات البيت .

اما مقال (طفولتي) فاقول ، ولا احسب اني انثالي ، انه اروع مقال قرأته في هذا الموضوع . فهذا التجريد الذي وثق اليه فؤاد جمل الطفولة كائناً حياً وكأنه من لحم ودم .

قلت ان فؤاد سليمان ابن برّ بوالديه ، وهل يعبر كما عبر الا من كانت له محبة ؟ اسمع ما يقول في وصف وجه امه : « امي... من الوان عود الصليب وجه امي . وكان الذي حاكه مرة ، حاكه وقطع يده لئلا يحوك مثله . »

وفي (مطارف من ارجوان) منتهى حرية الفكر ، وقد استعمل فيها فؤاد الاديب ، عالماً نفسانياً حين حلل نفسية الشاعر وحاجاتها .

اما مقال (درب القمر) فنشيد انشيد شولميه القرية اللبنانية . وفي (مرابا لم تعد نضي) نفحة طاغورية .

اقرأ تصويره فيها للبيت والام المهجورين . هناك تجد صورة البيت اللبناني العتيق تامة الخطوط ، فكأنك ترى بعينيك ما يحدثك عنه هذا الاديب الشاعر .

واقرأ (حبة رمل) وقابل بين ما قاله في النبي محمد ، الرسول الاعظم ، وبين ما كتبه غوت شاعر المانيا العظيم ، لترى ان الموت يقطع الأوتار ولا يرحم . انها (حبة رمل) ولكنها جبل من شعر .

وفي مقال (في موكب التائبين) نسمع شاعراً بوهيميا يقول : « انا هنا في سكرة معربة محمومة طائشة ، حيوان يمشي مع حيوانات ، بهيمة تعيش مع بهائم ، ملعون من ملاعين الدنيا . اجر جناحي المتنف ورائي على الدروب وفي الشوارع . انا هنا لم اطلق بعد... متى اتكن يا صديقي من انت انقلت من قيود المرأة والتراب ، واوهام اللحم والدم ، ومقاييس الزمن ، فاصبح انساناً كاملاً . »

لقد اخطأت يا فؤاد ، فلو صار كما تمنيت لكنت لا شيء . فلو لا اللحم والدم ، وما على هذه المائدة من مغريات ومقبلات ، ما كان لنا فؤاد سليمان .

وبكلمة عابرة اقول : ان درب القمر الشودة لبنانية اصيلة ، كتب الله لها الخلود .

وشاعرها يجلي حين يصب قلبه نحو الينابيع والكروم وكل ما يمت الى القرية بصلة .

اما ما كتبه هذا الاديب بتوقيع تموز فقد تصفحته من اوله الى اخره ، حتى

وصلت الى اوراق بيضاء لم يهل الموت تموز ليسودها ويبتس وجه الادب . لا ادري لماذا عرتني رعشة عندما وقعت عيني على تلك الوريقات البيضاء . احسنت ان دمة رفعت بين اهدائي مع ان دمه في الحوادث غال .

اجل ، لم يبق لنا من فؤاد سليمان غير هذه الجزازات من تلك الصحيفة وهاتيك المجلة ، ولكنها جزازات تتضمن روحاً كانت تردد في لحم فؤاد ودمه ، فابقت للذرية هذا التراث الحى .

فمي (التمزيزات) يشور فؤاد على كل اعوجاج وقع تحت عينيه . يشور للانسانية المعذبة كما في الكلمة التي عنوانها (انسان مدود .) وهو في كل ما كتب في الواقع ما تخفى عن بيانه ولا تجرد من خياله . يخاطب الناس من عل بها علوا ، ويتذفهم بكلام كأنه التناهل ، ويزدريهم ولا يبالي . وقد يتفق له تهكم مر بأنه عفواً ، فيبدو جميلاً كقوله :

« صرنا نخشى على البيت اللبناني ان ينهار ، فالمرأة مشغولة بتقضيتها ، اعطوها حقها وخلصونا . جربوها ، فقد تصلح ما افسدناه نحن . »

وما ابلغ كلمته ، بل ما اصدق قائلها حين تحدث عن لس سرق الشاعر ميشال طراد صاحب جلتار . قال : « ما كنا نعلم ان الشاعر الجميل ميشال طراد عنده شيء . نحن يستحق السرقة ، غير هذا الشعر الجميل الذي لم يبق شاعر في لبنان الا وسرق منه نفضاً وطيباً ولوناً . »

انها كلمة لما ما بعدها ، ذكرتها قصداً ، وموعداً في التفصيل حين ندرس الشعر العامي اللبناني .

واخيراً هذه صورة الشاعر والاديب الذي كانت النار تندلع من عينيه ، والكهرباء رعد اعصابه . هذه صورة ذاك الذي كنا ندعوه فؤاد سليمان يوم كان بيننا ، اما اليوم فلا اجد له لقباً لان الاسماء والالقب مبتذلة كلها . فعلى بنات الشعر اللبنانيات ان يجدن عهد النواح على (تموز) ...

خمسة في عام واحد

الحداد ، المطران ، المازني ، محمود طه ، البعيني .

لم يفجع الادب العربي في تاريخه انديد كما فجع ، في عام واحد ، بمجهرة خيرة من ادبائه وشعرائه وكتابه . فبعد موت جرير والفرزدق ثم شوقي وحافظ في عام واحد ، لم يصب الادب العربي بما اصاب به هذا العام — ١٩٥٠ — قد توارت خمسة وجوه من دنيا الادب : خليل مطران ، عبد القادر المازني ، محمود علي طه ، يوسف البعيني ، والخورى يوسف الحداد . عمل كل من هؤلاء الخمسة جهده بل فوق مجهوده ، فازدادت اللغة العربية ثروة ضمت الى تراثها القديم .

الخورى يوسف الحداد

مشى الخورى يوسف الحداد في طليعة موكب الابد ، كما عاش اربعة وثمانين عاماً معلماً ومربيّاً عظيماً . لم يسأم الحياة كزهير ، فظل يكتب وينظم رغم ما كفت الدهر من بصره . ترك مئات من رجال هذا الزمان الذين علمهم وهدتهم ، وترك مسرحيات منها المترجم ومنها الموضوع ، وكتب قصة طويلة — المروءة — وحبر مقالات رائعة في كتابية : اللبنانية ، والنجوى .

كان هذا الكاهن وقفاً على امرين : ثوبه وعلمه . كان ثوبه يزيجه دائماً نحو الكمال ، وكان علمه يحثه دائماً على بلوغ المدى الابد ، ، والعلم من توابع وزوابع الاكليريكي الحق . لا يعني هذا ان الخوراسقف يوسف الحداد نبطل فعاف كل مسؤولية عائلية ، فكان كراهب امرى القيس لا شغل له الا امالة السليط بالذبال المقتل .

كان الرجل معلماً وأباً ومربياً . حملته الاقدار عبء وصاية بني اخيه ، فربى وعلم كما يفعل الاب المستطيع . فهذا الكاتب الذي نراه في كتاب النجوى يبحث على الادخار كان عدو كيسه . وعظ الآخرين وما اتعظ هو . لم يجعل مخزنه عبته بل جعله في العنول والقلوب . كان في النول معلم اقتصاد من الطراز الاول ، اما في العمل فانكل على قول معلمه ... لا تهتموا بما للغد ... وكان ربه عند ظنه فمات مكفياً كما عاش عزيزاً . لا يعرف الخوري يوسف الحداد الأب الا اقرب الناس اليه . ضحي بكل ما يملك ولم يترك خلفه غير فضله وتلاميذه . كان مربياً حقاً ، كان للمعارف والتربية يوم لم تكن لها وزارة في لبنان .

قالوا عن الاخطى ضيق عليه دينه ، وابن عمي هذا ضيق عليه ثوبه في دنياه وأدبه ، فعسى ان يوسع عليه في آخرته . وعلى ذكر الآخرة أقول : كنت أجدّه ، لما بلغ الثمانين ، خائفاً من الرحلة العتيدة ، على قلة الزاد لها ، كما كان يقول تواضعاً . قلت له مرة . شد حبلك يا ربه انت قادم على كريم ، ولسانك طيب ، وقلبك نقي . والله لا يحب غير هذين .

كثيراً ما كنا نتفلسف ضاحكين لنخفي الذعر ، وكنت اشجعه كلما التقينا حتى قلت له مرة : تذكر هذا البيت ؟

كلما قلت متى ميعادنا ضحكت هند وقالت : بعد غد

فأجاب : وكيف ! أنظني خرفت ؟ هذا لعمر .

فقلت له : هذا لسان حال الدنيا معك . لا تخف .

فضحك ضحكته المعهودة . وكنا كلما التقينا بعد ذلك ، يقول لي : كيف حال

هند من صوبك ؟

واجيبه : ما زالت تضحك وتقول بعد غد .

وقطيب نفسه ويقول : سبحان مقسم الارزاق ! الذي لم يوافق عمر وافقتنا نحن .

خليل مطران

هذا هو الكاهن الاديب الذي سبق الثقافة الجيدة الى واحة الموت ، وتلاه في هذا المضمار ، غير المرغوب فيه ، الشاعر العظيم خليل مطران الذي أعدّه كما أعدّ القدماء

بشار بن برد ، جسراً يصل القديم بالحديث . فطران مجدد في تصويره وتفكيره وخطه الشعرية . تدب خيلته الصور الرائعة الطريقة التي فلما خلت منها قصيدة من روائعه المشهورة . فطران أحد أقانيم الثالوث الشعري في القرن العشرين . كان هؤلاء الثلاثة شوقي وحافظ ومطران يتباريان عند كل حدث خطير يحدث في الشرق ، وإن توسعنا فلنا عند كل نكبة عالمية ، فكان حافظ يأتي ثالثاً ، إلا في عهد شبابه ، فقد جلت مرات . أما مطران فاستطاع أن أعدّه بلياً — عند الحاجة — في شبابه وكهولته ، وقد سكت في شيخوخته ، بينما ظل أخوه شوقي يرسل الصرخة إثر الصرخة حتى قضى ، وقضى له بالزعامة ولم ينازعه فيها منازع .

ومطران أيد بيضاء ليس على الشعر وتجديده بل على النثر أيضاً ، وخصوصاً المترجم منه . فقد عمل الرجل كثيراً ، وأفاد كثيراً ، وصلى خلفه في هيكل الشعر خلق كثير ، فهو ، حقاً ، فجر مدرسة جديدة . إنه الشاعر الابداعي كما عدّه الدكتور السبعيل ادهم . ولئن قصر عن شوقي في التعبير فقد فاته في التصوير والتفكير .

عبد القادر المازني

ثم كانت الخسارة الجلتى بالمازني الاديب الكبير المحبوب ، البعيد عن العنجهية والادعاء . كان هذا الاديب الظريف يعمل ساكناً ، ويكتب صامتاً . حاول في فجر شبابه أن يكون شاعراً فما أعجبه شعره ، فأنصرف أولاً الى دراسات في الشعراء القدماء ، فكان أول من اهتدى الى ابن الرومي ، فكتب عنه فصولاً رائعة شائقة دلت على ذوق فني رفيع ، ثم تناول بشاراً فكان الاسبق الى دراسة هذين الشاعرين دراسة اصولية .

واخيراً اهتدى المازني الى نفسه ، وعثر حين طوّف في دنيا الثقافة على أسلوبه الذي عرف به ، فكان أسلوباً خاصاً نقرأه مسرورين مغتبطين . فلما مر اسبوع لم يكتب فيه المازني فصولاً مختلفة ، ولكن بدون ضجة وقعقة . فهو بتقدير كاتب نضال ، لأنه كتب ليعيش ، فكان يجلي في الميدان ولا يترك خلفه غباراً يؤذي العيون ، ولا صهيلاً وصليلاً يسم الآذان ، بل كانت طعناته صامتة . لا اجد اصدق وصفاً لها من قول غنتره :

برحمة الفرغين يدي جرمها بالليل معتم الذئاب الضرم

مسكين المازني ، اذا صدق الخبر الذي قرأت ، أن اولاده في حاجة بعد ان ألقى كاسهم في قعر مظلمة كما قال الخطيئة مستوحاً عمر بن الخطاب ... ولكن اين ظلمة البشر من ظلمة القبر !! ان هذا حيف ، فعلى الامم ان تراعي ادبائها كما تراعي جنودها الذين يموتون في ساحة الجهاد ... أليس هذا جهاداً ؟ أليس حامل القلم اخا حامل السيف في ساحة النضال عن الامم ؟

اذكر انني قرأت بعد موت ولي الدين ، أن ابنه كان يلم "أعقاب السكاير في شوارع العاصمة وسككها وليس من يأبه له ويذكر فضل ابيه . رحم الله عبد القادر المازني وجابر خاطر الامة المكسورة واعاضها مازنياً آخر . ولعل مازنيا لو بعث ساعة لقال لنا : لو كنت 'من مازن ...

محمود علي طه

اما الفقيه الرابع ، وهو المهندس محمود علي طه ، فشاعر مجدد ينحو نحو شعراء الوقت في لبنان ، وله قصائد غراء . يحق لنا ان نقول في هذا الشاعر ما قيل في ابي تمام : انه مات ولم يستمتع بخاطره .

كان له شعر رائق طريف يطبع على غرار الشعر الحديث ، وان لم تنقطع الصلة كل الانقطاع بينه وبين القديم ، وان نهج نهج شعراء الفرنجية في اساليب الكلام . لقد انطلقا خبر هذا الشاعر كأنه لم ينظم دواوينه (الملاح التائه) و (اشباح وارواح) و (ليالي الملاح) . فما ارخص موت الادباء والشعراء .

يوسف البعيني

اما الخامس فهو الاديب يوسف البعيني احد اعضاء العصبة الاندلسية في البرازيل . شاء هذا الكاتب الاديب اخيراً ان يكون ناقد العصبة فكتب في النقد فصولاً ، ولكن الموت عجل عليه قبل ان نستطيع الحكم على ما كان يروجى منه من خير ادبي . بيد ان ناقد العصبة كفى ووفى على قلة ما كتب .

انني انظر الى الغد نظرة خشيّة ، فعسى ان يحل ادياء الشباب محل هؤلاء الجهابذة
الذين تواروا في عام واحد ، والحبل على الجرار . ارجو ان يقدر الشباب المسؤولية
الملقاة على عاتقهم ، فهم خلفاء هؤلاء الادياء الذين ذهبوا ، فليعدوا العدة .

على الجيل الطالع ان يتعمق في دراسة الاصول ، وان يتبحر في متون اللغة
وهوامشها ، وان يعبّ من ينابيع الثقافة الحديثة ، واذا لم يجد دلوّاً فليعبّ بيديه
من نهر العلوم والاداب العالية ، والا فاني اخشى ان يصح فينا قول الججاج في
احدى خطبه : ما لي ارى علماءكم يذهبون ، وجهالكم لا يتعلمون ؟ ان العلم اوشك
ان يُرفع ، ورفعه ذهاب العلماء ... اما انا فلا ازعم زعم الججاج المتشائم ، بل اتجلد
واقول مع السؤال :

وما قل من كانت بقاءه مثلنا شباب تسامى للعلی و كهول .

ابراهيم عبدالقادر المازني

المازني كاتب متفرد ، هام حيناً في اودية الشعر ، ثم اهتدى الى شخصيته فعرف ذاته . ادرك انه لن يصير شاعراً مخلصاً فمال عن التول المنظوم الى الكلام المنثور فخلد بثوره في دنيا الادب . انفصل المازني عن اقرانه — حسين والعقاد والرافعي والزيات وهيكل — بأسلوبه الشخصي المستملح ، فكان نسيج وحده ، كما عبر اسلافنا التدماء . تعرفه حين تقرأ مقالاً له ، وان كان غير مهور ، وتلك سمة الكاتب الفذ .

ليست معرفتي به على قدر اعجابي بما تفرد به من حلو الكلام ومره ، فأنا لم أره غير مرة في الحياة . التقينا عند المصور الشهير اسعد دقوني ، وكان مرافقه الخاص يوم جاء لبنان الصحافي العصامي المرحوم جبران التويني ، فتعارفنا على يده ، وكان تسليماً وداعاً كما قال الشاعر .

رأيت فيه يومئذ رجلاً اعرج قليل الظل ، ذا عينين كأنهما محاجر مسك ركبت فوق زئبق . ثم كنت أقرأه بامعان واستتري اخلافة من خلال ما يكتب ، فإذا بي اراه جباراً ولا ذا عنجهية وان كان ذا عاهة ... فهو ، في نظري ، ان صدقت تلك اللحظة العابرة ، حمل كتاب عصره الوديع ، لا يتنفس ولا يتفرعن . لم يغرق في السياسة لأذنيه ، ولم يكن اعوج الحزبية ، فظل حيث هو . لم يته في مجاهل السياسة ، فعاش اديباً ومات اديباً .

كان (امن) عبدالقادر ، كما كان يسميه ذاك الناظر الأخن ، مثال الاديب العربي المشتق ، وان زعم لنا انه لم يعرف من النحر غير اسمه . لم يتطعم المازني الصرة بينه وبين القديم ، ولم يتنكر للجديد ، فجاءت عبارته حلوة ذات الروان طريفة حديثة ،

ليست بالتقدمة الغربية ولا هي بالجديدة المبتدلة . نابع شخصيته في خلال مسطوره ، حتى في المواضيع الجافة التي لا تجد فيها الشخصية منفذاً تبرز منه .

لم يرفض المازني الالفاظ العامية الفصيحة ، ثم استكفى بروحه الفنية عن الالتجاء الى الفصاحة والبلاغة ، فكان له من ظرفه وخفة روحه اكبر عون على نفع الحياة في كتابته التي تستحلى وتستلج . ناهيك بأنه الكاتب اللبق الذي لا يتعالى ولا يطرق المواضيع التي تظهره بمظهر العلماء الكبار ، بل يعالج ، وخصوصاً حين شيخ ، المواضيع المتصلة بالحياة اليومية . فلما عناه ان يناقش فيلسوفاً كبيراً عالمياً ليريك انه من اقاربه او اعظم منه ، كما هم من يخطئ بالاقلام الحسابية الاربعة ان يناقش انشتين ، وقد يخطئه ولا يستحي . ان المازني يفعل غير ذلك فاسمع كيف يحدثنا عن نفسه في مقال عنوانه : (في الكتب) :

« وتمنيت وانا ادير عيني في كسبي على رفوفها ، لو ان هؤلاء الالمان الذين يتفلسفون علينا بما لا نفهم ، بينوا لنا ، او لي انا على الاقل ، ماذا يريدون ان يقولوا . عجيب امرهم والله ! قرأت مرة لاحدهم ، واطنه (هجل) كتاباً في فلسفة التاريخ فخرجت منه كما دخلت ، وقلت لنفسي : اما اني حمار ، واما ان هذا الرجل لا يحسن العبارة عما في رأسه ، ولكنني افهم عن غيره فلماذا اراني لا افهم عنه !

ودارت الايام ووقع في يدي كتاب لرجل امريكي اسمه دريبر ، يكتب كما كتب خلق الله ، لا الايمان ، فاذا فيه فصل طويل عن العرب يعد تطبيقاً لنظرية هجل التي لم افهمها . فسألت نفسي : لماذا لم يكتب (هجل) كما يكتب هذا الرجل ؟ ثم عدت اسألها وانعجب : لماذا فهم (دريبر) عن (هجل) ولم افهم انا عنه ؟ واسأت الظن بنفسي ، واعتقدت ان بي نقصاً في التدريب العقلي . وراجعت هجل وكررت الى هؤلاء الالمان المعوصين كرة المصمم المستعيت ، ولكن مضغ الجلاميد اعباني ، فنفضت يدي منهم ، ومن نفسي يائساً ، وقلت : يا هذا ، لقد صدق القائل : كل مبسر لما خلق له ، وانت لم تخلق لتقرأ فلاسفة الالمان ، فارجع عنهم وانج بنفسك منهم .»

ألا ترى معي ان استاذاً غير المازني لا يعترف هذا الاعتراف ، بل يعد الف

هجل حماراً ...

والمازني قرض الشعر اولا ، كما سبق القول ، ولكنه لم يصر على النظم مغالطاً نفسه ، بل ادرك ما في شعره من سحابة ، فعدى عن النظم الذي كان يجيء فيه بالغث ، وبحسب انه صنع شيئاً . ولم يكتب المازني بارشاد نفسه ، بل كثيراً ما نصح غيره ليعدي عما لا يجيد فيه . تراه ، مثلاً ، في آخر عبارة من كتابه (قبض الريح) ينصح احد رفاقه في الشوط الادبي الاول ، قائلاً له : « ان (الأستاذ) — اي الدكتور طه حسين — ليحسن جداً الى نفسه اذا نحاشى الخروج من النقد العام الذي يسهل مع التحصيل ، الى النقد التطبيقي او الدراسات الفردية . »

اجل لم تطب نفس المازني بشعره فارعوى حين ضل ، وانصرف الى النثر فاحسن صنعاً ، لانه لم يُبيل الادب العربي بمنظومه بل اسكره بمنشوره ، فكان نثره هذا مرقاة له فعرج الى سموات الفن . فهو ، ولا شك ، واحد من اعظم كتابنا للفكرين الساخرين .

لست احدثك عن كتبه المشهورة لانك تعرفها . (فحصاد الهشيم) وهو اشهر ما يقرأ من كتبه ، يقبل عليه النشء لما فيه من دراسات ادبية دقيقة لابن الرومي وبشار . فالمازني كان سبق ادباء جيله الى التعرف الى هذين الشاعرين الكبارين ، فكتب عنها فصولاً تفني من شاء التعرف اليهما ، عن المجلدات الضخمة . وقد يكون حبه العبت باللهي الكبيرة صغيراً هو الذي هداه الى شاعرية ابن الرومي الفذة فكتب عنها دراسته القيمة .

فابراهيم المازني ، كما يعترف في مذكراته (قصة حياة) يقول : « لا اعرف ما سر حيي للحي في وجوه الناس ، ولكني اعترف اني ما رأيت قط حية طويلة تدلى كالخلاة الا تازعتني نفسي ان اجعل لها من اصابعي مشطاً . وقلما ادى الآن حية تستحق ان اعبت بها . فان الناس في زمننا يخلقونها او يتصورونها ، ولا يرسلونها ، اكفاء بالمظهر ، واستغناء به عن الحقيقة الخشنة او الشائكة . »

ولا احدثك عن كتابه (صندوق الدنيا) فهذا ايضاً في متناول الناس ، وقد اقبلوا عليه ابداً اقبال . ولا عن كتابه (قبض الريح) الذي مر ذكره سابقاً . فهذه

الكتب اشتهر بها المازني ، وهي معروفة من دنيا القلم ، ولم يسود وجهه من كتبه الاولى غير قصته (ابراهيم الكاتب) . شاء اديبنا الكبير ان يكتب قصة فكتبها ، فكانت قصتها قصة تطول ، كما عبر قبلنا صاحبها ابن الرومي ...

اخالك ادركت ما في عناوين كتب المازني من طرافة وغرابة ، وهذه سبعة النافذ الاصيل . فالمازني نافذ في جميع ما يكتب ، وفصلي في كل فصل حبره ، واكثر قصصه طرافة واحلاها هي تلك الافاصيص التي تصل بذاته اتصالاً وثيقاً ، وخصوصاً في الفصول التي كتبها في مجلة (الرسالة) وغيرها بعد ظهور تلك الكتب . فقي مثاله : (عجوة ببيض) وغيرها ، يذكرني بقصص الجاحظ واخباره ، وان كانت هذه من نوع آخر .

لقد حلت بالاساذ نكبة البرامكة حين صبحه اولاده وزوجه بطاب الفلوس . ولكن (العجوة بالبيض) هونت عليه الكارثة التي حلت به ، وتعزى الكاتب الفارغ الجيب بالكلمة الماثورة التي خاطب بها زوجه مسنياً نفسه : « انقي ما في الجيب يأت ما في الغيب . لا بأس ، لا بأس ، سيرزقنا الله » .

بيد ان الكاتب لم يرزق ، فعاش غير مبسور ، ومات مكشوراً عليه ، ولولا صرخة رفيق الرحلة الاولى لناه بنوه في الازفة كما فاه من قبل ابن ولي الدين لاماً اعقاب السكاير عن ارضة سوارع القاهرة ...

قلت لك فيما مر ان المازني (كاتب جامع) ولكنه متشد السير في كل ما يكتب ، يهزأ لا يلوي ، ولا يفرض اراءه وافكاره على الناس قرضاً . اسعده يحدثنا في عام ١٩٣٥ عما اسيناه منذ اعوام (الجامعة العربية) وقد سماه هو في ذلك الوقت (القومية العربية) وبما قال فيها : « لقد احطنا قوميتنا بمثل سور الصين . ولو ان هذه القومية العربية لم تكن الا وهماً لا سند له من حقائق الحياة والتاريخ لوجب ان نخلقها خلقاً . فما للامم الصغيرة امل في حياة مأمونة ، وما خير مليون من الناس ، مثلاً ؟ ان اية دولة تتاح لها الفرصة ، تستطيع ان تثب عليهم وناكلهم اكلاً بلعهم وعظهم . ولكن مليون فلسطين اذا اضيف اليه مليون الشام ، وملايين مصر والعراق ، مثلاً يصبحون شيئاً له بأس يتنى » .

قد يقال : ولكن هذا لبس الاحلام ، فنقول : نعم انه الآن حلم لا اكثر ، ولعله

لا يتراءى الا لاحاد يعدون على الاصابع في كل بلد . ولكنه ، على كونه حلماً ، ليس اعز ولا ابعد منا لا مما نحلم به امم اخرى في هذا العصر ، وبالامم حاجة الى احلام . والاحلام ضرورة من ضرورات الحياة للافراد والجماعات ، ومن لا حلم له لا امل له ولا مستقبل ، فلماذا يعيش اذن ؟!

هذه بعض خطوط من صورة اديبنا المازني ، واذا اردنا ان نرسم لكاتب عظيم مثله صورة تامة الخطوط ، فمثل هذا الاطار لا يتسع لمثل هذه المادة الغزيرة . فكتاب بكامله يكاد لا يفي بالمازني ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله . فشكراً لمحنة الشرق الادنى التي تذكرنا في كل مناسبة باخواننا الذين طواهم الموت ، وكم في التذكر من منافع وعبر .

رحم الله المازني ، وما احوج الادب العربي الى بضعة كتاب من طرازه ، فينتعش لسان الضاد وتذب الحياة في كتبه . فالرجل كان غني النفس على بؤسه ، كريماً معطاء على خصاصته ، وربما كان البؤس مصدر هذه الثروة الادبية .
من يدري !

المنفلوطي ورسالة الغفران

لنك تترك الاموات يرقدون في قبورهم مطمئنين ،
فمالك ولهم ، النخ ...

من رسالة كاهن.

ابن واستاذي.

لا أخالك ناسياً ما كنت تقوله لنا ، ونحن صغار لم تطرر شواربنا بعد ، عن وقتنا
امام ربنا حفاة عراة ، حين لا يشفع بنا غير اعمالنا الصالحة ، وسيدتنا مريم العذراء ...
ولست انسى تغنيك بهذا النشيد : ان قلبي في هوى مريم ... من كان للعذراء عبداً
فلن يدركه الهلاك ابداً ...

اما الاديب فيدان مرتين : مرة بحسب ناموس دينه ، واخرى بحسب ناموس
الادب . فلا تجزع ولا تحنف ، فتبور الادباء معرضة للنش كل ساعة ، ولا يقام على
نابشها حد زياد في (البتراء) . فهنيئاً لمن ينش النقاد قبره وينقل اثره الشمينة الى
متحف الفن ، وبأويله اذا لم يكن فيه غير عظام نخرة ...

وبعد ، فان معضلة الاسلوب او القالب او المنوال قد شغلت العقل العربي اجيالاً ،
فاحتال لها جماعة في كل عصر باخذ الجبل من طرفيه . لم يعافوا التديم جملة اتقاء ثورة
غوغاء الادب وهم اكثر من السوقة واشد خطراً ، واخذوا من الجديد بمقدار ارضاء
لنفوسهم الضامة الى ورد غير الحياض المطحلبة ... اما المجددون الذين قردوا وخاطبوا
الناس بلسانهم فانكرهم جيلهم وكان كاورشليم ، قائلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها ،

فعاثوا في امتهم كالدجاجة الغريبة لا تصادف الا منافير من فولاذ تغرز في رقبتها .
امامي الآن مقدمة ابن خلدون فاصبح ما يقول في هذا الشأن :

« فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الاساليب — اي اساليب القدماء —
فلا يكون شعراً ، وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة
الادبية يرون ان نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء ، لانها لم يجربا على
اسلوب العرب »

فهل من حرج علي ان وقفت من هذه الشهادة التي ينقلها اليها ابن خلدون موقف
المرتاب الشاك ! فاما انه يشهد بالزور ، او ان شيوخه هؤلاء شيوخ حقاً لم تبق منهم
الايام قوة تميز بين شعر المتنبي والمعري . ومهما يكن من امر هذه الشهادة فهي دليل
على تمسك العرب بالقالب حتى صيروا التعابير العربية كحصى (الدومنو) وحجارة
النرد يسوقها الزهر ، وينزلها منازل لا يشتهيها اللاعب . اما الفنان فينظر الى الفاظه
ككائن حي يستمد الحياة بما حوله ، وان كان للصينيين قوالب حديدية يحصرون فيها
ارجل بناتهم فلا تنمو ولا تكبر ، فالقالب العربي فعل اكثر من هذا بعقولنا . فما
افقر اديباً لا اداة له من الكلام الا ما قاله اباؤه وجدوده ، وان لم يعبر كما عبروا
فقد كفر .

اتنا نعجز عن خلق تعبير جديد فنحتج لضعفنا بتنديس الاسلوب ، ومن استعرض
اثار العرب رأى ثورات الزعماء في كل جيل ، ونخاة وبلغاء يقمعونها . اما الجبار الذي
خرج على اساليب القدماء واغراضهم وتعابيرهم فهو المتنبي وقد سمعت ما يقوله فيه ابن
خلدون ويسنده الى شيوخه .

ولكن ما نعاه فيلسوف المؤرخين على ابي الطيب اصبح اليوم دعامة خلوده .
فكان هذا الشاعر الاعظم قد نظم شعره هذا الجليل الكفاحي ، ففيه مرعى لكل نفس
غير بلهاء كاشياخ ابن خلدون الذين يجارهم طه حسين . فقد سمعته يحتم كلمته في حفلة
الجامعة المصرية للمنتبي بقوله : ان فن المتنبي لا يعجبه ، وهذا ما توقعته من طه بك فلا
بد لك كثير من مخالفة ليقال : قال . وطه ، كما أراه ، يعشق شيئاً فشيئاً ، ولا يبعد ان
تستهويه الماوية والسجنجل ، فهو يمشي الورداب كالسرطان ولا نعلم اي وكر يلا .

مسكين ادبنا المريض بسل الاسلوب وسرطان القالب . انه لا يؤمن الا بتعازيم الكهان ورقى الحواة ، ولا يعرف من الطب الا الكي ، وهو خير دواء لكثيرين من هوائه . يخذعك طلاء هذا الادب حتى اذا رزته عرفت انه دنانير ولكنها من (شوكلاته) ! سقنا هذه الكلمة حديثنا عن المنفلوطي ، والمنفلوطي جدول يخرخر ونهر تثرثر تقطعه غير خالغ نعليك ولا تشمر بكرم فضاح كالتى حدثنا عنها الريحاني في ملوك العرب . المنفلوطي من مناجذ الادب الذين لا يهنا لهم عيش الا في قرض الجذور ، ونحن الى من يغرس جديدا احوج منا الى من يقرض ، فالقارضون عندنا لا يحصون ، وقلما ينامون قبل ان يكبسوا بيتاً .

لا ادري لماذا صرت ارى المنفلوطي رخواً متوهلاً كالمرأة الهر كولة التي تعتمد على يديها ورجليها ، لتنهض وتكاد تقعد لولا التشدد كهريرة الاعشى . فادب المنفلوطي ادب مفلطح متنفش اغتورت الصحف بجزاته وودعانه فلقبته (امير البيان) فتطوح في حقول الاقدمين كلاقطي السنابل (العفارين) وتاه في الجادات كجسامعي لغافات التبغ ، ولن اعدل عن رأيي هذا فيه حتى تستبدل مقاييس الادب وعياراته بغيرها فيصير الرطل كيلو والذراع متراً ...

ماخذع المنفلوطي عن نفسه حتى جاء بهذه المفرقات الا كذب بعضنا على بعض ، وانما ما فتشنا نفعل هكذا بالاحياء الذين يعطون في جهلهم ولا يتأدبون حاسبين النبوغ في اجترار التعابير كالعنزة الثالثة .

لقد فقت اثار المنفلوطي كلها فما عثرت بتعبير شخصي لهذا النايغة . فهل بين الناطقين بالضاد من يدلني على واحد ، ثم لا يشنيه هذا الضعف ان يجتري ، على المعري ويلغى رسالة الغفران باسلوب منفلوطي ، فتسكرت لنا كالذين يتلبسون بقبع المرفع والبرbare .. ولو لم يقل لنا المنفلوطي انها رسالة الغفران لجهلناها ، فقد استحال فيها ادب المعري معرفة ، واستناب المنفلوطي نفسه عن علي بن منصور .

رحم الله ع . م . احد رسامينا القدماء ، فقد خبرونا انه كان يصور الغزال ويكتب اسمه تحته ليعرف الناظر انه يرى صورة غزال لا صورة صبع . ان ع . م . في الرسامين كالمنفوطي في المنشئين ، ولم نعدم البلاد ممن يعدون ع . م . مصوراً بارعاً ..

وكانني بمنفلوطينا قد استضعف خيال المعري فبدأ رسالة الغفران — غفر الله له — حيث اراد، واخذ يروح فيها ويحيي، كسيارة يدورها سائق عكش في كوع ضيق .

قد بدأها كما شاء هو فرأى نفسه في صحراء مد البصر، وما اكثر ما يرى المنفلوطي نفسه في الصحاري، حيث لا حارس ولا ناظر، بل ما اكثر احلام هذا الرجل واقرب اغفائه، وما اطول نومه فكانه اليربوع او الغريو . عفواً ابن الغريو منه وقد نام الف سنة في رسالة الغفران .. تحرش المنفلوطي بالمعري، ثم يجبران في قصة (صراخ القبور) فكان كولد مخربش على الحيطان قبالة فنائين حاذقين . وجاء عمله في رسالة الغفران كعمل صيقل ابله يذهب بجوهر السيف ليجعله لماعاً ابيض، وان شئت فقل ليعيده حديدية .. او كحراث عثر وهو ينقب ارضه على قطعة اثرية فجلالها بسحوق كسر الجرار ليزيل زنجارها، فخمشها وعراها من هيبة الدهور وجلال الاجيال . وهكذا فات البصير، امير البيان، ما ادركه الاعمى الذي لم يعجب شعره ابن خلدون واشياخه .

لقد مسخ المنفلوطي رسالة الغفران مسخاً لا يغتفر لصيبة الكتاب، فكان كالقصاص بل من اين للمنفلوطي براعة ذاك . فالقصاص لا يميل الخطوط التي تريك ملامح ابطاله، اما المنفلوطي ففاته هذا . اقرأ تركيف غاب عنه ما فيها من جمال قبلل التعابير الاثرية بكلام مزيف مصقول، ولم يعجبه، يا سبحان الله، من كلام المعري الا (فبعلت بالامر) التي لا تدل الا على ذوق المنفلوطي، فأبقتها .

هل من معترض اذا سمينا المنفلوطي محي المؤودات، فقد احيا لنا الكثيرات منهن مثل : فتاته عنه، والفينة بعد الفينة، وعين ثرة ثجاجة، وقلب اي بثر الخ .

عدا عن الصحراء التي حل فيها محل ابن القارح، ثم خلق ايضاً في الجنة دهليزاً — كالذي كان يأكل فيه المعري — وهذا شيء غريب عجيب لا يلهمني الا ان المنفلوطي كان يسكن بيتاً ذا دهليز . فالمعري الذي عاش في دهليز ابدى ما خطر بباله قط ان يجعل في جنة الله حتى ولا في الجحيم دهليزاً كهذا الذي خلقه المنفلوطي .

قال المتشريق جيب في مجلة الدروس الشرقية الانكليزية : (ص ٣١٦ سطر ٢٢ مجلد ٥) ان المنفلوطي كان متأثراً بالادباء السوريين، وايد كلامه بتلخيصه رسالة

الغفران التي لخصها زيدان قبله ، ولم يتعرض الاستاذ جيب لهذا التلخيص المشوه بكلمة . نعم ان المنفلوطي هذا حذو زيدان كما قال جيب ، ولكن زيدان لخص هذه الرسالة تلخيصاً أميناً ، ولم يستضعف المعري ، فتقدم لتأخلاصة تويننا هيكل رسالة الغفران فترة فترة وعظماً عظماً . اما تلخيص المنفلوطي فلا نظير منه الا بفناعات منفلوطية كالتي يعجب بها بعضنا ويحالها الادب كله . اما صاحبهم ففشل فشلاً مخزياً في تلخيص رسالة الغفران ، وفي قصة العقاب التي كتبها على نسق قصة (صراخ القبور) كما سنرى ، فكان فيها ، كما هو في كل ما كتب ، رصاف الفاظ يلهو بها الوليد بالتقطع الخشبية ، يبني منها قصرأ او قبة ، حتى اذا وفق الى رصف تلك القطع في مواقعها صفق له ابوه ، وقبلته امه بين عينيه اعجاباً بذكائه واكباراً لنبوغه .

ان تعابير المنفلوطي في كل ما يكتب هي هي بعينها ، شاحبة صفراء كقوس الشنفرى ، او كبني يربوع الاخطل . اما سياق تفكيره فواحد . كل ليلة غداقية الالهاب ، وكل حقل مد البصر ، وكل وقت يمضي الا اقله ، وكل رؤيا يبدأها بقوله : رأيت فيما يرى النائم ... وقد يكتب صفحات فلا تدري ماذا يريد ، فتأتي معانيه كحبة قمح في عدل تب . ولا اتخيله الا كاولئك الراعطين الذين يعيدون مواعظهم على الناس بشحمها ولحمها وعجرها وبعرها .

فكرت كثيراً بما اشبه به اثار المنفلوطي واسلوبه وتعابيره وطلبت فلم اجد له مثلاً الا الروبل الروسي ، والمارك الالماني .. وان اردت مثلاً تراه بعينيك ، فانظر الى الظرف والزكرة المنفوخين وترحم على نحاة العرب ، فلحكمة سامية خلقوا حرف التنفيس ... واذكر بالخير صاحبنا بشاراً وقل لعشيته عبدة : عجلي فقد كاد صاحبك ينفزر ...

لقد ضاق التفكير بالمنفلوطي فلجأ الى قوالبه المألومة واخذ يرجعها كساعة (الكوكو) التي نقتلك زمناً ، قبل ان تعد الثانية عشرة . اليس عجيباً ان نسعى الى التجديد بكل ما فينا من قوة ورغبة ثم نصر هذا العتيق ونسيه جسراً ، وهو قنطرة نافرة الغلق .

واخيراً ان شئت ادراك فهم المنفلوطي لرسالة الغفران فاقرأ كلام ابليس وبشار

في الرسالة وقابله بتلخيص المفلوطي ، ثم قل سبحانه من يخلق لكل جيل عبثيا كالمفلوطي .

اني افرح كثيرا بما اقرأ من محاولات شبابنا في التجديد ، وساجعل همي الاخلاص لهم وللفن فاعرض عليهم ما افهم وادرك ، ولا غرض لي الاتحين نسل الادب .
واسعد ايامي يوم ازيل فيه من ادبهم عتيدة الاسلوب والقالب لينظروا الى التعبير ككائن حي ينبغ فيه الاديب الفنان من روحه . ففي قوالب العرب ما بطل ، وفيها الصالح لهذا الزمان ، فلنميز بين الاثنين . اذا كان الناس يحسنون نسل القبط ، والسكاف يجدد قوالبه كل عام ، فكيف بالاديب وهو الخالق المبدع !

اني لا احترم ولا اقدس الا الادب الصحيح ، وسيان عندي قديمة وجديدة ، وسواء عندي اجاء من غلام مغرور ، ام صدر عن شيخ وقور .
انا نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ، فان استمر انتم زادنا زدناكم منه ، والا فارفعوا ايديكم عن قدورنا ، فلا بد لهذا القول من كيال .



أبو الفضل الوليد

كان اسمه الياس طعمه حين كنا في مدرسة الحكمة رفيقين في الصف العربي ،
يعلمنا بيانها وقواعد الخوري يوسف بوضوح . ثم انقضى ذلك العام الدراسي ، عام
١٩٠٥ ، فترك الياس المدرسة الى غير رجعة وكان آخر عهدي به .

قضى في بيته ثلاثة اعوام كانت من اطيب العمر كما قال . ألف خلالها مسرحيات
عديدة ، شعرية ونثرية ، منها ما وضعها ، ومنها ما عربها ، حتى انه نظم نشيد الاناشيد
وصدره بمقدمة . ويزعم الياس انه لما هاجر عام ١٩٠٨ اضاع تلك الدفاتر في احدى
رحلاته ، ولذلك لم نضع نحن الوقت في سرد اسمائها . وفي ١٥ نيسان سنة ١٩١٣
اصدر في المهجر جريدته (الحمراء) تيمناً باسم حمراء الاندلس ، وقريته اللبنانية
(قرنة الحمرا) ، فعاشت تلك الجريدة اربع سنوات خلقت في اثنائها روحاً قومية
عربية قلما تجدها ، واذا وجدتها فلا تجد تلك الحماسة والعصية حتى الهوس .

قلت : كان اسمه الياس طعمه ، ولكنه « في تشرين الاول من عام ١٩١٦ اتخذ
كنية ابي الفضل واسم الوليد ، وقيدهما في سجل الحكومة البرازيلية فأصبحا رسميين
شرعيين يعرف ويعامل بها . »

يقول أبو الفضل الوليد « انه لم يغير اسمه لانه غير عربي ، بل لانه ابتذل وقصد به
علم النبي اليهودي . فهذا الاسم حمله احد اجداد العرب وهو الياس بن مضر بن نزار . »
ان جنون الياس بحب العروبة وكرهه اليهودية أنساه ان الكتاب المنزل الذي
تدين به العروبة التي يقدسها قد جاء فيه : وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من
الصالحين ، (سورة الانعام ٨٥) وان الياس ابن المرسلين (الصافات ١٢٣) .

ومن الصدف الغريبة ان يهاجر الياس في نيسان ، وان ينشيء جريدته (الحمراء) في نيسان ، وان يعود الى وطنه في نيسان ، وان تبارحنا نفسه الكبيرة في ٢٩ نيسان يوم الثلاثاء سنة ١٩٤١ .

اما هدف هذا الاديب الشاعر في الحياة فقد عبر عنه بما يلي : « لولا بياض امله لما شهد الان اسواد ورقه ، ولولا حبه لتومه ووطنه لما اضاع في الكتابة احسن العمر . فليس هو الا صاحب دعوة له عقيدة مليئة وطريقة سياسية . حمل القلم لظفارهما ولاظهارهما فكتب للعزم والعمل لا للعب والكسل . فكان نثره ونظمه مبدئين لشعوره وايمانه ورجائه .

انه مجاهد قديم ، حارب حتى تكسر سلاحه . وبعد ما قام بالفرض ووفى بالعهد هجر الدواة وسائر الادوات . ولم يعتزل الا لتيقنه انه لم يبق للقدم مفزع ، وللسهم منزع . فحكى قائداً رومانياً كان يعود من نقاع الحرب الى بقاع الحرث . وما كان ناثراً وناظماً ليعد كاتباً وشاعراً ، وما اتخذ الادب حرفة ليداومه لكن بلاغاً ورسالة . فلا يصح الا به وبامثاله قول الرسول في حديثه الشريف : يوزن مداد العلماء ودم الشهداء يوم القيامة فلا يفضل احدهما الآخر . »

وينقل ابو الفضل الوليد الى وصف خلقه ليعرفه الآتون بعده . فكانه ، رحمه الله ، قد ادرك انه سيهمل وينسى ، فدوتن بتله تذكرة نفوسه فقال : « انه طويل القامة ، قوي البنية ، متناسب الاعضاء ، حنطي اللون ، كبير الرأس ، كثيف الشعر ، واسع الجبهة ، أزج الحاجبين ، انجل العينين ، عسلي الحدقتين ، ضخم الانف ، غليظ الفم ، عريض الذقن والصدر ، طلق المحيا ، حسن المقابلة ، لين الجانب ، حلو الحديث ، لطيف الحس ، شديد الطرب ، صبور جليد ، محب للحلم والرحمة والاحسان ، ذو انفة وعفة ، ونزاهة وشهامة ، مترفع في العزلة ، متواضع في العشرة ، حانظ للعهد وفي بالوعد ، غضوب للحق ، ولوع بالعدل . »

اما في وصف ادبه فيقول : « ما كان التهاب فكري الا من اضطراب نفسي واضطراب قلبي . فالفضل في الهامي لروح العروبة التي لاحت لي من ورائها روح عليين . اني اموت كما عشت عربياً آملاً مشوقاً ، واود ان تضم جثائي تربة دمشق الطيبة .

هناك تهم روجي في البادية ، وتنشق نفحاتها الطاهرة ، وتطرب هدير الوادي .
تلك رقدة اشبهها واعلل نفسي بها ، واراها خير مكانة لي اذا كنت مستحسناً .
ومشى الياس الخطى التي كتبت عليه حتى استولى على امد العروبة فقال : « واذا
لم تكن عروبة الا بالاسلام فاني عربي مسلم مؤمن ، اسهد ان لا اله الا الله وان
محمداً رسول الله . »

هذا ما كتبه ابو الفضل الوليد . عرفاً الذرية بشخصيته ونفسيته . اما ما ذيل به
فأكثر كتبه فهاك بعضه ، آملا ان تصدق ما تقرأ . فرفيتي وصديقي الياس كان غريب
الاطوار كما ستعلم حين اتحدث انا عنه كما اعرفه . اما الآن فان رأييه هو في نفسه .
قال تحت عنوان (شهادة عدل وكلمة حق) :

« ابو الفضل الوليد عبقرى نابغة متفرد مندر ، اشهر من ان يعرف واكبر من ان
ينعت ويوصف ، ان هو الا الحكيم الاعظم والشاعر الانظم . وكل ما كتبه يعد من
نفائس الادب العالي ، وعليه طابع يمتاز من الاجادة والابتكار . ألف في اللغة
والتاريخ والادب والشعر والتشيل والغناء والنقد والاجتماع والرواية والسياسة
والفلسفة ، فكان عقله من العقول المحيطة التي لا يخفى عنها شيء ، ولا يفوتها امر .
فأصبح رب الصنائع وحامل الرايتين ، الحكيم الاخبار والفيلسوف الاكبر ، وشاعر
العرب الامثل ونجي الملاء الاعلى . »

انه الشاعر المي ، والفيلسوف ذو البصيرة البيرة والسياسي المطلع الخبير . كل
بيت من شعره قصيدة ، وكل جملة من نثره مقالة ، وله في الانشاء ميزة يفتن لها الارب
خيقر بأنها معجزة .

لقد برز بما ابتكره واحتكره على المتقدمين والمتأخرين . ما كان التهاب فكره
وقلبه ونفسه الا من شعله سبابة . وليس لهذا الجيل بل للاجيال الآتية ان تفديه حقه
وتعرف فضله وقدره . فقد كان ظهوره قبل اوانه ، وعلى غير استعداد من اهل زمانه .
ان هذه الشهادة تقرأها في آخر كتبه جميعها ، ما عدا (رباحين الارواح)
(واحاديث المجد والوجد) ، وعندما طبع اول ديوان كتب على جلده ما يلي :
« رباحين الارواح . الرقن الاول من قصائد الملم الذي نظم الشعر عقوداً ، والحكيم

الذي ضرب النثر نقوداً ، صاحب الطرب الاعلى ، والوטר الامدى ، اشعر من شعر ،
واكتب من كتب ، ملك النثر والنظم ، المبداع المجواد السيد ابي الفضل الوليد .
اما جلود دواوين شعره الاخرى فاكفى لها بوشم شاعر العرب فقط .

لقد انتهى بعض ما قاله ابو الفضل الوليد ، وجاء دوري الآن ، لاقول انا فيه ما
اعرفه . رافقته في مدرسة الحكمة فتصادقنا . ولكني كنت ارى فيه صديقاً تحشى
بوادره . كان ذا عنجهية ، ارستقراطي الطاعة في غبازه الحريري الذي كان يتفرد بلبسه
دوننا ، فكان العروية فيه طبع لا تطبع . كانت استاذنا الخوري يوسف بو صعب
يداوره ولا يجابه ، حتى قال مرة على اثر خروج الياس من الصف غاضباً : ابوه من
بيت طعمه ، وامه من بيت طوبيا ، وجدها الشنتيري وكيف تريد لينا مطيعاً .
كان يجلس وحيداً لا يأخذ ولا يعطي ، فكانه صف مستقل عن الصف . وكذلك
كان في الخارج ، فكانه لا يعنيه من المدرسة شيء كما يريد ان لا يعنيه منه شيء ، ولهذا
تركها دون ان يتم دروسه .

كان مسدداً برأيه حتى في التعليم ، فاذا سيره الاستاذ على غير هواه تنفش كاهل
وتأهب للنزال . لم يكن يمه من الدروس الا نظم الشعر . ينظمه في الصف ، وفي
قاعة الدرس ، وفي الكنيسة حتى ... وراة المناظر الخوري يوسف الخوري يخربش
على ورقة في الكنيسة ، وقت القداس فقال له : هذا بيت الله !

فأجابه الياس : وانا انظم له ترنية ليس فيها ركاة ترانيم حنا بو صعب .
وبلغت الكلمة استاذنا الصعبي ، وكان يحب الياس ويراعيه كثيراً ، فسأله : اية
قصيدة تعني من قصائد حنا بك بو صعب ؟

فأجابه الياس : اعني يا خالتي الاكوان يا باري الورى .

فقال الخوري : وما الذي لا يعجبك فيها ؟

فقال الياس : انه يخاطب الله بلغة النحاة فيقول فيها : يا عالماً هل انت حنا
ينصرف .

فقال الخوري : هذا حلو ، كيف لم يعجبك !

فقال الياس : لم يعجبني لان الله وعبيده لا يستعملون مثل هذه اللغة في الابهال .

واخيراً سكت الخوري ، وكانت دائماً الكلمة الاخيرة لتلميذه الظاهر الياس .
كانت ذاكرة الياس قوية جداً ، وكان شديد الميل الى الغريب من المفردات
فيحفظ منها الكثير ، وكان يترنح طرباً حين يسمع الوحشي منها في الشعر الجاهلي
وغیره ، فتلتقطه ذاكرته فلا يفلت منها قياً بعد .

وكان الياس يعيش على هواه ، يركب رأسه ساعة يشاء فيجمع ثم يشوب وبسلس
قياده تعليمه ورفاقه . تراه وديعاً كالحل ، وفي جلسة واحدة يلبس جلد النمر وينقلب
شعراً لا يؤتى من قبل ولا من دبر . بدوي في ثوب حضري ، غريب الاطوار ،
ولعل هذه الغرابة كانت من اول اسباب هجرته ، التي كان في غنى عنها . اما حبه
السياسة فكان فيه ككل ابن بيت لبناني عتيق . ان الفريكة التي شهرها الریحاني لا
تحرم بينها وبين قرنة الحمرا ، وبين الریحاني وابي الفضل الوئيد قرابة لعل للنسب
والمكان يدأ فيها . فأم امين من بنات عم الياس طعمه ، وهكذا كانت العروبة عندهما
فوق الجميع ، ولاجلها فاه الياس بكلمة الشهادتين ، وهذا لم يفعله امين .

هذه هي الفكرة الجارفة فيما خطته يد ابي الفضل ، ولا اعد ما نقلته عنه في مدح
نفسه الا من غرور العبقرية ، ولا بدع ، فالعبقرية والجنون يشيان في صعيد واحد .
لم يمدح الياس كما يشتهي فتوى هو بنفسه مدح نفسه ، فاطنب وغالى واغرق .
كان ايباً لا يستجدي التقريظ من احد ، ورأى انه مغموط الحق فحك جلده بظفره ،
والى هذا اشار في كتابه (التسريح والتصريح) فقال : « اعرف كثيرون من الشعراء
والكتاب يكتبون بأيديهم تراجمهم وتقاريفهم فينشرها لهم اصحاب الجرائد على علانها
لصدقة او قرابة او شفاعة او طماعة . وبعض صحافتنا اتخذها محترفوها هبة للخداع
والكذب . فقد تحي بالريحان من برجه الناس ، وتجعل الجاهل عالماً والسارق محسناً .
فرب صحافي برشوة او اكلة او سكرة صير القدم فريد عصره والفلس وحيد مصره .
وبورقة عملة يملأ ورقة جريدة من صورة الراشي وشماريخ الالقاب والنعمت . فالذي
يشاء يصبح امير البلاد وزعيم العباد ، وعميد الكتاب وسيد الشعراء . »

وكأنني بالياس قد اخذ حقه بيده بعد ما رأى ما لحق به من حيف . فما كانت
كغيره — كما قال — شاعر نهر ولا بحر ، ولا شعب ولا قطر ، ولا فيلحوف شرق

ولا علامة غرب ، ولا امير شعراء ولا رئيس كتاب ، بل نصب نفسه ملك الشعر والنثر وكفى .

ابو الفضل الشاعر

شاعر مطبوع ، خلق ليقول شعراً ، كان يحكي شعراً اذا شاء ، وظل يقول الشعر حكياً معرباً ، فهو في هذا ضريب عبد المحسن الكاظمي وان لم تكن له الديباجة الكاظمية . يعني ابو الفضل الوليد ان يؤدي فكرة لا ان يبدع فناً ، وان ادعى الخلق والابداع . فقلما تقع في دواوينه الاربعة على صورة بيانية ، ولكن نفسه تحن كثيراً الى الخلق الذي يزعم انه سبق اليه المتقدمين والمتأخرين . فهو في ديوانه الاول (رياحين الارواح) يناجي (العصفور) سائلاً اياه ان يجود عليه بشيء من ابداعه :

ايها العصفور قل لي	أنغني أم تصلي
هذه تغريدة قد	طيرت قلبي وعقلي
انت بالانشاد فوق	ان تكن بالنظم مثلي
زادك الله جمالاً	في النغني والتفسي
اعطني وزناً جديداً	لم يكن للشعر قبلي

أرأيت هذا التوق وهذا الوجد ! فهو يتمنى ان تكون له لغة العصفور واناشيدها . أدرك ابو الفضل المدرسة الجديدة ولم يتأثر بها ، بل نستطيع القول انه ازدهرها . كان يزرع حقله بعقله كما يقولون ، وهذا يقول لنا : « في شعري هذا لهجة صادقة ، وطريقة جديدة . وقد فتحت فيه ابواباً لم تطرق ، ومهدت للشعراء سبلاً ، فما نظمت قط مستزقاً او متسقاً ، وما طمعت بنظم ذليل في مال قليل ، فما اسقطه متاعاً اذا طرح في الاعدام على الاقدام . وشر البلية من ذي راس خفيف وكيس ثقل . »

ان صدق اللهجة والاباء وعزة النفس مل ، دواوينه الاربعة . اما الطريقة الجديدة والابواب التي فتحها فما هبت علي منها نسمة ، الا اذا كان التجديد فيما قال : « واحببت الشعر مصفى منثني لا جوازات فيه ، ولا قواف مكررة ، ولم استعمل كلمة اعجمية ولو راسخة في التعريب غيره على الاصيل من الدخيل . »

اشهد انه في هذا صادق ، وصادق ايضاً حين يقول :هـ كثيراً ما لا يكون الشعر لصاحبه، اما انا فصاحب شعري . تتأثر من قلبي زهراً عن غصن وريشاً من جناح ، فعلى طريق الحياة نثرت شعوري ثم نظمته في شعري . فما شعري الا تذكاري لمروري في هذه الدنيا . وكنت اود ان لا اترك اثرأ ولا ابقي خبرأ ، فأكون كعصفور يلقي غردة ويمر وهو غير مكترث لما تردد في الفضاء .»

ان في هذا المنشور شعراً كثيراً لا نجد مثله في منظوم الوليد الذي يرى الشعر سليقة وفطرة ، لا صناعة وفكرة . فأبو الفضل سليقي يقول فيعرب ، كما قال ذاك الشاعر عن نفسه . طويل النفس كأبن الرومي وان لم تكن له معانيه الغريبة . قد يتفقان في وحدة القصيدة ويختلفان في ان الوليد لا حشو عنده ولا ركاكة . تمنى ابو الفضل لو وضع اوزاناً جديدة ليكون ذا بدعة وابداع كما قال ، ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا ، وما عبر في قريضه الا عن آملته واماليه بعربان الكلام البعيد عن الخيال الشعري، المنطق العبارة .

والشعر في نظر رفيقي الياس نبوءه حقاً ، ولهذا قال في مقدمة الرياحين :« كان اليهود يقولون تنبأ أي قال الشعر . فالنبي في عرفهم هو الشاعر ، وقد كانوا ، وائم الحق ، مصيبين . فما الزبور والاسفار والنبوءات الا قصائد . وما داود وسليمان وسائر الانبياء الا شعراء ، وكفى بنشيد الاناشيد شعراً غزلياً يخلب القلوب ويسلب الالباب . ان التوراة رُفُنْ - دواوين - شعر مجموعة ، وهي كتاب اليهود ، ولكل اممة كتاب هو كتاب شعرها ، تذكر به ما كان وتأمل ان يكون .»

ويعرفنا ابو الفضل الوليد بديوان رياحين الارواح فيقول انه مظهر الروح المتأثرة ، وكذا يكون شعر الصبا والفتوة . فهذا كتاب الوليد حقاً ، ولا اسميه عبثاً كما سمى انعمي ديوان البحري ، اذ لا يحق لي ولا لغيري ان نعت بالشاعر الصادق الذي يكشف لنا خبايا نفسه .

هذا الديوان غزل كماكثر الغزل ، ولكن فيه وثبات كما في قصيدة مداعبة عذراء :

جلسها صمت وإيجازٌ ولحظها للقلب مهازٌ

مالي على عفتها طاقة
من لي بها والدين دون الهوى
وصورة العذراء في خدرها
قسيها ينهى ولا ينتهي
ان قلت مولاتي عديني وفي
قالت وقد عضت على كفها
أرشدته يا يسوع واغفر له
تلك على المجروح إجهاز
وفي يد القسيس عكاز
والسبعة البيضاء إيعاز
وهي عجين وهو خباز
فالقاب من عبيدك قفاز
لم ادر ما وعد وانجاز
من اجلنا جرحك تزاز

اظن انها قصيدة فريدة ، وهي في نظري ربحانة دواوين الياس الاربعة ، لا ديوان
رياحين الارواح وحده .

وفي قصيدة (الى فتاة ترهبت) رأيت هذا البيت في المحل الارفع من سموات
الشعر . قال يذكر تلك الفتاة التي عاذت بالدير من شياطين العاشقين :

ولم أنس يوماً فيه جنتك زائراً فقلت (الاهي) فقلت (قفانبك)
اجل هذه لقطات تومئها الالهة في طرق ابنائها الشعراء ، وهنيئاً لمن يقع على مثل
هذه الكنوز .

اما ديوانه الثاني ، او الرقن الثاني في لغته هو ، فمصدر بصفحة كتبها الشاعر بخط
يمينه ليثبت ايمانه وبقينه بسمو العرب وحق العرب بسلطان لا يزول . ان قصائد هذا
الديوان يدل عليها عنوان (اغاريد في عواصف) ، وهي قصائد انين وحنين ، وغزل ونسيب ،
وذكريات اوحثها الى الشاعر هجرته . فكان من أمه ، قعيدة بيته في الخراء ، كابي فراس
من عجوز منبج . في هذا الديوان تتفجر عواطف الياس بسبب ما أدرك من خيبة في
هجرته ، اصابه ما اصاب النعامه كما قالت العرب : ذهبت تطلب قرنين فرجعت بلا
اذنين . وذهب هو في طلب الطريف فاضاع التليد ، وذاك حظ كل من تدركه
حرقة الادب . فكم من معاز او عتال هاجر فاغتنى ، وكم من اديب لبيب لم يعط
خبزه كفاف يومه . فاسمع كيف يخاطب نفسه :

انطمع كالضليل بالوطر العالي وانت قليل الحظ والصبر والمسال
اطرفة في العشرين فاجاك الردى ويا ابن زريق مت من طول إهمال

وفي قصيدة خاصة بابن زريق يخاطبه فيها :

ثقينا كلانا فمت وكدت اموت ، فحسبي براه السقام
فمثلك خضت بحاراً وجبت قفاراً وشبت نفرط اهتمام

ويقول في قصيدة اخرى :

والخط لما طلبت المجد ارجعني صفر اليدين اذا فقتشت لم اجد
ثم يحتم هذه القصيدة موجهاً كلامه الى والدته :

ماذا تقولين او ماذا اقول اذا عاد البنون الى الاناوى ولم اعد
لهفي على ولد يقضي الحياة بلا ام ، ولهفي على ام بلا ولد
واذا شئت ان تذكر ابا فراس فاسمع :

هناك وراء البحر ام حزينه تكابد آلام الشهداء من اجلي
ابيت اناجي طيفها قائلاً لها رويدك اني كالآلى فعلوا فعلي
لقد مات (دنتي) بانساً في جهاده وقدمات في المنفى (امرو القيس) من قلبي
واني لادعو كل ذي عنة اخي فلشبل حنات الى زارة الشبل

ويأس الياس فيرى الكون من وراء نظارة سوداء فيقول :

من يعط لا يوهب ومن يمنع يذل كن مؤمناً بالله واشبع ديناً

ثم يرى سبب شقاء هذا البلد في طوائفه ، والى رجال الدين يعزو فقر البلاد فيقول فيهم :

متى ينتهي كهاننا وشيوخنا فنخلص من حياتهم والعقارب
ثقينا لنعمهم وراحتهم فهم يسوقوننا كالعيس نحو المعاطب
يقولون صلوا واصبروا وتشفوا وتوبوا وصوموا واثبتوا في التجارب
وهم بين عواد وزق وقينة لها عبثات باللعى والشوارب
يجوع ويعرى في الكهوف فقيرنا ويشقى ويبيكي صابراً غير عاتب
وقد اكلوا ديباجهم ودجاجهم وقالوا لشعب الله عش بالعجائب
فكم اكلوا التوابت بعد فظيعة وكم جحدوا الايمان عند المكاسب
خلاصي ، وما اغلاه ، لست اريده اذا كانت من خوري وفس وراهب
متى يهزم الغربان نسر مخلق وتبش آساد الثرى بالشعالب

هذه هي (اغاريدي عواصف) ،وسترى الى اين سار هذا المتعرد مع العاصفة .

والديوان الثالث (الانفاس الملتهبة) نظم في الحرب الكبرى الاولى فجاء صورة للزمن الذي نظم فيه ، طافحاً بحب الاستقلال الذي حنت اليه الامة العربية وحاربت من اجله . فالشاعر في هجرته يحلم بالجد العنيد ويتألم ويحن الى ارض هجرها :

ذكرت بلادي والكواكب تسطع ونفسي بما فوق الكواكب تطمع
وجدت لكي ارفع نجوماً كثيرة ولكن نجمي بينها ليس يطلع
فهو في هذا ينظر الى قول المتنبي: فلا تقنع بما دون النجوم . ابداً اقطع البلاد ونجمي .

ويرى الشاعر ان البلاد لا تنهى الا بالسيف والتلم متعاضدين فيهتف :

حليل الظبي وصرير التلم لفك القيود وشق الظلم
بدونها لا حياة لنا فهذا وذاك حياة الامم

وشمرت الحرب عن ساقها فشمير الياش معها ، واطربه زئير الحديد فصاح :

السيف يخطف فاسكت ايها القلم لا خير في الخبر حيث الدمع ينسجم
السيف منه صلاح فاضرين به ان النبي لنصر الله قد ضربا
ان اخفق الحق والايان في اُحد فيروم بدر ازال الكفر والشفا
اما تراجع محروساً ومحتوساً فالميث يرتد احياناً لكي يشا

ويذكر مسقط رأسه لبنان في تلك الايام السوداء فيهتف :

لي امة شطرت شطرين شطر نوى وشر موت فكيف الشمل يلتئم
قدمات ابناؤها حثف الانوف على مرأى الالوف فلم تنهض بها الهمم
وثوقهم بوعود العجم ضيعهم فذمة العجم الا تحفظ الذمم
يا ليت اعلامهم اكفانهم فلمهم منها حياة وللابناء معتصم
لكنهم تحت رايات العدى سقطوا صرعى ، وفي ارضهم من قوتهم حرموا

حتاً انها صفحة طواها الشعراء وما اتوا على ذكرها الا قليلاً . اني اضحك حين
أقرأ اليوم هذه العبارة : الحرب الباردة ، فاين برودة حرب اليوم من صنيع تلك ؟!
فما مروت حرب باردة في دنيا الله كملك التي مروت على لبنان في حرب سنة ١٩١٤ .

ماتت الناس بعدما اكلت الفؤران والجردان ، والحير والشعير من روث حيول
العربات . اجل لقد اكلت الناس هذا وماتت ولم تطلق بارودة ولم تهز عصا .
وكان الياس حين سمى ديوانه الاخير (نفحات الصور) قد تخيل امته راقدة
وهو رافائيل ينفخ في الصور ليبعث من في القبور . لا تستغرب هذا القول ، فها هو
الشاعر يصدر ديوانه هذا بما يلي :

« لقد كان هذا الكتاب من الشعر وحياً وتنزيلاً للعرفان والهدى ، فالعواطف
والافكار التي تجيش في ابياته لا تكون الا من نفحات علوية تنعش السماء بها
الارض ، كيف لا ونظماها ابو الفضل الوليد . قد نشأ مارونياً لبنانياً وتخرج من
مدارس نصرانية كهنوتية فكان معلوه قسيسين ورهبانا . وتغرب في بلاد افريقية
وامريكية اهلوها لاتين بحورهم تغرق الشرقيين ، فمن يصدق ان من هذه ترويضه
يشعر ويفكر بما لا يدور في خلد عربي مسلم في مكة . ان هذا الادليل على ان
شعره موحى به اليه ومنزلاً عليه ، فليس هو مسؤولا عنه ، انما الله وليه فيما كتبت
يده ناير العرب والمسلمين . وقد تدرج حسه حتى حبت العروبة اليه الاسلام وهو
روحها وجوهرها . »

ثم يختم هذه الصفحة من تاريخ حياته بهذه الكلمة : « فاذا لم يكن نبياً - اي
ابو الفضل الشاعر - لا شك بانه ملهم من خاتم النبيين . »

اما النبوة فلا ، اما الالهام فهذا فيض من النفس ، ونفس الياس تهدر في اعماقها
العروبة ثم تجري انهاراً جارفة في (نفحات الصور) ، وليس اصدق من عناوين قصائده
هذا الديوان في الدلالة عليه وهذه هي اولا : (الرؤيا النبوية) وفيها يقول ابو الفضل :

تشوقت حتى زارني الطيف مؤنساً واشرق نور الطلعة النبوية
ويبلغ الوئيد الجنة فيرى على بابها رضوان لابساً من الاضربج افخر حلة . ويدخل
الجنة ويشرب من رحيق الحور والولدان باكواب من در ، وقوارير من فضة ،
حتي اذا ما توغل في الجنة بلغ حضرة من على العرش استوى ، فرأى :

غمامة عليين نسترونه ترفع رب العرش عن كل هيئة
ويتحير الياس في ذلك الموقف ويعجز عن الوصف كما عجز مار بولس من قبل

فيسمع صوتاً يناديه : دعوتك فاسمع انت صاحب دعوة .

وكن منذراً بين الوري ومبشراً	وبلغ جميع المسلمين وصيتي
فشعرك وحي منزل في جهالة	كما نزل القرآن في الجاهلية
نشجع وآمن يا وليد فأنت لي	رسول وفي الابلاغ فضل الرسالة
انا المصطفى المبعوث للحق والهدى	وقد صحفوا في مصحفني كل آية
وقل لجميع المسلمين تجمعوا	وصونوا وقار الامة العربية

*

ويعضي الياس في البلاغ المبين الذي تجلى له في تلك الرؤيا ، فيسدي الى العرب نصعاً جزيلاً صادقاً لقنه اياه الرسول عليه الصلاة والسلام — كما زعم — .
وينقطع الهائف فيجفل مرتاعاً من الصمت ، ويأسف لانتقطاع الرؤيا وما شته من حسنات عدن من نفحات طيبة ، ويحتم هذه الكلمة بقوله :

وفي الشعر ربحان وراح وكوثر فما في من ريّ وريثاً لامني
اما المطولات الاخر فهذا بعض عناوينها : (المشرقية ، المغربية ، المقدسية ، الشامية ،
العرافية ، المصرية ، الاموية ، الاندلسية) وكأنها معارضة لنونية ابي زيدون ، وفيها
ينحي على جماعة العرب باللوم والشجب فيقول :

المريات مذلات فواطمنا	كما تذلل الاناجيلُ الفراقينا
وللقلائس هزء من عماثنا	وهي التي صغرت في عين قاضينا
فما لنا قوة الا بسيدنا	محمد ، فهو يرعانا ويحمينا

ثم تلي هذه القصيدة (الدمشقية والصحابية والجنديّة) وفيها يحيي الراية العربية بقوله :

بروحي واهلي راية عربية	لها النصر في سود المعارك باسم
حماه النبي المصطفى واستحبها	وناسجها جبريل والله راسم

ثم يذهب في حسن تعليل الوانها الاربعة مذهباً موفقاً . وبعد رفع هذا العلم لا
بد من ان يأتي الجهاد ، ففي القصيدة الجهادية يتغنى ما شاء . ثم تليها قصيدته (الشهادية)
وهي من مطولات الديوان وقد ختمها بقوله :

تمنيت مع قتيان قومي شهادتي ولكنني أهوى الحياة لأثأرا

ونجتم الشاعر رقيه الرابع بربايعات وسبايعات بنى قوافيها على حروف الهجاء .
اما رأي الشاعر في ديوانه هذا فهو : « انها من نوع الايوبه - الملاحم - عند
الافرنج ، فهي ملحمة العرب الكبرى ، وتغوق الملاحم التي نظمها اليونان واللاتين
والافرنج بعظمة المعاني ومتانة المباني ! »

ولابي الفضل الوليد غير هذه الدواوين الشعرية الاربعة (منعمة غافر ولبانة) التي
لم تقع في يدي ، ولكنني تعرفت اليها وعرفت مكاتها في الشعر بما كتبه ابو الفضل
الوليد في آخر دواوينه . قال ، كعادته ، في تعريفها : « هي منعمة شعرية نظمها ابو
الفضل الوليد من اجل مصر . وضعت على اسلوب جديد وطريقة مبتكرة جمعا محاسن
الادب الرفيع ، ولا بدع ، فناظمها قد تفرد بإبداعه واندازه في النظم والنثر وجاء
بالعجب العجائب .

قال خير مطلع على المناغم عند الافرنج ان (منعمة غافر ولبانة) اجل المناغم التي
تلوتها وشهدتها ، فهي تحفة هذا الفن . وكان نظمها على نسق مبتكر فشبهها احد
قارئها بواجهة جوهري معروضة فيها الجواهر على اختلاف انواعها والوانها . والخير
يظنها تأليف موسيقي لا تأليف شاعر لما حوته من الصناعة الموسيقية . ولما تلاها احد
الموسيقيين قال : هذا تنزيل لا تلحين . »

قلت : وعنا لامر الاستاذ سعيد تقي الدين ...

ابو الفضل النائر

لابي الفضل الوليد اربعة كتب نثراً : (احاديث المجد والوجد) ، وهو حكايات
مستوحاة من التاريخ العربي في الشرق والغرب . وهذا الكتاب ككل كتبه
ودواوينه لجمته وسداه العروبة والقومية . وفي نهايته ستة فصول سماها رسائل بها ينتهي
الى كتابة ما سماه (الفاتحة الوطنية) ، وفيها يقول : « يا مالک السماوات والارض
وقابض الدول والسلطين ، خلص الشرق من الغربيين ، ونجنا من مكاييد الاجنبيين .
واجعلنا متدينين غير مغالين ، احراراً مستقلين ، غير مسيطر عليهم ولا متفرنجين ،
فنعيش ونغوت عرباً سوريين » .

ولا يكتفي بهذا بل يكتب (تعليماً) جديداً على نسق التعليم المسيحي الذي يتلقته الناشئون على هذا الدين فيقول :

س — اعربي انت ؟

ج — نعم انا اعربي بنعمة الله وذمة العرب .

س — من هو العربي ؟

ج — هو المتحدر من السلالة العربية او المولود في الارض العربية .

س — ما هي الارض العربية ؟

ج — هي كل ارض اهلها عرب ومستعربون .

س — هل سورية منها ؟

ج — نعم وهي من صميمها ، فانا عربي سوري .

الى ان يسأل :

س — ماذا يريد العربي المخلص للعرب ؟

ج — يريد لهم دولة عامة ، وراية جامعة ، ولغة واسعة .

واخيراً :

س — اتحافظ على هذا المذهب ؟

ج — نعم ، به اعيش وعليه اموت .

اما كتاب (القضيتين) فموضوعه يدور حول السياستين الشرقية والغربية ، وبما يسديه فيه لقومه من النصح قوله : «ليعمل للتوفيق اهل العصبية من المسلمين والنصارى فيكونوا خير العاملين . فمن الكبائر ان ينجعل العرب النصارى امام العرب المسلمين ، فما اجمل تعاون المسلمين والنصارى على الاجانب والحوارج .

ان كرام العرب والنصارى مخلصون لامتهم ، متعلقون بعروبيتهم ، يفضلون حكم بدوي على حكم اجنبي . ويرون المنتصرة ان ينوب عنهم كهان ويكون لهم منهم زعماء . الى ان يقول : لا اوطان في الوطن ولا طوائف في الامة .»

وفي كتاب (المآلك) اي الرسائل يكتب في العلم والفن والاجتماع والفلسفة فلا يدع شيئاً من الشؤون والشجون إلا ألمّ به . وكان المعاملة ، وخصوصاً المالية منها ، قد نفست عيشه فقال : « ثلاثة لا تقهجا الا عند اللزوم : بابك وكيسك وفمك . واشد الخطر في فتح الكيس الذي يغلق القلب . فتحصيل الدين اشبه شيء بقلع الاخراس

وتنف الشعر . ومحاولة الدائنين للمديونين كمحاولة السباع ومزاولة الافاعي .
ويحتم هذا الكتاب برأي في الادب فيقول : «الادب حتى الرفيع منه كاث منه
اضرار واضلال وليس الا نوعاً من الملاهي . ولم ينفع الناس في كل اطوارهم الا العلم
الثابت الصحيح .»

وفي كتابه (التسريح والتصريح) ولعله آخر ما ألف يتعرض للغة، فينظر فيها نظرة
فاهم، وينشدد كثيراً حتى يصفى اللغة من كل عجمة، فينصح لمن يريد ان يتخلص منها
بتأناً ان يقول في الجلنجين ورسل ، لانه مصنوع من الورد والعسل ، وفي الفالودج
دعسل لانه معمول من دقيق وماء وعسل !!

وهذه ايضاً تذكرنا بما نخته سعيد تقي الدين من مفردات خالدة ...
ويتعرض ابو الفضل للكتابة فيثني على الخط العربي ويترع دعاة العامية تقريراً
غنياً ، ويدعو الى التكلم بالفصحى .

ثم يتعرض للركاكة في الكتب الدينية ، كما فعل الشدياق من قبل ، ويدعو العلماء
من الكهان الى تهذيب لغتها . ويرى « في قصص التوراة ما يجعل من تلاوته الخليع ،
ناهيك انه يعلم الفاسق ما يجهل ، فحول وجهك عما فيها من دعاة بني اسرائيل بل
بني عزرائيل» .

اما الآن ، وقد انتهينا من هذه الدراسة ، فهل كنت تحلم يا اخي الياس ، ان
رفيقتك مارون الذي كانت نكته توجعك سوف يكتب عنك هذا الفصل ؟ لقد كنت
بك رفيقاً كما كنت لك صديقاً ، وانا ، قبل وبعد ، مولع باحياء المؤثرين من اعلامنا .

obeykandi.com

في المضمار

شلي الملاط

جعبة الصياد

معجم العلايلي

حول القصة

سعيد تقي الدين

امين نخله

محروم (الامير عبدالله الفيصل)

ديوان الملاط

يعذرنى اصحاب الدواوين والكتب اذا ما قدمت ديوان استاذي شبلي الملاط ولم
اراع النوبة التي يراعيها جميع الناس حتى اصحاب المطاحن ... أما هكذا ادبنا
الشاعر القديم حين فضل الاستاذ على الوالد .

انا امام حقبة لا بد من تدوين كلمة شاهد رأى معاركها وخاض غبارها ...
فشبلي زعيم من المحاربين القدماء عركه النضال عرك الرمح بثقالها . هو سيف غساني
لا عيب فيه غير ان به فلولا من قراع الكتاب ... ناطح وساور في مجال الادب
والسياسة ، واظنه لم يلق سيفه وتوسه بعد . ما زال على شيخوخته في عربنه شمم .
منتصب كبرج لبنان الناظر الى دمشق . لا يجبو الى الثاين كما عبر القدماء ، بل يقفز
ويجمر نحوها غير منحن تحت اثقالها . سبقت ساعته ساعة سواه خمس دقائق فأحرز
في زمانه لقب الشاعر العصري ، فكان في ديوان العرب ، فترة من الزمن ، كثير
امرى القيس : كبير اناس في مجاد مزمل .

اذا عتق شبلي اليوم ، في نظر الجيل الطالع ، فهذه سنة الوجود . ولنحمد الله
على امرين ، على ان لنا جديداً وعتيقاً ، والمثل يقول : احفظ عتيقك فجديدك لا
يبقى لك .

لست تأمن غضب شبلي ، فرب كلمة تخرج من فمك ، وانت لا تقيم لها وزناً ،
ترجع كفة ميزان غضبه وتقوم القيامة . يتعنس ويشمخر ، ولكنها عاصفة تمر .
وقيد شوك وبلان ترتفع السنة لهيبه حتى تلاقى السقف ، ثم تهمد النار وتخمد ، فاذا
خفت غضبه فلا تيأس من رضاه القريب جداً .

شلي تاريخ حتبة لبنانية ، وليس استطاع تاريخ حتبة في مثل هذا المقام ، ولكن لا بد مما يقال ، او لا بد مما له علاقة بشعر الرجل وادبه . فالمعركة الادبية التي نشبت حوله في فجر هذا القرن اشبه بمعركة قروم القرن التاسع عشر : الشدياق واعوانه ، واليازجي وانصاره . واذا كانت هذه المعركة محمية ودون هاتيك ديمومة وحدة ، فقد اجملت عن غنائم ادبية وكانت لنا مدرسة ثانية .

كنت يومئذ في مدرسة الحكمة . وكان يوم احد ، فدعانا استاذنا الملاط ليمرنا على تمثيل روايته (الذخيرة) ، فغادرنا قاعة الدرس مبتهجين لاننا استرحنا من رؤية وجه الراعي الحامض . وما توسطنا (الليوان) حتى رأينا النمر غضبان ، ورأينا الاستاذ بشارة عبدالله الخوري يصفر ويخضر ، والشيخ ابراهيم المنذر يشير بيديه وعلى فمه ابتسامة حائرة . وهتف الملاط بنا : امشوا . ومشى ومشينا ، وراح المنذر وبشاره الخوري ، وكانت دقيقة لها ما بعدها في تاريخ خضتنا .

تجمع ثلاثة على شلي : المنذر ، بولس زين ، وبرسف مراد ، وكل واحد من هؤلاء عارف بأسرار اللغة وان لم تكن له شاعرية شلي وترسله ، فراحوا ينتقدونه لغوياً ، على طريقة الشيخ ابراهيم اليازجي في لغة الجرائد . ابتدأوا بمسرحيته (الفرد الكبير) فوقعوا فيها على اخطاء كثيرة ، فكان لنا من مطالعة نتقدم فوائدها .

قد تقول وما علاقة بولس زين ، وكيف دخل في القضية (شخصاً ثالثاً) ؟
— كان بولس زين محامياً . وكان تامر الملاط ، شقيق شلي ، قاضياً في كسروان ، فكان اذا جاء زين ليرافع ، ومن عادته التطويل الممل ، ضاق به صدر الملاط ، وكان ضيقاً بلا سبب ، واسكته بهذه العبارة : صه يا رجل .

ودارت الايام دورتها ، فعزل مظفر باشا تامر الملاط وعين بولس زين قاضياً لمحاكمته ، فكان اذا حاول تامر ان يتكلم اسكته زين بقوله : صهن يا رجل . اي اسكت ابدأ .

هذا ما حمل بولس زين على المساهمة في نقد استاذنا . وانفتح لهم صدر جريدة لبنان لابراهيم الاسود ، عدو بيت الملاط . كان الاسود مقرباً من مظفر باشا متصرف لبنان ، واليه يعزى تعيين بولس زين قاضياً . وهكذا انفتحت الاغراض وكانت تلك

المعركة . ولكن النقد ينفع ولا يضر ، ولو كان من العدو ، اما قال الشاعر :

عدائي لهم فضل علي ومنة فلا ابعد الرحمن عني الاعاديا

هم كشفوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

فكما تتعلم كيف يكون الدينار الزيف حين يعيده اليك الصيرفي ، كذلك يفيدك نقد الكلام . فلا تاعن ابا الناقد ولا تحرق دينه ، فليس للناقد دين ولا مركع ...

قد يقال نراك استعجلت هذه المرة ، فمن عادتك ان تبقى الكتب عندك شهوراً واحياناً سنة واكثر . قلت : وهناك سبب اخر غير الذي تقدم ذكره ، وهو انني اعرف اكثر شعر الملائط على غزارته وكثرته ، فاللهم زد وبارك . هذا هو الجزء الثاني منه المتضمن الالوف من الابيات ، وهو لو جعله دواوين ، لكان له بضعة عشر ديواناً من طراز دواوين هذا الزمان . ان هذا الديوان الضخم الفخم لاشبه بفساطين وسراويل السيدات القديمة التي لو فصلت قصيرة مزمكة ، لكسا الفسطان الواحد منها بضع نساء .. ولكن استاذنا اراد تعبئة اكبر كمية ممكنة في عدل واحد .

لقد اساء استاذنا الى نفسه العتيدة في تاريخ الادب ، فسوف يقال — بعد العمر الطويل — له ثلاث مسرحيات ورواية مترجمة ، وديوان شعر ضخم .

فلو فصلنا ديوانه — فسطان الملكة فكتوريا — على الطراز الدارج اليوم لكان لنا منه ، على الاقل ، عشرة دواوين ، كل واحد منها قائم برأسه وفيه وحدة . فالتصائد التي عنوانها وقفاتي في بلاد العرب ، ديوان كبير لو صفف على طريقة علب الشوكولاتا ... اي في كل صفحة بيتان ثلاثة . وقصائده القصصية ديوان آخر لا يقل عنه حجماً ، ويرويت مسرحية شعرية تعبي . كتاباً ، وغزله ديوان ، واجتماعياته ديوان . لقد ظلم الاستاذ نفسه ، لانه لم يرتب مخزنه الكبير على طريقة الـ ا.ب.ث. بل كوم هذا الشعر فكان لنا منه بيدر كثير الغلة ، فاذا سقط منه تحت الغربال مقدار تبقى متادير تملأ بهواً لا ديواناً .

فيا معلمي العزيز. اذا عجزنا عن اقامة يوبيلك الذهبي فديوانك هذا يتيم لك الان ، وفي كل اوان ، يوبيل الماسيا. ان فيه منه ما يقاس بالدرهم لا بالقيراط . ولا يتوهم احد ان ما قلته يعفيلك من النقد ، فالناس لا ينقدون الا الذهب ،

أما النحاس فمن يقيم له وزناً . أنت ترائنا الغلي والموعد الغد . ومعاذ الله ان يلقىك
العقوب من البنين .. فعلى كبر سني ، وشيبي بحمد الله غير وقار ، كما قال أبو نواس ،
ما زلت اسعد واعتز يوم اراك وابوس يدك الطاهرة كلما التتينا .

ولكن كل هذا الحب والاجلال لا يغفل قلبي ولا يشل فكري امام مهابتك .
ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها كفى المرء نبلاً ان تعد معايبه

جاء في رسائل رسول الامم : على فم شاهدين او ثلاثة تقوم كل كلمة . وفي عنق
هذا الديوان الاغر تيمتان نفث في عندهما شاعران قارحان : شكيب ارسلان و خليل
مطران . فديوان الملاط ، اذن ، اصيل مطهم ، حجة بوقبته ، كما يقول الفرسان .

ولكن هل تحول هذه التعويذة دون قول كلمتنا فيه ؟ لا . وما دمنا لم نقف بعد
على حقيقة الجمال ولم نعلم اذا كان موجوداً في نفس الناظر ام في نفس المنظور ، فالجمال
امامنا واسع . ولذلك قال الاولون : لولا اختلاف النظر ما نفقت السلعات .

ما هذه اول مرة التجاسر فيها وادخل قبة العهد و قدس الاقداس ، فقي (على المحك ،
ومجددون ومجترون ، ودمتس وارجوان) كلام عن شاعر الارز . واني لانشى ان
اكرر ما قلت حين اتحدث عن هذا الجزء من ديوان شاعرنا الكبير شبلي بك ملاط .
فالملاط ، مثل لبنان في الاقطار الشقيقة امثل تمثيل ، فكان كما قال الفرزدق في
المرحومين جدوده : برزوا كأنهم الجبال المثل . ان شبلي غودج لبناني فح ، ففي عتوه
وشموخه مثال صادق للجبل الاشم ، وكأنه قد أحس ذلك في اعماق نفسه فقال :

انا فلذة صخرية مقطوعة من ذلك الجبل الاشم الراقي

انا جدع لبنان القديم فما ذوى ورقى ولا لوت الشدائد ساقى

اشهد انك تقول معي — ان رأيتك والنفس خضرا — انه في الثمانين ربيعاً ...

وفي مكان آخر ، بعد مساحمة فيخامة الرئيس واثني عليه ، راح يطرح الصوت
ويعرض ريمه هانفاً :

قل للالى شادوا المطار بخمدة ان قبلهم بالارز كان مطاري

لا قة ، لا ايكة الا على شجراتها غشى وطار هزاري

ولئن شملت ولاية شوقي الشرق كله حين قال : كأن شعري الغناء في فرح الشرق

النخ ، فشلي اراد ان يحصر امارته في هذا الجبل مع مراعاة العلاقات الطيبة وحسن الجوار... لم يشأ ان تتسع رفعة ملكه فما خسر ولا ضعف قريضه ، لانه ما تكلف ولا طمع ، والطمع قلما تفec ...

والآن فلنقل كلمة عامة في شعر استاذنا الجليل : في شاعرنا كثير من ملامح البحري ، فهو مثله لا يفصل الكلام على قد المعنى ، بل يدع معانيه تخرج من ظامه . يجتري في ألفاظه السهولة المنتقاة ، يجتري في تقطيع ابياته اجزاء متساوية ، فكان كل قافية من قوافيه (قرار) العوآد ، حين ينطح براسه اللاشي ، وتجهز ريشته على النغم ، فتصعد روحه وتتعالى الآهات .

في شعر شبلي سرعة النهر المنحدور . اما على المنبر ، فهو مكر مفر ، ينصب وينتفض كجملود صخر حطه السيل من عل . لا يترك لك شبلي مجالاً متى انشد ، فأنت مسير لا مخير . تجرفك (حاصولة) النهر فقد تصفق للاشي ، ومع ذلك تصفق بشدة تشبه الهوس .

واذا عدت الى ذلك الشعر الذي ارفصك واسكرك انشاد قائله ، شككت في بعضه ، وعجبت لضعف شعر شبلي الذي يغلب قوي غيره في الميدان . ان هذا هو الذي يدللك على ان الشعر موسيقى ، ويجلو لك سر قول العرب : انشد فلان قصيدة . وشعر شبلي قليل الظلال كثير الانوار ، ترناح العين حين تقع على صوره ، ولكنها قلما تكتشف فيه شيئاً فيما بعد ، وهذا ما يجعل صوره ، على قلنها ، باهتة . فاذا اردت مثلاً للشعر المطبوع في هذا الزمان ، فاقرأ شعر شبلي . ليس شبلي من الشعراء المحكمين المتصنعين ، فبنات افكاره لا يعرفن البودرة والحرة والمانيكير . هن اشبه بظباء فلاة المتنبي . اما خاصته المثلى فهي تلك السهولة النادرة الوجود ، ولكني لا احدهما كثيراً متى جمعت كل موزون .

ان هذه السهولة محمودة جداً في شعره القصصي ، فهو لو فكر في نظم ملحمة لما سبقه شاعر من الناطقين بالضاد . انه ومعروف الرصافي خير من قص . فشلي حين ابن ، ضرب برأسه ، ورفس برجله عمود الشعر ، منذ خمسين عاماً . اما الرصافي فشديد الاسر وما تنكب عن طريق السلف المعبدة .

ان عبد الله البستاني معلم شكيب ارسلان والملاط ووديع عتلى وامين نقى الدين وغيرهم من شعراء الطراز الاول - المحضرمين - كان اول من نقد الحبة امام تلاميذه ، وعلمهم ذلك كما تعلم الدجاجة فراخها . نظم المعلم عبد الله حكاية شعرية عنوانها (الفرصاد) ومطلعها :

وذات صيانة عقدت يميننا على حب امرىء عتدا متينا
فاقتدى به تلميذه شبلي ونظم اقصيصه الشعرية التي اولها :
طفلة فوق سرير من خشب في زوايا بيت صياد قديم
وهنا اريد ان اسأل معلمي : كيف راح ذاك الشطر الذي حفظته منذ نصف قرن : هتفوا طوبى لشدي ارضعك ؟! اخفت يا استاذي من الخليل وسيدويه ؟ ام نهاك (معلم ذمتك) فحذفته ، وهر تلك الماسة الرائعة !
لقد جلست في اغراض الشعر الكثيرة ولكنك كنت الشاعر الاوحد في التخصص .
فترجحتك السيادة ، وهي اقوى من خيالك ، هي التي سيرتك في هذه الطريق .
واذا قرأنا مقدمة هذا الديوان الضخم رأينا الشاعر العظيم يتأسف في (الصفحة ٢٤) على ضياع ترجمته لتصيد بحيرة لامرتين ، حتى اذا بلغ (الصفحة ٤٩٧) نشرها برمتها ونسي ما قال . فعلى كل الحمد لله على السلامة ضاعت ولقيناها ... انها قصيدة موفقة يؤسف عليها ، وكما كنت اتمنى ان يضيع غيرها من ديوان استاذي . ما اعني الا بعض شعر المناسبات الذي هو اشبه بالحكي منه بالشعر . رحم الله ابا تمام الذي قال : «ووقف الشاعر من شعره موقف الاب من بنيه فهو لا يتمنى هلاك احد منهم .»
وبعد فقلنا خلا ديوان شاعر من الشعر المتخلف عن رفاقه ، اما قال فيكتور هيغو - الترجمة لحافظ ابراهيم - :

انا كـ المنجم تبر وحصى فاطر حوا تربي وصوروا ذهبي
فلنصن ذهب الاستاذ ، واما التراب فالى التراب يعود .
ان لشاعرنا اسوة بالشعراء الكبار . اما قالوا قبلنا : ان رذل المتنبى ليس تحته تحت . ومع ذلك سمعناه يقول :
وما الدهر الا من رواة قصائدي اذا قلت شعراً اصبح الدهر منشدا

ومثله قال الملائكة :

من كل قافية ترن كأنها أوتار عود في بنان الموصل
ينغني جرير والفرزدق دوتها ويذوب من حسد فؤاد الاخطل
طبعاً يريد استاذنا اخطل الامس لا غيره ...

وقد عجبت لاستاذي ، وقد كان مديراً في اهدن ، كيف يقول دير مار قزحيا ،
وقزحيا اسم المكان لا القديس . ان هذا القديس اختصاصي باخراج الشياطين وطردها
واظنه طرد شيطان شبلي فقال فيه تلك الابيات الباردة . اظن ان موقف الشاعر من
الدير ورئيسه قد كان كموقف بشار من ربابة ربّة البيت ... احتفى قدس رئيس
دير قزحيا بالقائمه شبلي فقال فيه ما قال ... فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر .

وقف شاعر الارز امام اروع منظر لبناني . النهر تحت قدميه ، والجبال تحديق
به وتحديق اليه باعين كهوفها ، والقسم منتصبه كالجبابرة لتعطي ذلك المعقل الحصين ،
ومع ذلك لم يقل شاعرنا شيئاً . ما شغل باله الا معجزات (مار قزحيا) ، وترميم
— المحترم — السير علي للدير ...

وهنا جاءني كلمة اكره رجعتها خائبة الا وهي ان معلمي شاعر بشر اكثر منه
شاعر طبيعة ، فما الهمة هذه الا كلاماً عادياً . واني اعزو ذلك الى نشأته الاولى . قد
درج وشب في زمن كان الشعر فيه يقال في الناس فقط . وما شعره القصصي الذي
فارق فيه معاصريه الا من ذلك ، وان لم يكن هو هو ... ولكنه يجيد حين يعرض
لوصف مشهد اقتضته القصة ان يصفه ، مثل وصف البحر مثلاً ، في الجمال والكبرياء .
والعجيب فيه هو انه اذا شرع يقص يخلص شعره من تلك الزمائم التي تتعلق به في
اغراضه الاخرى فتشوه محاسنه .

وبكلمة مختصرة واخيرة اراني مضطراً الى ان اقول ، وآمل ان لا اغضب الملائكة
كما اغضبت الفياض من قبل : ان شعره اشبه بحقل من الزهور المختلفة . الوردية حد
القويصة ، والاقحوان حد بخور مريم ، وشقائق النعمان بين الاعشاب المختلفة ، والزران
بجوار التدول ، ولكليهما زهر وعطر وجمال .

انك لتظفر من كل قصيدة من قصائده الصوال — وهي كثيرة — بما يظفر به

المؤمن من اختلف يوم الجمعة العظيمة ، فيعود حاملا الى يسوع عريس الاحلام والالام
باضحامة زهر طريفة ، واكليل شوك اذا شاء ...
بارك الله في عمر معلمي ، وحسبي رضاء .



جعبة الصياد

في جعبة سعيد فريجه سهام ولكنها اخف من ريش النعام ، وصاحبها صياد أي صياد . واست ادى من صورة على جلد كتابه في تلك الانحناء العميقة الا ظاهراً له . فهو لا يحتاج الى مثلها الا في صيد الفيلة والتاسيح ... اما ضرباته الاخرى فيرسها على الهينة ومن تحت ابطه ...

لقد سئنا المقلدين ومومياءاتهم ، بل تلك الاحذية الجاهزة ... كانوا يقولون فيما مضى : فلان شاعر مطبوع ، وهم يريدون انه يقول الشعر عفو طبعه . ان هذه الكلمة تصح في سعيد الذي يعترف ان الاستاذ كنيذر ، صاحب جريدة التقدم الحلبية ، هو من علمه كتابة الناء وغيرها . فغير قليل ان تؤدي تلك البداية الى هذه النهاية ، ويحير سعيد فريجه كاتباً نسيج وحده ، اي صاحب اسلوب هين لين ، يفهمه العامي ويرضى عنه الفصيح المنتطع . قد يكون سعيد كشمشون الذي لم يمر على رأسه موسى ، أي لم يعمل رأسه ستف مدرسة ولا غصن سنديانة ... ومع ذلك فاق الكثيرين من تلاميذوا للأية ، وقتلوا الكتب الصفراء درساً حتى اصفرت وجوههم ، فوجوه قرائهم ...

اقول هذا بعد مطالعتي لكتابه (جعبة الصياد) التي اخرجتها دار المعارف المصرية مطرزة مدبجة كذلك الجعاب التي كانت تنسجها عذارى لبنان من تيمهن من الشباب السر وقتنهن كما فتق قلم سعيد قراءه . ان قلم سعيد لا يؤلم ولو نفذ الى الصميم ، وضربته الحافظة لا توجع لانه لا يشتي . وكل من يذوقون طعمها لا يستقلون تلك اليد الي تسدها .

أطلت جعبة الصياد على ديوان الادب وعليها تعويذتان ، وفي تعبيرنا اللبناني

خرزقة عين ...

المقدمة للشيوخ خليل تقي الدين ، والختام للدكتور سهيل ادريس . اما الذي عندي فهو ان سعيد فريجه (حاف) غني عن التعريف لان قراءه لا يعدون ولا يحصون . ما اظن ان هذا الجواد الاصيل كان يحتاج الى هذه الناصية وذلك الذيل لولا دخوله ، جديداً ، الى كاندوائية الادب الارستقراطي ، بينما هو ما اعتاد الجلوس الا في قرنة كنيسة قروية ...

لا اوانا محتاجين الى مذاكرة سيوييه والفراء والتحليل وابن منظور حين نقروا او ننقد جملة سعيد فريجه ، فما فيها غير الفاظ لبنانية فصيحة عامية ، ولو لم يقتل الدكتور ادريس في هدأب الجعبة ما يلي : « لست اري في جملة الصياد سيئات لسيين : اولها ان صاحبه وكل الي ان ازيل منه السيئات قبل دفعه للطبع ، فلا يغفل ان ابقي على شيء منها . » ما خطر لي ان اقول فيها شيئاً .

اجل ان الاختيار جيد ، والغربال غير واسع العينات ، وكل ما يقصه الاستاذ فريجه خالفاً عليه طيلسان ظرفه وبرنس أنسه جميل ، وطيب ، وحاو يؤكل بالعيون . ولكن الى الصديق الاديب المرتجي الدكتور ادريس اقول : كنت تقيّد ألفاظاً فصيحة عامية بين خطين ، وكنت تترك ألفاظاً عامية تسرح وتمرح .. فحوت في الامر ولم افهم السر . وهناك شيء آخر كثيراً ما وجدته ، مثل : قلت : لم لا . ثم بعد اسطر في آخر الصفحة ، تأتي هذه العبارة : بتسلم عليك خالتي . وبتترجاك . فاذا كانت هذه من كلام الولد ، فليست (لم) من كلام سعيد .

وقال سعيد في مقدمته : « اما اذا وجدت فيه ما يستحق الهجاء فأرجو ان تخص به الدكتور ادريس ، وحده ، لانه هو صاحب الغربال » وانا بناء على هذا الترجيه اسأل الدكتور عن كلمة واحدة فقط ، وهي (أهل) في هذه العبارة : لا ادري أهل كانت لي وحدي ، أم كانت موزعة الخ . ترى ألا يرى . هي الدكتور سهيل ان كلمة أهل لا هي من كلام سعيد ولا من كلام الجدود رحيم الله ... لان اداة الاستفهام لا تدخل على اداة استفهام ، ومن يأكل خبزاً بكحك ! ..

وبعد فما لنا ولهذه التوافه ، فليس سعيد نحويًا يلوك لسانه ولا من علماء البلاغة

واللغة . فما ايسر وجود هؤلاء ، فايما اجلت يدك تقبض على نواصي من يعرفون هذا على حته . ولكن ليس من السهل ان تجد سعيد فريجه آخر يسد ما سد من فراغ .
عشاً نعب في تكوين رأي جديد في هذا الجنسي ، فالرأي مكوث ، فلا النقد يجدي ولا التقريظ يزيد ، فكل صورة من تلك التي يوحى بها ذهنه وتخرجها بجلته فغني عن ابلغ الاقوال واثقها ..

فكلنا معجبون بظرفه في فني الكتابة وايحاء الصور والتراويق البليغة . فالرجل كذا خلق ولا حيلة لنا فيما خلق الله . حقاً ان الله كريم .

قرأت الجعبة كلها ، ولم اخوم منها حرفاً ، بل كيتها كما كتب عبد الملك بن مروان كتابته ووجد الحجاج اصلها عوداً واشدها مكسراً . وقد اعجبني جداً غمزاته ولغزاته في سياحة انكلترا . ذكرني بكشف الحب ، فاخونا سعيد وشيخنا الشدياق تشغل رأسها المرأة دائماً . وكما تذكر الشدياق الطبيع في لندن ، كذلك فعل اخونا سعيد ، ومن يقول ، بعد هذا ، ان ليس في الدنيا توارد خواطر ! فكلاهما مشغولان بانطقن وما يليه .

التهمك والالتفاتات العابرة ، والاستطرادات والقرصات الموجعة ، هي زينة كتابة صاحب الصياد ، فهنيئاً له ولقرائه بها . رأيت سعيداً او سهيلاً يسمي مقال (اخر العنقود) قصة . انها قصة ، ولكن ادوع قصة فنية في الجعبة هي (ليلة الميلاد) فني حذفنا من ختامها بضعة اسطر صارت في طليعة اقايصنا الحديثة . فسعيد قصصي طبعاً ، ويتفوق في الحوار . اما سلاح هذا القنفذ الغني فهو تلك التعابير الخاصة التي يلقنه اياها شيطانه المريد .

كل شيء في الجعبة لذّي ، الا فصل التمار ، والبرء عدو ما جهل . اني لا افهم الالفاظ التكنيكية ، ولا اعرف المحيط لأتصوره ، بل ما رأيت اللعب قط ، والحمد لله . كنت اسر حين افهم ، اما حين اصطدم باللون المحلي ، فكان يقصر حماري في العقبة . قد كنت احدث نفسي بالصعود الى السماء كإلياء ، ولكني بعدما قرأت وصف سعيد لاهوال الطيران ودرعائه طمعت الفكرة ثلاثاً ، وترحمت على بديع الزمان الذي قال بلسان بشر عرانة يخاطب حصانه :

أنا قدمي ظهر الأرض اني رأيت الأرض اثبت منك ظهرا
ما حسدت سعيداً على شيء مما ظفر به من صيد غزالات وحمام وبنام ... ولكنني
حسدته على رفقة تلميذي الطاهر الأستاذ اميل البستاني الذي شهد فجر نهاره ، ولم
امتنع قط بضحاياه الرائعين . كنت أسمى اميل الزئبق لانه لم يكن يستقر قط .
واميل من نوابغ تلاميذي ويزيد عليهم انه كان حركة دائمة ، وهذه الحركة كانت
تبشرني بالنجاح الفلاح ، كما كانت تعبني احياناً . كان وفقه الله ، عرق (الجمعيات)
الناض كما هو اليوم وريد المعارضة ... وسبحان من يغير ولا يتغير .
وبعد قلنعد الى سعيد ، ان سعيد فريجه سيقني بين كتاب الظرف والنكتة الخاصة
بصاحبها دون غيره ، وهذا يكفيه . ولو وزعنا ظرفه على عشرات من ثقلاء الاقلام
لانعشتها روحه . وما ضره ان يكون حظه من القصص كحظه من (محاسن) بطة
(اخر العنقود) ...



معجم العلايلي

اعرني طرف زرقاء اليرامه لأبصر ما ورا تلك العمامه
حتاً ان وراه عمامة الشيخ عبدالله العلايلي لعلماً جمّاً وتفكيراً فذاً يوغل صاحبه
في الغابات البكر ، ليكتشف الكنوز المرصودة في المجاهل . لقد حطم الشيخ عبدالله
العلايلي ذرة الكلمة وأدانا التوى الكامنة في الحروف ، وأي شيء في الكون اقوى من
الكلمة التي قالت العوام فيها : من وطأ كلمة وطأ جبلا .
وقد قال احد الانجليدين ايضاً : في البدء كان الكلمة ... اذ لم يجدوا له نعماً
اقوى من هذا النعت .

فبعد ان كانت كلمائنا مبعثرة لا تدل على شيء ، وتدلل على كل شيء ، جاء هذا
العلامة وخص كل لفظة بما تدل عليه . وهكذا صار عندنا معجم ، كمعجم امم الارض ،
منظماً منسقاً . كان معجمنا كدكاكين السمانة والعطارين . الا كياس مكدسة :
السكر حد الكبريت ، والرز الى جانب الشعير وو ... اما اليوم فقد اصبح لكل مادة
عندنا مكان . كنا نقرأ مثلاً في المعاجم : شقي ضد سعد ، حتى اذا ما رحنا
نفتش عن معنى سعد رأيناه هكذا : سعد ضد شقي . وفسر الماء بعد الجهد بالماء ...
اجل . فبجثر العلايلي الذرة اللغوية ولم يكلفنا معمله قرشاً واحداً ... حمل على عاتقه
أثقل الاعباء حين هدم صروح المعاجم ليشيدها من جديد بحجارة فيها النحت والقلب
والابدال ، فجاءت خدمته من اجل الخدمات واسانها لان اللغة هي العروة الوثقى .
عشرين عاماً قضاها هذا العلامة الاكبر معتكفاً في بيته . سميده كتابه ، وندبه قلمه .
يفكر ويدون ويستنبط واجرته اجره . لم يطلب معونة احد غير ربه وعقله — عفواً

نسبنا سعيد عقل المنوه به في مقدمة المعجم — حتى اذا ما فرغ من التفتيش عاد الى
الوضع ، والعلماء يتوقبون انبثاق هذا المعين ، فاطلعت علينا هذه الدفقة من ذلك
الينبوع الغزير فمحت وصحة دمغنا بها ابن منظور حين كتب معجمه لسان العرب وقال
لنا : خذوا لغتكم من اعجمي .

والان يحق لعلامتنا الشيخ عبدالله العلايلي ان يخاطب امته قائلاً : خذي لغتك
وارقي لغات المسكونة في كتاب واحد .

وليس على الله بمستكبر ان يجمع العالم في واحد
منذ قرن بالضبط ظهر (سر الليال) لاحد فارس الشدياق فاحدث انقلاباً كبيراً
في مفهوم لغة الضاد ، فهلل الناطقون بها لعلمه الجبار . وكان الله ، جلّت حكمته
وقدرته ، لا ينسانا فيجود علينا في كل قرن برجل وها هو ذاك الرجل .

فحين يتحدث الدارسون غداً عن الاكتشافات اللغوية في القرن العشرين سوف
لا يذكرون المجامع وجهودها و (اجتهاداتها) التي نجلها ونقدرها ، بل يذكرون
عبدالله العلايلي الذي عمل منفرداً ما لم يعمله العلماء مجتمعين .

وان عدت رجال العلم يوماً فهذا واحد بمقام الف

قلت يا امام اللغة المعاصر ، انك اشبهت الشدياق ، وكيف لا تشبهه وانت من
طرازه جسماً وعقلاً وبادرة ! فأنت تريد ان تطلق لفظة الأراضة على علم الجيولوجيا ،
وتقول ان الازيم عربية من بزم ، والشدياق قال : ان الكنيسة عربية مأخوذة من
الكناس حيث تختبئ الغزالة . وكذلك كان النصارى ، في اول عهدهم يختبئون في
الكهوف من وجه مضطهدين .

انه ليسر لغة العرب ان يخلق لها في كل عصر احد فارس جديد . وكما اوضح
العلاييلي الوحدة المعنوية في كل جذر ، كذلك حاول الشدياق ان ينحصر كل حرف من
حروف الالفباء بمعنى عام لا يحيد عنه الا نادراً . والثناينة التي كثرت الكلام عليها
اليوم ، واتجهت الابصار نحوها قد نشأت في ظل ذاك الدماغ الجبار .

والان يقوم عندنا رجل يعمل موسوعة يحتاج اليها كل ناطق بالضاد من اصيل
ومستعرب . ففي هذه الموسوعة موسوعة العلايلي : اللغة وفقها ، والعلم وتحديداته

ومسيانيته ، والفلسفة والتاريخ . واذا قال العلابي انه يفضل شرح غوامض تاريخ الامة بكلامها فهو على حق ، فالكلمة لم تخلق الا لوجود يعرف بها ، كما يخلق الاسم للطفل الجديد .

الكلمة كائن حي خالد ، لانها تبقى حية بعد الحي لتدل على انه وجد . وما وجدت الا لتصور كائناً حقيقياً او ترهيباً ، كما عبر الشيخ عن الميثولوجيا .

كنا نشكو من معاجنا خطتها الحقيقية بالمجاز فجاء من نظم ورتب ، وكلف الكلمة جهداً ، وبعدما كانت اللفظة (مشاعاً) حددت ملكيتها ، فجاء معجمه موسوعة حتماً لا ينقصها الا الاعلام ، ولعله يخصها بجزء فيكون كتابه معجم القرن العشرين .

فحسبك منه انه ذكر الابركسيس او الابركساس ، وسيدكر ، ان شاء الله ، في الاجزاء الاتية : النافور ، والشحمة ، والجليان ، والسنكسار ، والريش قربان ، والزباح والجنار ، وغيرها وغيرها ، فيسهل فهمي اناء خاصة على التاريء العربي ، في كل قطر . ويعرف كل جارد منا ما عند جاره .

قلت ان هذه الموسوعة رحبية الجوانب ضمت القديم والحديث وشبهتها بالحزب ولعلي ظلمتها في ذلك التشبيه الضيق ، فهي اصح تشبيهاً بالفيبارك العظيمى مثل عمل سانت اتيان مثلاً الذي تجدد فيه كل حوائجك ...

ليس المجال الان مجال مناقشة ولكنه لا بد من الاشارة الى شيء وهو ان الشيخ ، منع الله العربية بطول بقاء ، قد تمادى في اخلق حتى شاء ان يضع الفاظاً عربية موضع الفاظ صقلتها الالسة واستعملتها الاقلام . فمن يستعمل ، مثلاً ، كلمة الأجيالة بدلا من الكيالة او السند ؟ والابادية للسريالية ، والمصفق للبورصة ، والترهية للاسطير الميثولوجيا - ، والنهجية للكلاسيكية ، والاجد للباتون ، والاير للجراح الماهر جداً . ثم ما حاجتنا الى اشتقاق فعل من ابرل - نيسان - لنقول ابرل ابرلة وابرولة أي كذبة نيسانية ! اظنك اهتمت بها يا شيخنا الكبير لان كل الابام عند اكثونا اول نيسان ..

و (الابريغونية) التي نشكر لك تعريفنا بها وبغيرها من الشؤون والشجور المستعة ، ما حاجتنا الى اشتقاق فعل من لفظتها لنقول : ابرغ أي اخذ بتقاليد

غريغون . ان رهبانياتنا ، وابناؤها من قومنا عرب اقحاح ، يعتبون علينا اذا لم نشق لهم فعلاً ...

واقول بلا محاباة : اني اؤثر ان نعرّب كما عرب العباسيون ، أي ان نفعل كما يفعل المهندس حين يخطط طريق ضيقة ، فهو اول ما يتعرف الى طريق القدم والحافر ، ثم يمشيها ويجورها طبقاً لفنه .

اني اؤثر التعريب والنحت ، وان قال علامتنا الشيخ عبدالله ان اللغة العربية لا تبيح النحت (جنوحاً وراء ما في طبيعتها من رغبة في التجسيد الكامل) .
أليس عند الفرنسيين كلمات بمعنى مسكين ودرويش وبرنس ! فلهذا فرنسوها هكذا ؟
فلنفعل مثلهم .

كنت اتوقع من الشيخ الذي أجلّ علمه اكبر اجلال ان ينهونحوم في المسيمات ، وهو قد فعل ، ولكنه في اما كن قد ابعد اللفظة عن مدلولها المعاصر وفش لها عن اسم في مخلفات جيش المحاربين التدماء ..

فانا اوافقه على (تأصيل) ابول وابورغ لو كنا في حاجة اليها . اني احب جداً ان يقال : تلفن يتلفن تلفنة ، بدلاً من هتف الملتبسة .

ولكن كيفما دارت بهذه الموسوعة الحال ، وكيفما كان حظ بعض الفاظها من الاستعمال ، فقد دلت على فهم لسر اللغة منقطع النظير . وستكون موسوعة الشيخ العلايلي كتاب القرن العشرين في احياء اللغة العربية ومعرفة اسرارها . انه عمل تعجز عنه الجبارة والعائلة ، ولكن الامثال تصدق دائماً : الرجال لا تقاس بالذراع .

فهنيئاً لنا وللعلايلي كتابه الذي هو نسيج حده . وعسى ان يتحرك احد من رجال هذا العصر ، حكومةً وشعباً ، كما تحرك ذاك الامير الهندي — لست في مكنتي لاذكر اسمه — وطبع كتاب سر الليال .

حديث حول القصة

اي لون من ألوان القصة كان اوفى نصيباً من النجاح في البلاد العربية^(١) ؟
— اذا كنت تعني بالنجاح الرواج ، فروايات زيدان كانت تقرأ منذ عشرات
السنين وما زالت تقرأ . اما اذا كنت تقصد الفن فعندنا قصص أنجح منها . وهنا لا
بد من القول : ان النصة انواع . وان القصص المتمسكة بأذيال الفن لا تروج كثيراً
عندنا ، لان جمهورنا لا يدرك ذلك المجهود كل الادراك . تهمة الحكاية والعقدة الغريبة .
— في اي البلاد العربية كانت القصة اكثر رواجاً ؟

— وهل هنالك سوق غير مصر . هناك البندر يا اخي محمداً . اكتب على كتابك
طبع في مصر تكفل له قراء . واذا كنت تقصد بأين راجت ، اين نشأت ، او اين اقبل
على تأليفها ، فجوابه ان القصص الاولى من عمل سليم البستاني وزيدان وصروف
وانطون وغيرهم وغيرهم ، اما الاقصصة فمن عمل جبران ثم احمد تيمور . هؤلاء هم
رواد القصة والاقصصة . ثم جاء غيرهم يحذو حذوهم فصار عندنا قصصيون . انا متفائل
لا متشائم ، نعم عندنا قصص واقاصيص وجل من لا عيب فيه وعلا .
— هل استكلت القصة العربية كامل شروط القصة الحديثة ؟

— هنالك قصصيون كفتوا ووقفوا . وقبل وبعد فأننا لا أؤمن بالهندازة ليصير
القص عليها ، دون ان نحيد عنها قيد شعرة . فعلى الفنان ان يخلق هندازته ، بشرط
ان لا يتعدي المباديء العامة المتفق عليها . وهذه المباديء لم تكن لتوضع ، لولا انها

(١) كان المستطوق في هذه الجلسة الاستاذ محمد قرا علي .

نسخة عن الطبيعة . فالشرع ، كما تقول المعتزلة ، لم يجعل الشيء حسناً بأمره به . فالقصة إذن يجب أن تكون طبيعية ، وعندنا قصص كثيرة مستوفاة هذه الشروط . لا اسمي لثلاثي احداً منهم ، والادباء كما تعلم واعلم يفضون ، فمالنا وسخطهم . اما اعتقاد بعضنا اننا متأخرون جداً ، فهذا تطرف . نعم لم نبلغ القمة بعد ، ولكننا على الاقل حركنا على اكتاف الجبل ، وهذا كاف ، فالقصة عندنا صغيرة السن ، ومع ذلك حارت تشتهي ...

— هل ترى ان يكون للقصة هدف اجتماعي ؟

— واي عمل فني بلا هدف يا استاذي . ان القصة الرائعة لا تكون بلا هدف اجتماعي ، فهي صودة عن المجتمع . اما الذي لا يصح فهو ان يكون القصصى واعظاً . يجب ان يحتفي القصصى وراء شخصه ويسيرهم دون ان يرى . لا تنس دون ان يرى ، فموقف القصص من ابطاله كموقف الملحن من الممثل . عليه ان يلحن ، وعليه ان لا يسمع صوته الناس . وكذلك على القصصى ان يوجه بطله الى الهدف دون ان يدرك قصده ، مثلاً يمرقل سير القصة . فعيب مسرحيات شوقي ، وروايات فرح انطون ، هو ان المؤلفين لا يحتفيان وراء ابطالهم . كثيراً ما يقف فرح انطون ليشرح الصوت ويوبخ الانسانية ، وهذا عيب قصص فرح الاكبر بالنظر للفن . وعيب مسرحيات شوقي هو انه فكر بالشعر اكثر من تفكيره بالمرح . كان ينظم ويفكر بعبد الوهاب لا بالمرح والنظارة .

— ما هي الاسباب التي يمكن ان نرجع اليها اهمال الادب العربي القديم للقصة ؟

— الادب العربي اهل القصة ، ومن قال ذلك ؟ الادب العربي ابو القصة في العالم . فهذا كتاب الادب المقارن للدكتور بول فان تياجم لا يذكر ادب العرب الا بسبب الف ليلة وليلة . ففي الف ليلة وليلة دخل الادب العربي في الاداب العالمية واحتل الصدر .

وهذا المشرق الانكليزي ، جب عضو الجمع الملكي العربي المصري ، هذا الاستاذ المختص بدراسة القصة يقول : ان الغرب لم يعرف القصة قبل اطلاعه على الف ليلة وليلة . وهذا الاديب العظيم اندره جيد يرى الف ليلة وليلة بمثابة التوراة .

الآن الف ليلة وليلة ليست على نسق القصة اليوم ، نقول ان العرب اهلوا القصة؟
هل لي ان اطلب من جد جدي ان يلبس مثلي ! وهل اذا لم يلبس مثلي اعده عارياً او
اهل اللبس . جدتي لم يكن من العراة ، ولكنه ماشى زمانه ولكل زمان زي .

— هل عرف العرب المسرحية وما هو أثر احمد شوقي في هذا الميدان ؟
— المسرحية ، لا . لم يؤلفوا في المسرح ، ولو كانت لهم مسرح لكان الجاحظ
موليرنا في بخلائه . اما شوقي فجراه الله خيراً ، قد وفى قسطه للمسرح ونام . وعلى
الذرية ان تسير بالعمل الى التمام . شاء ان يكون شاعراً جامعاً فكان .
— من هو القصص الاول في ادبنا الحديث ؟ وهل يستحق ان يجلس في صف
القصص العالميين ؟

— هو ، هو . زدنها يا شيخ . انا رجل ميسور امري أعسر ، كما قالت نعم لصاحبها
عمر . ولكن بما ان اسهم الدكتور طه حسين في صعود وهو مرشح لجائزة نوبل كما
يقولون ، وهذا فخر لنا نحن العرب ، فلا بأس ان يجلس مع القصص العالميين ... يجب
ان نشق بأنفسنا يا استاذ .

— اي قصة عربية تختار لتكون من القصص العالمية ؟

— اية قصة عربية اختار لتكون من القصص العالمية ... لا جواب على هذا
السؤال . بلى كان بوسعي ان اختار واحدة من قصص طه حسين لو لا خروجه على
قوانين القصة واعلانه العصيان المدني في (المعذبون في الارض) . وكما حرم هو المتنبئ من
الشعر الملحمي لانه فكر بذاته ، فأنا احتج على قصص طه للسبب عينه ...

— هل يعتبر طه حسين قصاصاً ، وما منزلة كتابه الايام في عالم القصة ؟

— معلوم ! ألم تسمع ما قلنا ، معلوم ، معلوم . طه حسين قصاص ، وعنصر القصة
سائد في جميع ما كتب ويكتب معالي الوزير طه حسين ، فهو يقص دائماً حين يكتب .
واذا لم يكن موضوعه يحتمل النص جرد طه منه او مني ومنك شخصاً يقص عليه ..
لطه حسين دعاء الكروان وشجرة البؤس ، قصتان جيدتان . اما كتابه (الايام)
فسيرة حياة او مذكرات ، ولكن عنصر القصة فيه وان لم يكن قصة .
— انت اين تضع نفسك في عالم القصة ، واي قصة تفضل من قصصك ؟

— آه يا لائلي ... هذا سؤال ، اين اضع نفسي ؟ من يكون الدفتو بيده ويجعل نفسه من الاشياء . اسأل الناس اين يضعوني ... الناس تقرر لا انا . المسيح سأل حواريته بطرس : من يقول الناس اني انا .

ان متدبرات صاحب القلم في احناك الناس يا استاذ . هم الذين يقررون ، اليوم وغداً وفي الدهر العتيد . وسألني اية قصة افضل ، وهذه العصا من تلك العصية . اسأل نفسك ، فكل فتاة ببيها معجبة .

— هل تتوقع مستقبلاً زاهراً للقصة العربية ؟

— وكيف !! القصة عندنا راكضة نحو السكال الفني . بارك الله في الشباب ، وفي المطالعة . فلو تجلدوا وقرأوا وتأملوا لعلوا قصصاً تعيش . انا لست منشأً ، يزعم غيري انهم يقلدون قصصي الغرب وهذا لا يضيرهم . فتولستوي استمد من موباسان وفويير ، واثا كارنين بنت عم مدام بوفاري ، ولكنها ليست هي . فمستقبل القصة يكون باهراً اذا عمل شبابنا قصصاً تستمد عناصرها من محيطهم . فالغرب اذا اطلع على قصة يصح ان تحدث في كل مكان ، او تشبه محيط بلاده ، يقول كما قال صاحب بن عباد : هذه بضاعتنا ردت اليها .

يخيل للبعض منا ان القصة لا تكون عالمية اذا كانت ذات لون اقليمي ، اما انا فأرى العكس ، فالناس هم هم في كل مكان . وهل جرت قصص دوستوفسكي في اليمن !! وهل صور بها غير روسيين .

— ما هي نصيحتك لكل من يعالج القصة ؟

— طلبك نصيحتي لكل من يعالج القصة ، معناه نصيحتي للشباب لان الكبار اكبر من النصيحة ، او بالاحرى الحصان القارح يصعب تطيعه وترويضه . وعلى كل فنصيحتي لمعالجي القصة : ان يعنوا اولاً بالمحيط ، فالقصة مسرح يجب ان ينقل القارىء اليه ، والقصة الرائعة هي تلك التي تنقلك الى الساحة التي تحدث فيها .

هذه واحدة ، وواحدة ثانية ان يعنوا بابطاهم ليعرفهم القارىء . بطل الرواية مثلي ومثلك يا اخي محمداً ... وقد يحيا عمراً اطول من اعمار ابطال حقيقيين اذا كان خالقه قادراً . لا بد لبطل القصة من بطاقة هوية . والعلامة الفارقة مهمة جداً في الهوية .

وواحدة ثالثة ان ينطق اشخاص النصة بما يمكن ان يحكوه او يصدر عن مثلهم
وهذا رأي شيخنا الجاحظ .

فالحوار عنصر اساسي في القصة .

وهناك امر يجب الانتباه اليه وهو ان تكون الحوادث بمكنة الوقوع .

واخيراً العنصر الشعري في انشاء القصة ، فالنصة محتاجة اليه جداً .

القصة قطعة فنية ، ومعظم قصصي العالم شعراء .

ان اقدام المتأدبين على النصة قبل ان تكتمل لهم آلاتها يضيعهم . ليست القصة

بالامر الهين . لا اذكر اين قرأت ان الثلاثين وما دون هو سن الشعر ، وما فوق

الثلاثين هو زمن النصة ، اما وقت المذكرات او الذكريات ، فمن الحسنيين فصاعداً .

ما عدا مذكراتك الطريفة ، فأنت مثلي لا تزال تحت الثلاثين ، طبعاً ، وان كتبت

مذكرات طريفة .

اكثر منها يا استاذ ولا تسليني اكثر . فقد عييت واعييت .

★

سعيد تقي الدين الدرامائي

افتتح سعيد مقدمة (نخب العدو) بما يلي : انني ادفع الى المسرح العربي بوانعة يفتخر بها أي درامائي كان ، في أي لغة وأي زمان ، ولئن دار في خلدك انه قد تدرجت من في كلمة ادعاء ضخمة ، فانا ادعوك الى المقابلة ، فأت بآية رائعة افرنجية وقابلها (بنخب العدو) حادثة ومواقف ونكات ، واشذاعاً ومفاجآت ، وحركة ونضاد ، وشبكة فنية وسلاسة ، تجد نخب العدو نضاهي اجملهن في كل شيء ، وقد تكون دون بعضهن في روعة المأزق ولكني واثق من ان نهايتها هي اجمل نهاية رواية تعرفها بدون استثناء وعلى الاطلاق . (انتهى التبجح)

قد لا تصدق ما تقرأ . بلى صدق . فما نقلته لك ليس من مخطوطات وعاديات رأس شمرا وحجر رشيد . انه من كتاب تستطيع ان تناوله بسهولة . قد يكون سعيد مبالغاً فيما كتب ، ولكنه قادر على عمل كوكيل عجيب من الجدل والهزل حتى لا تدري ان كان يزل او يجدل . ولكنه كما قال موليير — الذي تبنى سعيد مواقف من مسرحياته — لا هزل بدون حثينة . فسعيد في أسلوبه وسرده كلاعب السيف والترس — الحكم — رشاقة وخفة يد ، وحركة دائمة ، فما عليك الا ان تشد حذاءك جيداً ونشمر وتلحظه .

قد يكون سعيد مبالغاً ولكنه خير من ألف مسرحيات ناجحة ، بل هو الدرامائي الاول عندنا في هذه الفترة ، وان شئت فكما كتب على قفا غابة الكافور ، والكلام للشاعر نزار قباني :

« هو اله صغير سقط من شبابيك نجمة متلألئة فشربته ارض لبنان . »

لم تدلنا كلمة (صغير) على حجم هذا الاله ، وعلى كل فأقل جرم الهي يكون عظيماً جداً بالنسبة الينا نحن الترابيين . اذن فأقل (النومن) قبل ان ابدأ عملي .
أؤمن بسعيد تقي الدين ، الخائض الضابط الكل ما يرى وما لا يرى الخ . اجل انا
أؤمن بعبقريه سعيد وبمخيلته الوثابة ، وبعبارة المصنوعة حديثاً ، وأؤيد رأيه في
نفسه ، فهو درامائنا في هذه الفترة ، ولو كان عندنا مسرح لكان يجلس سعيد في لوج
الشرف وينظر الى الجماهير من عل ويقول للنضارة : فكروا يا ذئاب ، افهموا الفن !
وحق ربنا يا سعيد انا في هذا جاد لا امزح ، اما اله صغير فهذا كلام هراء ...
ان (لولا المحامي) التي تدرى انت و (نخب العدو) و (حفنة ربح) تحف نادرة ،
ومع هذا لا بد من النقد . فلنفرض ان هذا العبقري اله لا نصف اله فلا بد له من
نقد . فالله جل جلاله انتقد ، ولا يزال ينتقد ، واول ثورة كانت عليه : خلقتني من
نار وخلقته من طين .

قد يقول القارئ انت لم تعودنا هذا اللف والدوران فما بالك اليوم تغير عاداتك
ولا تقول كلمتك وتمشي ؟! فالى هذا القارئ اقول : يجب قبل كل حساب ، ان
نصفي الحساب ، حساب الناقد . فسعيد ليس له عدو على الارض الا الناقد . اما في
العالم الذي سقط منه الينا فهذا علمه عند نزار قباني ...

نرى سعيد تقي الدين يزدرى الناقد ويحتقر ما يقول « فالنقد فن زائف ومهينة
حافلية . النقد يوم صاحبه ، ولو ضمناً ، بالتفوق على المنتود . انا انتقدك ، اذاً انا افضل
منك ... زد على ذلك ان النقد يضع بين يدي الاديب او المتأدب موضوعاً جاهزاً
فلا حاجة الى حكمة الراس والتنقيب عن موضوع . كذلك ليس من انتاج مهيا عظم
الا وفيه نواح ضعيفة يسهل اكتشافها ، فتسري نشوة الظفر في عروق الناقد مكتشفها .
كذلك التطرف يولد التطرف ، والمديح بلا وزن سبب النقد الاعمى . »

ترى من اي وزن هو قول نزار قباني الذي زينته به قفا غابة الكافور ... ؟
ذاك رأي سعيد في الناقد ، كما اثبتته في الصفحة الثامنة من نخب العدو ، واما ما
في ذيل (حفنة ربح) فيقول سعيد حين قرأ نقد الدكتور سهيل ادريس لنخب العدو :
« شعرت بقربي تربطني بك بعد قراءة نقدك الرائع ، في جريدة بيروت ، لنخب العدو ،

ولو انه اعطى لي قبل اليوم ان اطلع على مثل هذا النقد لتوددت في قول : النقد فن زائف ومهنة طفيلية . »

اسبح لي يا سعيد ان اعود بك الى البدء ، الى ما قبل الخليفة عندما بدأ الله في تأليف كتابه الاعظم ، اي تكوين الكون . اما قال ليكن نور فكان النور ، ورأى ان النور حسن ومضى في الخلق والتساؤل فيرى ان ما خلقه حسن حتى اليوم الاخير . اظن ان هذا التساؤل يدلك كما يدلني على انه ، تعالى ، كان ينظر الى عمله كناقذ ، حتى اذا ما رآه حسناً راح يتم تأليف كتاب الخلق المؤلف من ستة اقسام ، وفي التسم الاخير خلق الانسان ، ولو لم يكن الله ، جل جلاله ، ناقداً لما وجه الى اعماله هذه النظرة .

فالناقذ الاول كان الله ، وهو في الوقت نفسه المؤلف الاعظم وان لم يؤلف مثل نخب العدو ! وانه اطرى عمله كما اطريت انت مسرحيتك ... ولو لم يكن الله ناقداً ملهماً لما عرف ولا قال ان ما خلقه حسن .

قلت ان الناقد يجد موضوعاً جاهزاً ، وانا اقول لك : نعم ، ولكن المواضيع جاهزة كلها ، والذي مثلك من يفصلها ويضعها في واجهة دكانه . ثم يبيعها كأنها (استعمال) .

النقد فن يا سعيد . اما انت فكبطل صديقك موليير تسب الناقد وانت ذاك . في جميع مسرحياتك : لولا المحامي ، ونخب العدو ، وحفنة ربيع ، انت ناقذ وسأريك . اما الفرق ما بيننا فهو انك تفتش عن بطلك بين الناس ، وانا افتش عنه بين الكتب . اظنك قرأت مسرحية موليير (البورجوازي) . استغرب ذلك البورجوازي جداً حين قال له معلم الفلسفة ان النثر هو ما يحكيه . فقال له : اذن انا اتكلم النثر منذ اربعين عاماً دون ان اعرف ذلك . كثر الله خيرك لانك خبرتني ذلك .

فهل تستغرب انت ايضاً اذا قلت لك انك ناقذ ادبي ثم لا تخرج من الجوّ الادبي الا لتكون ناقداً من نوع آخر ؟ فانت اذن ناقذ مهيا اغرتك انايتك وحملك على ازدراء النقد .

ان الناقد هو الذي يدل الناس على مواهب المؤلف كما سادل على مواهبك ،

وانت ناقد يا بطل مولير ، وناقد لا يرحم . يتكلم من الاعالي وعلينا ان نضع على وجوهنا برقعاً ، كما كان يفعل موسى حين يتحدث الى ربه... واذا لم تصدقني فراجع نقدك لقصص صديقك الذي اكتشفته ، الدكتور سهيل ادريس . لقد تشكيت في مقدمة (نخب الغدو) كثرة المديح النفسية عندنا ، وكذلك تأملت من النقد ، فحيرتني والله . واخيراً اهتديت الى حل لهذه المعضلة وهو ان غدح حيث يجب المدح ونقدح حيث نجد مدحاً (للخرتبر) .

فلنبداً عملنا .

المسرح عندنا صغير السن حديث الميلاد . نشأت مسرحياتنا الاولى لا هي عامية ولا هي فصيحة ، ثم صارت فصيحة حتى التقعر في اواخر القرن التاسع عشر ، شعرية مع عبدالله البستاني ، وشعرية نثرية مع اديب اسحق ، واخيراً مع نجيب الحداد . كانت مواضيعها مختلفة ولكنها كلها تمثل الطبقات العليا او ما اشبهها من حوادث قديمة ، الى ان جاء شوقي وانظما شعراً رائعاً في مواضيع تاريخية ادبية . ونهض فرح انطون بالمسرحية فجعلها شعبية استنى مواضيعها من الحياة العامة . وقفز سعيد تقي الدين من معهد المدرسة الى المسرح ، وهو العقلية بلغته ، والتمتعيت بلغتنا العامية ، فكانت فقرة موفقة جداً . وحسبك الدليل على هذا التوفيق ان يسمع مؤلفها سعيد ، في مخزن امين ابي ياعي ، كلمة : اهلا بالنابغة ، من امين الريحاني . فنام سعيد على اكليل الغار منذ عام ١٩٢٤ ولم يستيقظ من تلك النومة الذهبية الاحلام الا في جزائر الفيليبين ، الشرق الاقصى عام ١٩٣٧ . وليسمح لي ان احرف ما قال : ناخ نوخة جل ، وقام قومة سبع . فمسرحيتنا طليانية فرنسية مع ابي المسرح اللبناني مارون النقاش ، وفرنسية انكليزية مع الذين جاؤوا بعده .

كانت نعتد اولاً على البيان الاصطناعي لان الذين ترجوا او القوا في هذا الفن كانوا يكتبونها للقاري ولا يفكرون بالمرسح ، ولذلك جاءت شخصهم جامدة لا تدل على انها بشر نحيما وتكلم كما نحيما وتكلم ، وتروح ونجي . ونجي . وتروح . كان مؤلفوها متزمتين حتى لا ترى على المسرح وجهاً ضاحكاً هازلاً ، واذا كان لا بد من الضحك او الاضحاك القوا فصولاً مضحكة تمثل بين الفصول .

اما الهزل والدعاية والتند والمجاء الاجتماعي فلا نكون مبالغين اذا قلنا ان سعيد تقي الدين هو الذي اشاعها في المسرحية . فالهزل يسيطر حتى على درامته ، فكأن ليس بين ابطاله واحد يحبه ، او كأنه لم يخلق بطلا ، او لم يستعر من المجتمع بطلا الا ليضحك من الناس ، او يضحك الناس منه . واذا كانت ابطال مهازله قومية بلدية فلا يعني هذا انه خلقها ، ولا انه استعارها من روائي آخر (كمسطرة) يعمل مثلها ، بل انها غاذج عايشها ورآها بعيني رأسه ، كما عبروا ... فهو في (لولا الهامي) مثله في نخب العدو وحفنة ربح ، يمثل اشخاصاً عايشها وآكلها وشاربها وتأمل حركاتها وسكناتها ، وراح يخلق منها قصة بعدما انطقها بما يلائمها من الفاظ وتعابير تضحك المفلس ... تعابير يتعمدها ويعتمد عليها في اخراج روايته ، وهو لم يبدعها كلها ولكنه جلاها وصقلها جميعاً حتى لا امت مذهب الفني . وهذه العبارات هي من صميم حياة ابطاله فكأنهم هم قالوها حقاً . ليست عبارة مسرحيات سعيد من المصنوعات البيانية . وهذا سر نجاحها ، ففي فم كل شخص كلمات وعبارات لا تصدر الا عنه . واذا لم توضع احياناً هذه العبارات البيانية فلسعيد بيان خاص به ، وليدق البيانيون رأسهم بالحيط .

ندل مسرحيات سعيد تقي الدين على عين لاقطة كعدسة انصور . ولا عجب اذا ظهرت ابطاله بهذا الوضوح فهو قد تأملهم كثيراً ، وربما ان بينهم من حمله مرضعاً وماشاه صبياً . وهو لم ينقطع عنهم الا حين شعر بارسنقراطية .

انه يعول كثيراً على استحسان الجماهير وضحكهم وتصفيقهم ، ومن كان كذلك عليه ان يفتش عن مثل ما يفتش عليه سعيد . ومن هنا جاءت حملات سعيد الفواشم على الناقد حتى عده طفيلياً يعيش على الهامش ، يجد موضوعه جاهزاً فيتمسالك عليه كجوعان لم ير الخبز منذ اسبوع خمس وعشطان .

ان ضحك الجماهير وتصفيق النظارة هو عند سعيد الفوز الاعظم ، اما الخاصة ففي فهم التراب . وليتولوا ما شاؤوا . اما صفق الجمهور وضحك ... ولهذا يعتمد العبارة الطريفة والذكاة الباردة .

اما قال سعيد للخروج : ازرع بين النظارة من يحفون ، وهل في الدنيا كاتب

غير سعيد يصرح بهذا . وان كان الفن الدرامي هو في اثاره الضحك واساعة الاستحسان ،
فالخراج الاصطناعي لا يعمل الا لنطس الاطباء .

اما انشاء سعيد فهو معمول في مسرحياته ليحكى لا ليقرأ ، وسنعود الى هذا في
الكلام التفصيلي على مسرحياته وقصصه .

يحاول سعيد ان يتول الحقيقة دائماً ولو كانت تمس اقرب الناس اليه بل ذاته ،
وهو دائماً يخرج من هزله حقيقة عملاً بقول مولير ايضاً: لا حقيقة بدون هزل ، ولا هزل
بدون حقيقة . انه كالصيدي الذي يعطيك ملبسة فيها الدواء المر ، وسيموه سماجة
الطعم بالحلاوة . السر في ان تقبها وتزدردها ، والله الشافي فيما بعد .

يريد ان يضحك الجمهور ويهذب اخلاقهم ، وهذا ما يعمل كل من كانت له طباع
سعيد وقريحة سعيد ، ومواهب سعيد واطلاعه الواسع على الروائع العالمية التي
يريد من كل قلبه ان يعمل مثلها وقد عمل . اما هذا الهزل في الادعاء فمن بضاعة
سعيد ، انه مؤمن بما يقول هازلاً فيورده لك بهذا التالب المضحك ، حتى اذا لم تصدقه
عدته هزلاً وكفى الله المؤمنين القتال .

وسعيد يخرج مقاله احياناً بشكل تمثيلي ، وهذا بذلك على انه خلق كاتباً مسرحياً .
اقرأ حديثه مع المخرج ، بل سيرة حياته ترى كيف مثلها تمثيلاً لا ينقصه الا
المسرح والمخرج .

اما المارسخ فيعنيه ان يكون سهل الوجود ، فبدلاً من الموبيليا لا بأس بالسحارة ،
لانه يهدف الى ان يكون كل شيء طبيعياً .

ليس سعيد ممن ذوي الانبساط والمرح وليس ممن ذوي الضحكة الداوية .
ومواضيع مسرحياته ليست كذلك ، فمن اين ينبثق اذاً هذا الضحك ؟ في الغالب
يكون التعبير مصدر ذلك ، او التكوين الذي خلقه لاشخاصه ، او الموقف الذي يراه
صاحبه جدياً كل الجدة ، بينما الآخرون يمزأون به ويضحكون من عقل صاحبه . ان
تكبير الاشياء الهزلية الختيرة هو عنصر هام عنده بل هو وسيلته الى ابراز هؤلاء
الاشخاص الذين عرفهم صغيراً وابتعد عنهم كبيراً . انه شيخ وانهم عوام ، فصار يسلم
عليهم برؤوس اصابعه . ولكن صورتهم كانت قد انطبعت في مخيلته ، وهو يستعيد
بتفاصيلها ساعة يشاء ، ويؤلف منها مشهداً متى اراد فيأتي كل شيء طبق الاصل .

ان مشيخته جعلته يستهزي بهم ، فيجعلهم يتنتلون على لا شيء ، تقريباً ، على (عصا النوطرة) . صحيح ان هذا امر واقعي ، ولكن المؤلف يحترم تلك الحفنة من البشر . وحسبك استهزاء بهم ، عند عقد الصلح ، تقديم تلك العصا الى بيت الحمصي كأنها صولجان ملك .. لا عصا ناطور .

اما الرواية الثانية فاسمها يدل على تقدير المؤلف لأبطالها : حفنة ربح ... ازدرء وايا ازدرء . جلّ هذه المسرحيات تنقدية فلا بغلت من قلم المؤلف شيء ولا يسلم من لسانه احد .. فهو ينتقد حتى اقرب الناس اليه ويجعله مثلاً لبطل من ابطاله . يتحل سعيد كلام ومشاهد غيره كما في ختام رواية لولا المحامي حيث يشن الغارة على مولير . فوحدة الحال بينه وبين مولير تبرئ الموقف ، قدستور سعيد الفني قدستور موليري : قاعدة القواعد هي ان ترضي وتعجب .

كل حياة سعيد قفز وجزر . فمن مدرسة مارونية اكليزيكية ارسقراطية محافظة ، الى جامعة اميركية ديمقراطية لا نعباً بالتقاليد الموروثة ، ومن لبنان ، بل من الشوف الدرزي المحافظ ، الى المهجر . من لبنان ارض الثروة والانطواء على الذات ، الى ارض العمل حيث لا ذات الا الدرهم والدينار ، ولا حديث غير حديث الجمع والتقسمة والطرح والضرب .

شاب نشأ في بيت عتيق ، زرع في رأسه ابوه محبة هذا البيت ودعه بكل ماله من قوى ، فراح يفتش عن الدعامة المثلى — انال — وهناك راي هموم الناس الكبرى فراح يضحك في مسرحياته من هموم الترية الصغرى . وانتزع من اختباراته العالمية فوائد شتى ، وصور ابطال لها الى الساعة التي استيقظت فيها فربحته الجامعة على اكليل الغار ، فكانت مواد مسرحياته واقاصيصه .

تنظر اليه فتحسبه جباراً عنيداً ، ولكنه يبدو لي بما قرأت له انه رجل طيب العنصر ، وفي اذا احب ، دمت الاخلاق على تمام الواحه وعرض كنفه . فذلك الهيكل الضخم الذي يبديه كمصارع او ملاكم من الطراز الاول ، فيه نفس طيبة تم عنها تلك التعابير التي يخلقها ، وان لم يكن من العدم ، فله فيها فضل التطبيق . الرجل ملهم بدون شك .

سعيد في نظر بعضهم يعتمد النكتة تعمدًا. اما انا فأرى ان التعمد هو عمل ارادي لا بد منه لكل من يريد ان لا يكون مقلدًا. يقول هؤلاء انه متطرف في هذا، وانا لا اقول لهم اكثر من هذا، أي ان سعيد تقي الدين اذا لم يوفق الى مثل هذه العبارات في مسرحياته واقاصيصه ومقالاته يمزق اوراقه. فغايتة الاولى هي ان يستولي على الجماهير ويجرفهم في التيار الذي يصطفيه لجرفهم الى حيث يشاء.

مسرحيات سعيد تصوير للحقائق بشكل مضحك، اما عقدة (نخب العدو) التي كلفته اجترار العجائب كالمسيح، فهذه في نظري ليست بالعنصر الهام في مسرحياته، لان دراماته ومهازله تقوم على غاذجه وشخصه المعمولة على قالب (استعمال) لا جاهز. بل على ذلك الحوار الرائع.

اما عيب هذا الحوار فهو ان عبارته تكون احيانًا عامية حتى يستط الخليل وسيبويه وابن عقيل تحت الودم. وفي لحظة يستحيل التعبير فصيحاً حتى التقعر، بينما يكون المتكلم واحداً، والمشهد واحداً بل في حوار واحد.

فهذه ام وسيم تخاطب خادمتها زليخة قائلة لها: ادجاجة انت فتنامين قبل المغيب. اخطأ هنا سعيد من جهتين: اولاً لانه قال فتنامين، وهي فتنامي. وهو لو قالها على حثها لدنت جملة قليلا من واقع الحوار.

وفي حوار واحد ايضاً تقول زليخة: دخلك يا معلتي، لا اريد الذهاب الى العين. اني كلما التقيت على العين بنساء عائلة الحمدي يهزأن بي. والبارحة قالت لي ورد الحمدي ساخرة: اننا نوصد الابواب في النهار.

فبعد دخلك يا معلتي تجيء كلمة: اني، ونوصد.

وبعد قول ام وسيم ايضاً: يا تقبر امك، تأتي كلمة: لماذا تأخرتم.

قد يقول سعيد وكيف تقول؟ وانا اجيبه: تقول: لينك تقبر امك، بدلا من يا تقبر امك. والخاتمة تقول: نغلق الابواب بدلا من اننا نوصد التي لا ينطق بها الباني. وهنا يلذ لي ان اذكر عبارة لا فهم كل مسرحي وقصصي كيف يدني حوارهم من طبيعة الحكيم. جاءت هذه العبارة على لسان احد شخص مسرحيات سعيد قال: يكفي خمسون، بينما العوام لا يقولون الا خمسين، فكيف نعمل حتى نقر بها من

الواقع ؟ انا في مثل هذا الموقف افتش عن تعبير عامي فصيح فاقول مثلا : نكتفي بخمسين .

ولا يكتفي سعيد بمحشر أن "وقد في كل مكان ، بل يدخل لام المرحلة على خير ان فيقول راجي : ان ابنك يا خالتي ام وسيم لولد عجيب .

ونقول ام وسيم لراجي : ساتركك ووسيم في دعابتكم . لا نطالب بنصب وسيم بعد واو المعية ، فما لنا وللنصب . ان ام وسيم ككل لبنانية تستعمل (مع) في مثل هذا الحديث ، فتقول : اتراك مع نسيم ، او انت ووسيم .

وبينا نراه يتشدد في استعمال هل والهزة اذا به ينزل الى حضيض العامية . يقول وجيه في حفنة ربيع : ما هذا بعذر ، ثم يتبعها بقوله : القهوة سعرها بالجو . وبينما يقول : تشكرات . اذا به يدها بالقول : هل اعددت اللحن ، هل اقتضيت . وفي موضع اخر : هل عابدة بخير .

اما سين الاستقبال فتزد كثيرا على لسان قلم سعيد ، وهي ليست من بضاعة الحوار الواقعي . ومثلها لقد : لقد هرم وطالت لحينه وابيضت . فآه من لقد في الحوار يا سعيد ، انها تستاهل مسبة دين فخمة ...

واذا اعترضنا على حوار شخوص سعيد فانا لا نعترض على شخصياته الذين نجدهم في كل ضيعة بل في كل مزرعة مكونة من بيتين وتور .

لم يخرج سعيد من قعره حين وضع شخوص مسرحياته . ففي نخب العدو ، ولولا المحامي ، والمنبوذ ، قد لا يكون تجاوز خراج بعقلين كما لم يتجاوز محيط بيروت في حفنة ربيع .

اما خواص سعيد العامة فهي انه غير كلاسيكي ، مبدع في التعابير الخاصة ، خلق قصصاً . يعتمد النكتة ويحبها موجهة مرة ، وتعندها اياها احيانا يفقدها الخفة المطلوبة . لا تعرف هزله من جده . فهو في الادب عنتيت ، كما عبر هو ، وعنتيت كما نعبر نحن في منطقنا ...

دفتر الغزل

لامين نخله

امين نخله شاعر كبير وكاتب اكبر ، ومع ذلك يعتمد كثيراً على الدعابة في ترويح بضاعته ، فهو وسعيد عقل في هذا اخوان ، كلاهما يفرق الاميركان في الاعلان . فذا صبح وجود برج عاجي للشعراء والادباء ، فلا شك ان ذاك البرج في بيت امين ومكتب امين ، بل في كل مكان تطأه رجل امين ، اذ لا بد لهذا القمر من هالة حيث يطلع .

ان هذه العنجهية اتصلت اليه بالارث ، فهو ابن أب شاء ان يتزعم فاستطاع واثته الزعامة منقادة . وهو ابن محيط مغلل ، تزرع فيه حبة الارستقراطية فتعطي الفأ لا مئة ... نشأ الاستاذ امين على ما كان عوده ابوه ، فخرج فوق ابيه ، كما قال الجاحظ في وصف ابن احد بخلائه العبقريين .

وها هو امين يرسل في السوق ديوانا سماه (دفتر الغزل) كما سمي الجاحظ من قبل دفتر المعلمين ، والغزل شيخ السفرة في ادبنا العربي ، او (الموردفر) بلغة العصر . فاي شاعر ما تغزل . كلهم قالوا الغزل . ولماذا لا ! فهذه التوراة ، وهي كتاب مقدس ، فيها مآدبة غزل اشبعت الذرية ولا تزال . فسلطان الحكيم يصف حبيبته الشولمية من عينها الى سرتها ولا ينسى دوائر فخذيها وما بينهما من صبرة حنطة يسيجها السوسن ... اللهم نجنا من اكل الدجاج والوقوع في السياج ...

الغزل لغة الحب ، وداود ابو سليمان يرثي يونانان في اول فصل من سفر الملوك الثاني فيقول ، وكأنه ينسب ويتغزل : قد ضاق ذرعي عليك يا اخي يونانان . لقد كنت

شياً الى جداً وكان حبك عندي أولى من حب النساء ، وقد احببتك حب ام لايتها
الوحيد ...

اجل لقد بشتت ثعالب البشرية وما فبت العناقيد . ولا بدع ، فالحب ملاك
الحياة . وجد حفظ النوع فهو لا يفنى الا بفناء هذا الكون ، وهو اذا شخ مع الفرد
فان نواته لا تموت ابداً .

وبعد فلنؤد حساباً عن كلمة سبقت ، اي عن الدعاية عند امين الشاعر الطيب المبدع .
صدر امين (دفتر الغزل) بدعائتين ، واحدة عربية والاخرى يونانية ، فكانه اراد
الشهادة فيه شرقية غربية .

قال بولس الرسول : على فم شاهدين او ثلاثة تقوم كل كلمة ، كما قلت سابقاً .
وهذا بابا دي ياناقوس يوناني كبار بولس . فلا شك ان شهادته مقبولة ، وكذلك احمد
شوقي ، فهو ، كما يزعم ، عربي تركي يوناني شركسي بجده لايه وامير شعراء ، فهو
مقبول الشهادة ايضاً . ناهيك ان امين نخله هو كالمسيح او اعظم وسيأتيك الخبر — قال
المسيح : انا اشهد لنفسي وابي الذي في السماء يشهد لي . اذن اجتمع لدينا اربع
شهادات ، ولم يبق علينا الا ان نبدأ المحاكمة .

نودي على الشاهد الاول شوقي ، وبسبب غيابه غيبة لا رجعة بعدها ، نظر فيما
كتب :

هذا وليّ لعهدي وفيّم الشعر بعدي

ترى من قال لشوقي اننا نعترف بولايته حتى ينصب وليّ عهد ، فكل شيء يورث
الا العلم . ومتى كان الشعر وقف ذرية حتى نجعل له قيساً . فليت الصديق اميناً
الذي لا اشك في امانته الادبية خباً هذه الرينة الشوقية وحفظها للعزير سعيد ، حرسه
الله ، مع ما يحفظ من وثائق ... انها لا تحله في اعيننا محلاً ارفع مما له عندنا ، وهي من
جهة اخرى تدل على قلة كياسة شوقي التي عبر عنها في هذا البيت التالي :

فكل من قال شعراً في الناس عبد لعبيدي

هذا كلام رجل لا اجد له نعتاً ، والاشبه ان العمر هو الذي انطق احمد شوقي ،
في غير ساعة رضا ، بهذا المذيان والهذر .

أصدق شوقي انه امير والشعراء عبيد ، حتى يكونوا جميعاً عبيد عبده ؟ انا لا
اشك بأمانة امين ، كما قلت ، ولذلك كانت اللوم للشاعر المجنون الذي اطراه الشعراء
وعظموه وامروه حتى تغنص وتغالبش .

وفي ثالث بيت يقول شوقي ايضاً :

كأن شعر امين من نفع بان ورنند

قلت : لا شك ان شعر امين ذكي الرائحة له طعم غير طعم الشعر ... ولكن
اختلاف الطعم ليس حكماً بالاولية والاصقية وولاية العهد . ان مصر بلد الشاعر
شوقي نفت الملك وولاية عبده ، بينما نرى شاعرنا الامين يريد بسط جناح ملكه على
العالم العربي بكلمة من شوقي ...

ويقول شوقي ايضاً :

او من عناق النصابي وقرع خد بخد

او من حديث ابن هاني يعيد فيه ويبيدي

يظهر ان هذا البيت الاخير هو الذي اوحى الى امين بقصيدة (ام موسى) ليعيد
فيها ويبيدي كأبي نواس ، ويكون عند ظن شوقي فيه . ومنظر في هذه القصيدة
حين نصل اليها ، لتريك ان الظرف طبع لا تطبع .
ونحنم شوقي قوله بقوله :

والعصر تصر (امين) خير ومطلع سعد

وهذه ايضاً ثغينة يا امين ! اعرفك رجل دعابة ، ولكن ما كنت احسب انك
تستط بهذا المقدار .

واذا قلبنا الورقة من هذا الدفتر — دفتر الغزل — وقعت عيننا على قصيدة يونانية
للاستاذ بابا دي ياناقوس .

جاد امين على بابا دي ياناقوس بلقب شاعر اليونان ، ولا اعرف اليونانية لارى ما
خلع شاعر اليونان هذا على امين من القاب . لا بد وان اميناً هزّ بجذع النخلة حتى
تساقط رطباً جنيماً ، والا لا ذاق هذا (القرط) من ثمارها ...

حقاً انها مصيبة ، فانه لا اعرف اليونانية ، ولا وصول لي الى الدكتور طه حسين

كيترجم لي هذه الابيات . اما تلقيب بابا ياناقوس بشاعر اليونان فاظنه مثل تلقيب
ذاك للتاجر ابا الفتح بصاحب الدولة ، في مضيرة بديع الزمان . ولكنني اعتقد في كل
حال ان هذا الشاعر اليوناني يحترم نفسه ولا ينزل في (المغطس) الذي تنعم فيه
شوقي وانعم ...

يظهر ان امين يفهم اليونانية ولكنه تواضعاً لم يترجم لنا ابيات ياناقوس ... والا
لما قال في المقدمة في وصف غزل الشاعر اليوناني : (ولا رقة في الغزل وراه) .
اما شوقي فكان حظه ضئيلاً جداً من مقدمة امين مع انه جعله ملكاً على الشعراء
بعده . ويحتم امين مقدمته الحلوة الطريفة بهذه العبارة :

(وهكذا فانه اجتمع هذا الكتاب ، بفضل منك ، وفضل من صاحبك — اي بابا
وشوقي — ما لم يجتمع لكتاب : (يد يونانية فوق يد عربية) .

قال المسيح : من منكم اذا اهتم بقدر ان يزيد على قامته ذراعاً ... وانا اقول
اصديقي امين: لو قام هوميروس وفرجيل ، واعاظم شعراء الدنيا ، وكتبوا ما كتبه
لك شوقي لما زادوا على قامته شعرك فيراطاً واحداً . انت شاعر مجيد وابن هذه
البراءات هي كالتي عندي وعند ابيك ، لا تنفع شيئاً ، متى وقفت في محكمة التاريخ
حافياً عرياناً مجرداً من كل مجد باطل .

اما الان فلنمر مرة عجلى في ديوان الاستاذ ، عفواً ، في دفتر غزله ، وان اشبه
افعال المقاربة في التسمية ...

ان شاعرنا الامين لشاعر محكم وربما ظل يفتش عن كلمة من الحول الى الحول .
هو كاهن فن ، مولع بالكلمات فيعقد بينها برباط مقدس فيكون زواجاً مباركاً لا
يعتبه طلاق . وله ميل يشبه الهوس بكلمات دون غيرها ، وكثيراً ما يقعد بها غصباً
عن رقتها في المكان الذي يريده لها . لقد انبأنا في اخر دفتره هذا ان ليس من عادتنا
ان يرسل الشعر كما يجيء ، ولهذا نرى معظم قصائده قصيرة النفس محكمة النسيج . اظن
ان ارستقراطية الاستاذ لا ترخص له بتوفيق حواشي العبارة ، والهبوء الى الصور التي
يتطلبها الغزل ، ليفهم عنه الحبيب . فهو يهبط في غزله لمن عل ، فلا تظهر الحرفة فيه
كما تظهر ، مثلاً ، في شعر بشاره الخوري . انه لا يخاطب من العليقي كروب موسى

بل يؤثر الطور ... يطوف في الاثير، حتى يوج هراء في آه المغني . واذا المسيح مشى
على الماء ، فأمين يمشي مع الصوت ، ولكن ببطء السلحفاة ، وهذه معجزة اعظم .
قال البهاء زهير لأحابيه :

فلو صدق الحب الذي ندعونه واخلصتم فيه مشيتم على الماء
الآتراه لو كان في (عصر امين) الذي بشر به شوقي ، كان قال ، كما قال امين :
ففي النغم العميق اليك امشي واسلك جانب الوتر المرقن
ان قصيدة (الحبيب الاول) هذه تستحق الجلوس حيث احلها امين على الرحب
والسعة ، في صدر الدفتر ، وان كنت ارى قصيدة (العقد الطويل) اقرب منها الى
الشعر المطبوع . والغزل حتى يبلغ قرارة النفس يجب ان يكون ألين من شعر امين .
فأمين مثلاً يرى حبه وحب حبيبه نعيماً ، بينما يراه بشاره الخوري ناراً آكلة .

فعرفنا نفوسنا في جحيم من التبل
يظهر ان بشاره من اصحاب (ابجد هوز حطي) ... اما امين فيحوم ويحوم ، ومن
صبر نال ومن لجأ كفر .
ولعل قصيدة العقد الطويل والقصيدة السوداء ، وان كانت صاحبها جنة ماشية لا
معلقة ، هما في نظري خير من قصيدة الحبيب الاول التي تصلح اكثر منها
للانشاد والغناء .

اما في قصيدة الاشرفية ، فلأجل كلمة (اختها) التي ارادها امين قافية رأيت يحط
من قدر الجمال حين فضل نكته العنب عليه فقال :

ذقت النار ونكته ان لم تكن هي نكته العنب الشهي فاختها
وبعد ، فمن يدري فلعل امين نخلة عتاب ، او انه يغمز ابن الفارض من بعيد .
واذا بلغنا (بشر السامرية) وضعنا عصي الخضر المتخيم كما قال زهير . ان الآثار
واحاث ، ولعل سامرية امين احدى واحاث ديوانه ، بل واحدة الشعر الحديث . ومع
ذلك لا بد من قول شيء لنعود حليلة الى عاداتنا القديمة . استهل امين هذه
القصيدة بقوله :

شرب المسيح فمالها لا تشرب والبئر سقسقة وماء طيب

أنتعجب يا اخي كيف لم تشرب!! يظهر ان بنت الحلال لم تكن عطشانة ...
الماء ليس خمراً ولا عرقاً ليتعاطياه على خرزة تلك البئر . أما قدم لها المسيح ماء لا
يعطش من يشرب منه؟! يقول المثل عندنا : الماء لا يمر على عطشان ، وصاحبتنا
السامرية جرتها على كتفها ... فلو كانت عطشانة لشربت .. اما البئر فيظهر انك لم
تروها . انها عميقة جداً ، لا (سقسقة) فيها . عندما اراد الكاهن القيم على ذلك المكان
ان يربنا حتى بئر يعقوب ، أضأ شجوعاً وأسقطها الى جمام الماء .

وبعد ، فلماذا استحليت يا امين كلمة سقسقة!! العهد بك لغوي من الطراز العالي . كيف
لم تشك بفصاحتها حين أحالتها المحل الأرفع اي في مطلع قصيدتك؟! رأيتك تقول في
تمحل العذر لكلمة (شلال) : ولا حرج في ان يقال شلّ السيل او النهر ماءه فهو
شلال ، وان لم يرد في متن اللغة . فان العرب تقول : شلت العين دمعها — ارسلته —
والعربية كما لا يخفى يقع فيها النقل لأدنى ملابسة .

طيب . فماذا تقول في سقسقة . فاذا كنت تعني سقسقة نهر الباروك وغيره ، كما
تقول العامة ، فبئر ابينا يعقوب ، كما قلت لك ، ليس ينبع خرار ولا جدول ثرثار .
واذا كنت تعني غير ذلك فيا ليت شعري ما هو ... فهذا الحرف سقّ ، وسفسق ،
وسقسق لا يعني ، أجلك الله ، الا ذرق الطير ، ولذلك قالت العرب : هذا كلام
يذرق عليه .

وهنا اسبح لي ان انتقل الى لفظة ثانية من هذه الإضاءة ، وهي قولك :
انا في رحاب السامرية واقف ظمآن باسم الناصري أبتب
فتبّ الرجل معناها شاخ . ولولا قلت : اطبطب كان لنا مخرج منها ومعتصر ،
كما قال الاخطل الكبير . فمعنى طبطب اليعقوب صوت . ولعالك به — اذا تكون قد
نوت من العوام اكثر ، وهم فصحاء غالباً .

عفوك اذا ذكرت هاتين الهفتين فقط فانت قلت في هذه القصيدة :
خلع اخضرارك آيتين على فمي فتصفحي الانجيل هل هو مخصب
استغفر الانجيل ان قصيدي عربية كالشمس وهو معرب
ان شمسك يا امين فيها كلف كثير ، أبعد الله عنا نهاية العالم ... وهذا الابتهاج

بدل على ما هو اكبر من الغرور . أنجر سلاحك يا صاحبي على الشاعر المفرد ! على المسيح وانجيله .! لقد أزعجتم الانجيل والتوراة باستمدادكم مواضيعكم منها . وهذه موضة قديمة . ترى هل أجذبت الحياة !

ويقول امين في وصف السامرية : النبت يطلع حيث تنقل خطوها .
لعل هذه الفكرة شكسبيرية ، ولكن الزجّال البعلبكي قال في هذا ما هو أجمل من قول شكسبير وامين ، قال على وزن (ابو الزلف) :
من فوق عالي التلوج من فوق عالي التلوج واخضرّ عشب الجبل هالداستو خدّوج
وبعد كل ما قلنا ، نظل سامرية امين قصيدة غراء على ما فيها من كلف ، لا يضيرها التعريب الذي ضار الانجيل... انها عقلية عتيقة ، وربما كان امين متأثراً هنا بهاشميته ...
لا ادري كيف هذا الزعم . واذا كان في البيان غير العربي شين فلماذا جعل امين قصيدة ياناقوس اليونانية لديوانه خرزة عين !...

فلنمش . وكما نظم ابو امين ، رحمه الله ، قصيدة ام التميمي الزهر ، كذلك نظم امين قصيدة لام التميمي الازرق ، ولكنه قصر في شعره جداً جداً عن زجل ابيه .
اظن ان ما سبق من غزل امين يكفيننا ، فقصيدة (ام موسى) تنتظرنا . ولكن قبل ان بلغناها لفتت نظرنا قصيدة (تذكّار) فذكرني فيها قول امين :
يا من رآني وأبي مرة هذا اخي في جانبي بل أخي
بقول شوقي في ابيه ايضاً :

وعشيت يدي في يده من رآنا قال عنا أخوين
ان من حق ولي العهد ان يتصرف بالتركة ، ولكن قصيدة امين — خلا هذا البيت — خير من قصيدة شوقي التي أسفّ فيها حين اراد ان يتصوف ، فوقع الحافر على الحافر ...

وفي اثناء مرورنا ، قبل بلوغنا قصيدة ام موسى ، نقرأ اخوانيات وخصوصيات تُبدع فيها امين ، وخصوصاً حين يصف الغناء وبجاليه وذويه . اما في قصيدة ام موسى فما أراه عمل شبيهاً بالقياس الى ابي نواس ، فاسمع كيف يقول :
يا رب خمارة في ظاهر البلد أيقظتها ، وجواد الصبح لم ينفد

قالت : من الطارق الملهوف قلت لها بل فتية المرح المحتال والصيد
وكل هذه التصيدة منسوجة على ذاك الثول الذي تكسر بعد النواصي ، ولكن
شوقي قال لأمين في ذلك الفرمان :

او من حديث ابن هاني يعيد فيه ويبسدي
فصدق امين ، كما صدق شوقي من قبل ، انه بزّ ابا نواس . ان هذه القصيدة
مطبوعة على غرار مضي وقته ، وفيها يريد امين ان يكون له ظرف ابن هاني ، ولكن
من اين له ولغيره ذلك .

وبعد هذا كله يطلع علينا شيء مما قيل في امين وماذا أجاب امين : لكل خطاب
يا بئين جواب . حك لي أحك لك ...

وأخيراً نقول ، ونحن في صدد الغزل : ليس الغزل في معانيه الطريفة ، ولا في
لغته اليايسة . الغزل ملاكه عاطفة متقدة يسرها الحرمان ، ويذكىها التحرق ويعبر
عنها بكلام بسّام غير جهم . وهنا لا بأس علينا من سرد نكتة توافقت المقام :

كان في كسروان شاعر مفلق يحفظ الكثير من شوارد اللغة واوابدها . واذا
استعرتنا له نعت امرئ القيس لخصانه ، قيد الاوابد ، لا نكون بعيدين عن حقيقة
حاله . كان هذا الشاعر يحمل كل يوم قصيدة غزلية يفشدها الشيخ رشيد اخازن .
وكان الشيخ يسمعها له ، وكان كلما انتهى من تلاوة قال للشيخ : كيف رأيت ؟
فيجيبه الشيخ بملك البساطة التي عرفت عنه : عال . سلم بوزك .

وأطال الشاعر زيارته حتى صار يصبّح الشيخ بقصيدة ويمسّيه باخرى ، ثم يسأله :
كيف ؟

واخيراً قال له الشيخ بلمجهته المشهورة : بدك مني الصحيح يما ابن عمر . هالموه
الجواب متوش عالكيف . سماع يا معلم بولس . كل شعرك حكي ما متو ننيجة .
بتعرف كيف تغزلت انا مرة ؟

فقال الشاعر : سعادة الشيخ اعلم . تغفل .

فقال الشيخ : قلت لراحدة مثل التي اخذت عتلك :

عيونك سود وخذك وردي في شي والا منشي

وهكذا انتهى كل شيء ، وصار الحب يحكي عنا ...
ان المتنبي الذي تغزل حتى شبع ، وابدع في معانيه كثيراً ، لم يعد احد يذكر
شيئاً مما قاله . وكأنه ادرك ان الغزل الذي تصدر به التصائد بعيد عن الصدق فقال :
اذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً ميم
لا يا ابا الطيب ، ان عصرنا هذا قد استقل فيه الغزل ، ولشعرائنا فيه جولات
حسان ، وامين نخله ابداع فيه واجاد ، ولكن فصاحة بشاره الخوري ضاحكة وفصاحة
امين عابسة .
ان كل عمل فني هو مخاطرة . وآخرنا نقول : لولا سخف شوقي وطمع امين في
الولاية ، لظل لهذا الديوان ايمته ووقاره ، ولكن الطمع ، كما قالوا ، ضر وما نفع .



وحي الحرمان

ديوان الامير عبدالله الفيصل

يا صاحب السمو الملكي ، وبامعالي الوزير الخطير ،
ايها البطل ابن البطل ، يا حفيد اسد الجزيرة ،
يا طويل العمر ،

اما وقد دعيتك آفة الفن الى دخول هيكها المقدس ، فاسبح لنا ان نضع جانباً
التابك الزمنية ، وثيابك القصيبة المزركشة ، وخنجرك الذهبي المرتضع ، وسيفك
العدواني الموروث من ايام حليمة ... ونلبسك الثوب الذي زركشته اصابع الآلهة
العلوية لتخلعه عليك في هيكل قدسها .

اسبح لي ان اخاطبك ، بعد الان — في هذا المقام فقط — باسمك (حاف) ، غير
مخوط بجيوش جرارة من الالقاب الاميرية الملوكية . انت آثرت ان تكون امير
بيان فكنت . لقد شرفت الشعر بعدما تأبى عليه الاشراف القدماء ، وقالوا في خليفة
يوم وليلة : ادركته حرفة الادب . وبهم تشبه العلماء والفقهاء ، حتى قال ابو حنيفة :
ولولا الشعر بالعلماء يزري
لكنت اليوم أشعر من لبيد

لقد استعنتت بتشريفك ساحتنا اجمل الترحيب منا ، فاسبح لي اذن ان اخاطبك
بشاعر الامراء ، واسلم عليك بهذه الامارة الادبية .

كانوا فيما مضى يقولون ذو الوزارتين فأبي بأس علينا اذا ما قلنا ، ذو الامارتين ؟
ان امارتك الجديدة هبة من الله كما ارتك القديمة ، والله يعطي من يشاء بغير حساب .

زعت يا شاعر الامراء ، انك محروم ، تحس بالحرمان « لان انكر الخطير ،
والنفوذ الكبير ، والمال الوفير مدعاة لتغيير اسلوب الناس في معاملتك » . ثم تقول :
« انك لا تدري هل ما نحس به من معاملة خاصة او عامة هو لانك انسان يستحق هذا
عن جدارة ، او لانك تتمتع بهذه الميزات الثلاث ؟ »

انني انعهد لك ان اكون صريحاً معك الى ابعد مدى الصراحة ، وان كنت لا
احب ان اسفك من شعورك بالحرمان الذي هو ، في الفن ، خير وبركة . بل ربما كان
سبب تساميك في حبك وفنك . اولست انت الفائل لذلك الحبيب المتمرد :
ولولا الحب في الاعناق رقء . ملكتك باليمين وباليسار :

ليت كل قارى ، يفهم ما هو ملك اليمين . فاين قول عنتره :
ان تغدني دوني التنازع فاني طيب بأخذ الفارس المستلهم
من هذا القول ؟ ان عنتره ، محروم حقاً يا عبدالله ، ولذلك لم يلطف القول ولم
يعله مثلك . صعب عليه ، ككل ذي عاهة ، ان يذكر عاهته — العبودية — ولو في
الحب ، لانه معتوق من رقه حديثاً .

نعم سأكون صريحاً جداً فلا تبهر عيني هالة المجد التي تحيط بك . فانا وان كنت
احبو الى السبعين فلي عين لا تطرف ، عين لا تزال حادة جداً حتى انها تنظر الى عين
الشمس صلاة الظهر ، ولا بأس عليها .

اجل هذا ما استراه مني ولو كنت اميراً ووزيراً وحفيد اعظم ملوك هذا العصر ،
وابن اخي ملك هو قبلة ابصار العرب .

ان للملوك والامراء قلوباً يا عبدالله ، ولهذا كان ويكون وسوف يكون منهم
شعراء . فأي بأس عليك اذا لم ترد ان تدفن موهبتك الخالدة فأقدمت على ما لم يقدم
عليه سواك من ابناء القصور . نشرت على الأديواناً رفعت به مقام الشعر فطار
بجناحين عظيمين ، بعدما كان يحجل بخطى قصيرة عند بابك ... لم تحل عظمتك دون
البوح بأسرار قلبك البشري ، فلم تنتحل الاعذار لحبك كأبي فراس الذي قال وكأنه
يستحي بالحب : اذا الليل اضواني بسطت يد الهوى ... ان الحب يخاطبنا بلسان
المسيح : الذي يستحي بي قدام الناس استحي به قدام ابي الذي في السماء .

لقد بسطت يدك (العليسا) الآية على قارعة طريق الفن ، والفن تار آكله
تظهر وتنقّي .

تق ان الصراحة التي وعدتك بها لا تباع ولا تشرى ، فانا لا ابيع مدحاً ولا
فدحاً ، وانا اقول ما عندي غير راج شيئاً مما عندك ، وان كان (بلوطك) ينفعني ...
كما قال الجاحظ لذلك الاموي حينما زاره وهو مغلوج يتداوى ببرادة الحديد .

ان هيكل الفن حرمة هيكل الدين ولذلك أتودع واخشى حين نطأ رجلي عتبة
بابه . قد كان المتوجون ، ولا يزالون ، يخلعون تيجانهم عندما يدخلون بيت الله
ليعلموا ، امام المعبود ، انهم بشر ... فاكسية الاضريح فوق المشاجب ، كما قال نابغة
بني ذبيان في بني غسان الملوك والاخوان .

سوف نحييك مثلهم بالريحان لا لملك صاحب مئو ملكي فقط ، بل لانيك شاعر مخلص
كبير باح واستراح . ان الاعتراف ، في كل مقام ، يزيح الكابوس الرابض على باب
الرجدان ، والاعتراف هو ان اقول اني احيت واحب نواي خير على الامير اذا صاغ
اعترافه شعراً ؟

وهنا يلذ لي ان اروي قعة صديق لي ، وربما كان من اترابي او يكبرني بالسن
اربع خمس سنين . اعجبته انش من نساء (شركائه) . كان يدخلني في بيئها الخارجية
فانطأت الجرة ، فهبت بجمرتها ، لا بصفتها كما قال ابن كلثوم ، واحلت لها واحدة
منتقدة ، فاضطربت النار ، وباس (الييك) شاكر أيد شريكه ، بومة كقصائد ابن
لرومي طول نفس .

انجل الشريكة تواضع (مملتها) فاستعت وقالت له بكل بساطة : حاشا قدرك
يا معمي !

فتنهذ اليك وقل لها : الحب ما فيه معلم ولا شريكة ، الحب رب لا شريك له .
هاتي خدك ...

انما فلسفة ارتجالية نطق بها صاحبنا بأسلوبه الخاص ، فلا ادير ولا سوق في دنيا
الحبة ، وما دام الله عبي هو ، كما علمونا ، فاقول لك بنا نحن الملوقة على صورته
ومثله ؟! واذا قال زهير :

وان اصدق بيت انت قائله بيت يقال اذا انشدته صدقا

فشعرك يا عبدالله الفيصل (هو الشعر) كما قلت في ختام مقدمة ديوانك (وحي الحرمان) . ان شعرك قوامه الصدق ، وملاكه الاعتراف الواضح الذي يريح وينقي ويظهر . وسمو شعرك هو في تلك اللغات الخاطفة ، والوثبات العالية التي تدل على الشاعرية كما تدل الخضرة على الينبوع المكبوت في قلب الارض .

فلا نحسن بالحرمان لانك خامس الاسماء الخمسة — ذو مال — فليس لاجل هذا المال تمدح وتوقر ، فكم من ذي مال يُبخل عليه باللعنة . انسيبت ان الخلفاء مدحوا ، والامراء مدحوا ؟ ان المتنبي مدح سيف الدولة وكان يأخذ من ماله ، ومع ذلك ما رأينا احداً من هؤلاء احسن بما احسست انت به من حرمان . ربما انك كنت تحس بالحرمان قبل ان تفحت الادب بهذا الديوان ، اما الان فما بالك ؟!

نحن نعجب بالرجل اذا كان ذا موهبة ، ولكنه اذا كان محروما من المواهب وعنده مال قارون ، وملك هامان ، وسلطان فرعون ، فهذا هو المحروم حقاً ، وماذا نعمل له ؟ هب اننا استطعنا ان نعمل الابيض اسود أفنستطيع ان نصير الاسود ابيض ؟ لقد حاولت ان انتقدك نقداً مرأً ولكني لم استطع لاني لم اجد المرعى انذي يدر عليه قلبي . انك شاعر مطبوع ، ومن لا يتعمل ويخالف الطبع فليس للنقدي في جلدته نصيب .

ان حبك الشعب الذي ينضح به ديوانك جرأني على مخاطبتك بيا عبدالله ، وكيف لا اسميك وانت قد خاطبت الشعب ، شباب بلادك ، بمثل هذا القول :

مرحى ، فتد وضح الصواب	وهفا الى المجد الشباب
عجالات ينتهب الخطى	هيامن يستدني السحاب
في روحه امل يضيء	وفي شيبته غلاب

واي نور اهدي من نور الامل واوضح ، واي عزم امضي واغلب من الشباب ! بل اي صرخة ديمقراطية ازوع من ختام قصيدتك هذه : فلكم حياتي يا شباب .
ان كلمة (دائماً) في صدر هذا البيت ، بيت الختام ، لم تعجبني . ولذلك اكتفيت بالعجز ، ورب عجز كان خيراً من الف صدر . يظهر افكم يا ال سعود ، تحرصون على

الديمقراطية في كل مقام ، وحسبكم انكم رفعت السجف التي كادت تفصل بين العبد والمعبود ، فتضيم على (الواسطة) في دينكم ودنياكم .

فيا طويل العمر ، دع الفكرة التي حدثتنا عنها في مقدمة ديوانك . انس المركز والنفوذ والمال ، ولا تظن اننا نحاييك وغالك لاجل ذلك . ثق انك قد عملت في ديوانك بقول فرلين الشاعر الفرنسي الخالد : **خذ الفصاحة وفك وقبتها** . فديوانك اذا لم يعج بزخرف الفصاحة وبهرجتها وزبرجها ، فهو حافل بالشعر الصحيح الفصيح ، ولا غبار على بيانه .

قال كاتب عظيم احدث عهداً من فرلين : عندما تعوزنا الافكار نلجأ الى الفصاحة . وانت ، والحمد لله ، قد اغناك تفكيرك عن تزويق تعبيرك .

قال شاعرنا الاستاذ صلاح لبكي في تقديمه ديوانك : **محروم بعيد جد البعد عن شعراء الصحراء الاقدمين والمحدثين معاً** . وهو اقرب ما يكون الى شعراء لبنان ، والى الشعراء الوجدانيين منهم .

اما انا فاذعم انه ليس في الدنيا شاعر صحراء ولا شاعر غوطية ، ولا قديم ولا جديد ، انما هناك نفوس وطباع . ونجد مهد الشعر العربي وسريه ، والليونة ، اللهم في الشعر ، من سمات قولهم . ولعل طبيعة المحيط التي تشبه لبنان هي التي قربت بين محروم وبيننا ، وما هو محروم ، شاعر الامراء ، يدلنا على عمل المحيط حيث يقول في اولى قصائده ديوانه :

هل تذكرين برادي (وج) وقفنا وقد افاضت علمينا الظاهر عيناك
ارأيت هذه السلاسة والسهولة ، اما فك عبد الله الفيصل رقة الفصاحة ، كما اوحى
فرلين ! اما قال شعراً يصح ان يقال فيه ما قيل في شعر ابن ابي ربيعة : كأنه الفستق
المقشر ؟ ان عبد الله ربيب وادي وج الذي قال فيه عروة بن حزام :

أحقاً يا حمامة بطن وج	بهذا النوح انك تصدقينا
غلبتك بالبكاء لان ليلى	اواصه وانك تهجعينا
واني ان بكيت بكيت حقاً	وانك في بكائك تكذبينا

تري انقول في هذا الشعر انه لبناني لانه سهل ؟ انه نجدي ، وعرق الاصل نزار .

اما قال جرير النجدي في اول شعر سمعه لعمر ابن ابي ربيعة : شعر حجازي تحس فيه
البرد في تموز .

اما كلمة (وداعينا) في مطلع هذه القصيدة فما اراها طبيعية ، وكيف تكون
ونحن في حديثنا نقول : وداعنا . لا نثني ولا نجمع . انها اخت قول شوقي : واحمر
من خفريها خذاك . واما وقد وعدنا شاعر الامراء بالصراحة كلها فلنقل ايضا : ان
كلمة رؤياك ، وهي احدى قوافي هذه القصيدة ، يجب ان تحل محلها كلمة مرآك .
ولكننا ننسى هذه الهنات الهيئات حين نبلغ مثل هذا الشعر الصافي من القصيدة :

ففيك للقلب اهواء جمعة وفي لقائك دنيا الشاعر الشاكي
دنياه نار من المهرجان محرقة اذا نأيت وروض حين الفاك
اما البداوة في ديوان (وحي والحрман) فلا يدل عليها شيء غير تلك الصور
الفنية الرائعة التي زين بها الكتاب ، وهذا البيت مثلاً :

ازمعوها بيناً وشدوا رحلهم فتواري طيف احلامي الجليل
ولعل هذا هو الذي عناه (محروم) في ختام مقدمته : اريد ان يكون شعري
(صورة طبق الاصل) لحياتي ، وصدي حقيقياً لشعوري وعواطفي وامالي وخيالاتي
وانفعالاتي النفسية .

نعم ، لقد طبق الشاعر على نفسه ما اشترع ، وها هو بدلا من ان يتهيباً ، على
عادة الشعراء ، ليبرز لنا فكرته في بجد الفصاحة ، نراه يقول واصفاً جموح عيوب
العاشقين :

نحن صرعى لفتات ورؤى وامان ما اليهن سبيل
وفي قصيدة (ثورة وخيال) نحس شوقاً كاوياً في قلب تغلي مراجله فتقطر شعراً
يذوب قائله وجداً ، فيذوب شعره رقة :

قلت اهواك وعن دنياك بالحب شغلت
وبودي لو تحدثت الى الدنيا بحبي واطلت
وتأملت الذي يوحى الى قلبي وقلت

.....

هل سمعت اللحن من نغمي يساب لتني
ثم يرد فيروي لك ما قصة حي
ويناديك الى عش هوانا المستحب

وفي قصيدة (توأم الروح) تغور عاطفة الشاعر العربي الاصيل ويضفي عليها
اللون المحلي فيسبق الى قلم الشاعر وينطقه بكناية لا يفكر بها الا عبدالله الفيصل سليل
الذين قالوا : السفر قطعة من العذاب :

يا توأم الروح ونور البصر ضاقت مني الروح بهذا السفر
وغشت الوحدة عيني فما يؤنس عيني كل هذا البشر

فهنا تبدو للتأمل صورة العربي اخي الحب النبيل . لست ادري لماذا اعجبت
العجب كله بقوله : ضاقت مني الروح بهذا السفر . حتماً ان سفرة الحب طويلة كلية
التأفة . واذا كان محروماً حتماً فهي اطول واطول ، كان الله في عونك .

واذا مضينا قدماً حتى نبلغ آخر هذه القصيدة سمعنا الشاعر يتغنى بهذا الحبيب
ويشبه صباه الغض بالبرعم . فلندع التحليل الذي يسقط موضع التعجب من الشعر كما
قال الجاحظ ، استاذ الدهر . اسمع النص بحروفه :

لا اوحش الله خيالي من الحب ولا تلك الليالي الآخرة
حيث صباك البرعم الغض في اوراقه يشاققه من نظر

انه يخاف عليه حتى من النظر ، خطبة الفكر ... ثم يتضي الشاعر الى ابعد مدى
الظن ، وهناك تهبط عليه هذه الصورة الرائعة :

يوحى الى الدنيا اهازيجه مبتدعاً من كل قلب وتر

انك تحال شعر عبدالله الفيصل بسيطاً جداً ، اذا قرأته قراءة عابرة ، فلا كاف ،
ولا كان ، ولا مثل وشبه ، وهذه هي البساطة التي تضرع فرلين الى ربه طالباً منه
ان يهبها له .

وفي قصيدة (منى غدي) يتغنى الشاعر بآلامه ، ويشبه ، كما شبه السلف ، بعيني
المهابة ، وبالعتد المنصود . ولا بدع اذا رأيتاه لم تقطع السرّ بينه وبين التديم ، فهذه
سمة الشاعر الذي يمثل عرفه . فعبداً الله الفيصل يصح فيه قول الشعاني في البحري : اعاد

الشعر سيرته الاولى ، ولنا نحن ان نزيد على هذا فنقول : اعاد عبدالله الفصيل الشعر الى مهده الاول ، الى مرقص الاحلام امرىء القيس ، الى حلاوة كلام جرير في الغزل . لقد عبر الشاعر عن آلامه وآماله ولم يلجأ الى التخيل لانه يصف بكل صدق خلجات نفسه . افلا يكون صادقاً كل الصدق من يخاطب نفسه الكبيرة بعلمها بالامال من حبيب عرف مقامه فندلل :

وكلما رمت وعداً بهجره يتوعد
وان خلوت بنفسي وجدتها تمرد
اقول يا نفس صبراً فبابه غير موصد

هكذا يصور لنا الصراع النفسي متى سيطر الحب على الامير ، وأبت نفسه الامارة بالمجد والعزة ، انه يصبح بين ويلين ، كما قالت هريرة الاعشى : ويلي عليك وويلي منك يا رجل .

كل هذا حسن ، ولكن الشاعر ارضاء لنفسه الامارة بامارتها قال :

اني وحيد القوافي وانت بالحسن اوجد

انها كلمة مقولة يا مولانا ، ولا وحيد قط الا في دنيا الاساطير ...
والشاعر يتخلص من قيود القافية في الكثير من قصائد ديوانه ويترك نفسه على سجيته في القول . وها هو في قصيدة (عراطف حائرة) يفاجئنا بمطلع ينطح السماء بروقيه ، والمفاجأة من العناصر الجوهرية للصورة الشعرية ، كما يقول جورج ديهامل :

اكاد اشك في نفسى لاني اكاد اشك فيك وانت مني

ارأيت ما اعتم هذا الحب واخلصه ؟ ان الحب يلتقي برقعاً كثيفاً على وجه المحب فيرى ولا يصدق . ان الروعة ، في هذه القصيدة ، شاملة ، وهي من الشعر الجدير بان يغنى في اسمى المقامات ، ويا ليت مواطن امرىء القيس ضرب صفحاً عن هذا البيت :

على اني اغالط فيك سمعي وتبصر فيك غير الشك عيني

ان معناه جميل جداً ، ولكن هذه (العلي اني) من بضاعة النثر ، وفي (القافية) سناد كنا في غنى عنه .

وفي قصيدة (كنا وكان) صرخة عبقرية قلما نسمع بمثلا في شعرنا المعاصر ، وهي

درس عميق في الهوى :

يا حبيبي كيف ذاك الحب مات عندما دبت به روح الحياة
إذا كان هذا قد حير علماء النفس ، فكيف لا يحير شاعراً لا يضاهيه شاعر في مثل
هذا الحب العنيف ، وهذه الحاسة التي تنفذ الى الاعماق .

وفي قصيدة (حلم الهوى العذري) تقع على كلام رائع في وصف الحبيبة :

وبالوجنات فيها الضوء يلهب لونها المحرّي

فتحسب انها شفق تلفع هالة البدر

حتى الان اكاد اقول ان شاعرنا ، كجميع شعراء العرب ، قديمهم وحديثهم ،
ليس للجمال المعنوي اية وزن في ميزانهم . ان هذه خاصة اصيلة فالحسن متى ملأ القلب
كان الفيض ... اسمع ما ختم به قصيدته (على ضفاف النيل) مناجياً الحبيب :

اروع حبي ذا كراً ابامنا فعلى ذكراك للعهد اتكالي

وكانني بذاك الحبيب يحيب كما نجيب نحن : التكلّة على الله .

اما في قصيدة (اطللي الوقوف) فيقتشر البدن لما توحيه هذه القصيدة :

هو الداء يعث في اضلعي اذا ما نعت فلا تفزعني

ولا تبعثي صرخة في الفضاء ولا ترسلي مدمع المومجـع

ولكن عليك بحفظ الوداد وصوني عهد الفتى الالـمي

وعيشي مدى العمر بالذكريات وطوفي بمنغني الهوى واخشعي

وزوري ثراي اذا ما السكون اطلّ وعند الثرى فاركـمي

لئن ضم جسمي ذاك الثرى لقد ضم عهدي وحبي معي

اطال الله بقاءك يا طويل العمر ، ولا خلا قلبك من هذا الحب العنيف لتسمعنا
الكثير من هذه الروائع التي تقطر دماً .

واني هنا اوافق شاعرنا الاستاذ صلاح لبكي القائل في مقدمة الديوان : (ومحروم

في اول الطريق لم يعط بعد كل عطائه ، على سخاء ما اعطى ، ولم يفرغ غير الحرف

الاول من الكلمة التي تحتلج في صدره وتضج بين ضلوعه) .

وفي قصيدة (هل تناسبت) هذا المطلع الصارخ :

لينه يعرف الملل دائم التحقق لم يؤن
هده المهجر فانبرى يقتل الياس بالأمل
هل تناسبت ليلنا اذ دفناه في القبل

ما على قلبنا شر ، ما دام يحقق ، واذا عرف الملل يا امير ، فعلى الدنيا مليون
سلام . ألا تذكر قول ابني الطيب :

آلة العيش صحة وشباب واذا وليا عن المرء وتلى
واذا الشيخ قال أف فما ملّ حياة ولا مكن الضعف ملا

فلا زال قلبك خافقاً الى ابد الابدن ودهر الداهرين . آمين .

اما دفن الليل في القبل بصورة جميلة جداً ، ولعلي لم اقع على ادوع منها . وان
كان الخبراء الصحيون يزعمون ان كل قبلة تذهب بدقيقة من العمر ... فانا
اشترها بساعة بل بيوم ، وربما بشهر اذا وافقت الهوى وحي الوطيس ... وحسي
صديقي الشاعر بشاره الخوري الذي حرق نفسه ونفس حبيبه في جحيم من التبسل ،
ومع ذلك لا يزال بألف خير يهجم على طاير ...

اذن فليخفق هذا القلب ، وليقرع هذا الجرس فرحاً حتى يتلق اربعة افطار
المسكونة . ان دقات الحزن ، ابعدها الله ، آتية ولا ريب . واليوم خمر وغداً امر .
ان قصائد (وحي الحرمان) كلها مطبوعة على غرار واحد ، شعر نقي الديباجة ،
حديث قلب بطل يتجلى ، نابى عليه عزته ان يتذلل ، فهو يخبر بجلاء ووضوح عما فعل
به الحب ، وعن لوعته المحرقة في قصيدة (لوعة) حين يسر الى حبيبه :

فلو زعم العواذل بي سلواً فكل حديثهم محض اختلاق
وما ابدي لهم غير الناسي وان كانت ضلوعي في احتراق
واخشى ان يقال صريع شوق يلاقي في المحبة ما يلاقي
واغرق في ظلام الليل يأسى فاغرق في اصطباحي واغترابي

المثل عندنا يقول : جاء الليل وجاء الويل ، ولا ادري كيف استطاع شاعرنا ان
يفرق في ظلمة الليل ما اعتاد ان يطفو .

وفي قصيدة (ردوا سهام الجفون) يذكرني الشاعر بعهد مضى يوم كان شعراء

القرن التاسع عشر يردون العجز على الصدر ، فهو يختم هذه القصيدة بالشر الذي
المختجها به ، فيقول :

ردوا سهام الجفون عن قلبي المسكين
لا توقظوها جراحاً اغنى عليها حنيني
الا تذكرك هذه الغفوة بغفوة الاطفال الملائكية ولكن بدون هذا الالم احثاً
ان المحب ، ولو اميراً ، لطفل كبير

فقد بذلت شبابي ضحية للعيون
اما رحمت حطاماً ناداكم بالانين
اظن ان التارى يشاركني في الزعم بان في كلمة حطام — هنا — حلاوة شعرية .
واخيراً يختم كما ابتداً :

فان اردتم بقائي ردوا سهام الجفون
الله ، الله ، كيف يستغيث البطل في الحب ! ألا تسلم باطويل العمر ، بقول صاحبي :
ليس في الحب معلم ولا شريكة . هاتي خدك .
لما ذكر المدام والراح والكاس فلم يرد الا في قصيدة (اى ذات الوشاح) ذات
هذا المطلع :

نائلني العواذل ما اقتراحي وانت على الزمان مدى اقتراحي
بيد ان هذه المدام والكاس هنا مجازية كالتي عند ابن الفارض ، ولكنها من نوع آخر .
وفي قصيدة (امل المحروم) ، وإن كانت قوية للعاطفة حادة الشعور ، صور تغير
جديدة كالبيان والعناب . الا ان الشاعر اخرجها بالحب مستلجج جداً فقال :

وقرام يتهدى في الربى فيقول البان ما أهيفه
وفهم لو قال من ينعه هو كالعناب ما عرفه
لما بيت الردف ، وان كان قد مضى يوم كانت فيه الارداق تستعلى منقطرة ،
فقد اخرجها الشاعر الى معرض الفن جيلاً طريفاً ، حافلاً بلون محلي صارخ نجح قال :
وباردافك حادٍ صلفه مثقن خطوك ما أصلفه
فجميل منك بعد الظم يا أمل المحروم ان تنصنه

اما نونية (يا ناعس الطرف) فلا تقل عاطفة وجمالاً قنباً عن نونية ابن زيدون ،
ففيها تلك السهولة الرائعة وذاك السياق المستعجل ، فكأنها نهر لبناني ينصب متراكفاً
نحو البحر ، حتى تحتم هذه الابيات :

إنا وإياكم نجهان في فلك يدبره الحب في آفاق ماضينا
مهما اختصنا فان الشوق يجمعنا او افترقنا فان الحب يديننا
فما ترى اليوم من صبر ومن جلد فللكرامة فضل من تأسينا
انه في اخرج المأزق لا ينسى من هو . بيد انه يغلب على امره ويعود الى تواضعه
للحب ، والحب اله قدير لا يزهي امامه احد ولا يتكبر ، فيقول في مطلع قصيدة
(عتاب) :

لما نظرت اليّ امس مشيعة بين الجموع بلعظك المرتاب
وجرت على شفتيك بسمة حائر ما بين شبه رضا وشبه عتاب
ابصرت في عينيك عمري كله وعرفت اني قد اضعت شبابي
حقاً انها ابيات من امثل الشعر وارقاه . وهكذا يختم هذا الديوان كما ابتداء :
تحرق دائم ، وشكوى مستمرة ، وظناً الى الجمال شديد ، وثلاثة في الدنيا لا يشبع
منها : الجمال والعلم والمجد ، وان قال الشاعر : ولا يجد في الدنيا لمن قل ماله .
وبعد فائنان في ديوان (الحرمان) يتصارعان : قلب الشاعر ونفسه ، فقلبه يهوى
الجمال ونفسه يشوقها العز والمجد ، وهو بينها كما يقول المثل : ساعة لك وساعة لربك .
هو شاعر غنائي رومنيكي يقول الشعر في حاجات قلبه ونفسه ، عربي جلود ،
محافظ لا يريد الخروج بالشعر العربي عن طريقته المثلى : الصراحة ، الوضوح ، الموسيقى .
لا يتغنى بوصف الطبيعة ، ولكنه يهيم بسيدها الذي خلقه الله في احسن تقويم ، على
صورته ومثاله .

والحرمان عند الامير موجود حقاً ، فهو اذا لم يجد من يحرمه حرم هو نفسه ،
والمحروم وحارم نفسه سيان في الحرمان . لا يضعي بالعزة والكرامة في سبيل حب
اي كان ، وقد تكون مصيبتة انه يبتي لمن لا يرخص لنفسه الانحدار اليه ، ولذلك
يصح فيه قول الشاعر :

ارى ماء وني عطش شديد ولكن لا سبيل الى الورد
الحبل والدلو موجودان ، ولكن الشم العربي واباء الامارة يصيحان به : لا .
ولهذا لا نسمع إلا ترانيم عذبة هي صدى طبيعي لأغوار نفس يسعد بها الجبال ،
او تنهدة نفس معذبة متألمة لا ادري من ماذا .

ان ما سماه شاعر الامراء حرمانا هو ما يسميه علماء اليوم كتباً ، وهذا الحرمان
او الكبت يرهف حساسية الشعراء ، فلا حرم الله الامير هذا الحرمان .
اما ثقافة شاعرنا فعربية صرف ، وما احسبه استلهم غير الشعر العربي ، فهو في
قوله الذي اعجب الشاعر الاساذ صلاح لبكي :

ارى الصبر اوشك ان ينفدا واوشكت في القرب ان ابعدا
يدنو ويتعد ، في وقت معاً ، من قول الشاعر النديم ، وقد عدوه مخالفاً لفصاحة
المركب لغموضه :

ساطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا
ان الوطن الذي كان لنا منه امير الشعراء امرؤ القيس ، وجريرو وغيرهما ، ها هو في
القرن العشرين يستعيد مجده الادبي بانجابه عبدالله الفيصل ، واذا لم يكن للروح والجبال
المعنوي الا اثرأ يكاد يلس في ديوانه ، فاعلم ان هذا هو الدليل القاطع على النفسية
العربية التي لا تعجبها الصوفية .. واذا رأينا شاعرنا لم يتخيل كثيراً فلأن شعره وصف
خوارج نفسية ، والبوح لا يتطلب امعانا في الخيال ، ناهيك ان الاغراب في الشعر ليس
من طباع العرب .

فشاعرنا اوتي البساطة التي سأل فرلين السماء ان يعطاها . قد اعطياها عبدالله الفيصل
فراى الحبيبة انسانة من لحم ودم ، لا من نور والحان ، وورق ورد ، وضياء ونور ،
واغاني حمراء وصفراء ، واحلام بيضاء وخضراء ، واشعة قوس قزح ، كما يراها
اصحابنا — بعض شعراء اليوم — ويخاطبونهم بلغة لا تفهمها هي ، ولا الانس
والجن ايضاً ...

فهذا الشاعر ، وهو غودج للرأس العربي ، وقد اجتمعت فيه جميع خواصه
وخصائصه ، لا ترى في ديوانه رمزية ولا سرالية ، ولكنك ترى شعراً عربياً صافياً

فكثيراً وبعبيراً ، شعراً لا تحمل الكلمة فيه فوق طاقتها ولا تكلف الا وسعها .

فكأنني بديوان محروم قد جاء رداً ، في الوقت المناسب ، على البدعة الجديدة التي يحاولونها في العراق ، كما نوى في قصيدة (النهر العاشق) للانسة الشاعرة نازك الملائكة . عدت نازك تلك القصيدة (انشودة عزاء لبغداد التي تغرق) وما هي في نظري الا (جتاز) لشعر نازك الذي غرق في بركة التجديد ، ومحاولة الابداع ...

بعد ظهور ديوان نازك شظايا ورماد نصحت لها ان تعود الى حبيبها الاول ، الى عشق الليل ، واذا بي اقرأ في هذه الايام عشق النهر ... واتبعها نقر من شعراء احبيبتهم كبلند الحيدري وفلان وفلان .

فيا اخواني ، انكم بهذا تعتقون ولا تصيرون جددآ . فليست آفة شعرنا في وزنه وقوافيه ، وانما آفة بيت الشعر العربي في تعبئة وزنه ، واحكام بنيان زواياه ، اعني قوافيه . انكم بهذا تقلدون الغرب ، ولو استطاع شعراء الغرب ان يجدوا لهم اوزاناً كالوزاننا ، وقوافي كقوافينا لما تخلوا عنها كما تتخلون ، ولما فعلوا غير ما فعل قدامى الغرب . احكموا بنيان البيت الشعري ولا تهربوا من الساحة .

لقد استطردنا ولكننا لم نبتعد عن الموضوع كثيراً ، وحسبنا من محروم ابتعاده عن تلك التعابير الموروثة مع انه ابن المحيط الذي ابصرت النور فيه . فانت لا تجد في وحي الحرمان تعبيراً كلاسيكياً ، والتعبير الكلاسيكي المنقول هو اخطر سلاح يحمله الشاعر والناثر في معركة ادبية .

اسمعت ما قالوا عن السلاح المصري الذي كان في حرب فلسطين يقتل صاحبه لا العدو ؟ كذلك هو التعبير القديم ، انه يقتل صاحبه .

فالشعر قبل كل شيء هو صدى النفس ، ولا يمكن ان يعبر عن هذا الصدى الا بلسان صاحبه . ان هذه لحسة كبرى لعبدالله الفيصل الذي خاطب الاحباب ، وهم من ناس هذا العصر ، بلغة هذا الزمان والعصر ، ناسياً او متناسياً ما ترك مواطنوه من ميزات تعبيرية باقية ، فعبير هو كما شاء ، ولم يبال بعمود الشعر بل حطمه تحطياً . بقي علينا ان نقول كلمة في وحدة هذا الديوان ، فكأنه ملحمة حب وهيام ، وغير

قليل ان يكون لشاعر ديوان كامل في موضوع واحد ويجيد قائله كما اجاد محروم .
فلا حرم الله شاعر الامراء ذاك الحرمان ليطيل الغناء . ومتى كانت لك نفس
تحب ، وقريحة تسعد وتسعف على القول قانت شاعر . وتظل شاعراً في التسعين ، فسر
ولا تبال (بحدّ الاربعين) فليس للعبقريّة نهاية ولا حد .

.....

يا صاحب السمو الملكي

اما الان وقد خرجنا من الهيكل فاسمح لي ان اعود الى (البروتوكول) ، وارجو
من سمو شاعر الامراء ، ذي الوزارتين ، الامير عبدالله الفيصل ، ان يقبل مني هذه
الهدية الادبية . اما قال شاعرنا : وباتيك بالاخبار من لم تزود . وبأتيك بالاخبار من
لم تبع له بتاناً .

فانت ايها الامير النبيل ، لك في تأييد الادب يدان : يد بذلت بسقاء ، ويد
عملت بكد وجد ، فكان من ثمرها اليانع هذا الاثر الفني .
الا بارك الله في يديك الشنتين .



obeykandi.com

يَقْظَاةُ وَنَهْضَاةُ

obeykandl.com

obeykandi.com

الخيال اللبناني

ليس للبنان اليوم اساطيل ماء وهواء ، ولكن له في دولة الفكر فضلاً يعرفه ،
ذوو الالباب .

وبعد ، فعندما نظم الله قصيدته الفريدة في ستة ايام كان أشد إعجاباً بالبيت
السادس — الانسان — لانه تفخ فيه شيئاً من روحه . وبعد ايام — واليوم في عين
الله كآلف جيل في عيوتنا اللوزية — بدا الذي الجلال ان يجوّد البيت الذي رآه حسناً .
جداً ، فاستودع فكره سفينة نوح ، حرصاً عليها ، ومحا بطوفان عرمرم قصيدته
العصماء ليعيدها احسن سبكا .

وبعد لحظة من تقويم الخلود ، استنشق الاب القديم الاجيال قنار ذبائح نوح
وسرفاته ، فطاب نفساً وقرّ عيناً ، وقال : « لا اعود الى لعة الارض من اجل
الانسان ، لان تصور قلبه شرير منذ خدائه . »

وحالت منه التفاتة فرأى جبل أراطينظر بعطرسه الى سهول الشرق ، والكهول
عدوة الله الغيور ، فغمز بعينه ابنته المجنونة فأخرجت انثاها ، فاصطفت جبال لبنان
كمسكر من العماليق في جبهة الوجود .

وشقى الرب نفسه من ركافة ثانية ، فالمشول والنتوء ملاك الفن الرفيع :

لبنان والخلد اختراع الله لم يوسم بأزمن منها ملكوته

هكذا زعم شوقي ، ولكن أيها النسيخ عن الآخر يا ترى ؟ لبنان ام جنة الخلد ؟!

هذه مسألة تشغل حيزاً من دماغي ولا اقول كبيراً لئلا اتهم بالمبالغة .

وتمرد الخيال اللبناني فحقق ظن الله بالانسان . خلق الآلهة وسرحهم قطعاناً

تصارع وتتناطح في بطاحه وعلى روايه ، وكانت بينهم حروب كالتى نشبت بين الملائكة في البدء ، وكان من شروط هدهتها استعمار الشياطين للارض ...

الخيال خلعة الله السنية على من خلقه على صورته ومثاله ، وهودج تنسبنا زر كشة سجوفه هول الطريق والمركب الوعر . اذا جردنا الانسان من خياله أنكر ما يحيط به وأمسى كالمبست . لا يذكر الامس ولا يحلم بالغد .

والخيال ينمو في بقعة كلبنان ، فولولة رياحه ، وعريضة شلالاته ، وهمس ينابيعه وأنهاره ، وهدير بحره ، وشوشة اشجاره ، وقصف رعوده وومض بروقه ، وعواء سباعه ، وصرصره بثرانه ، وصفير نسوره ، وتغريد طيوره ، تنصب وفوداً وفوداً في حناجر اوديته ، واشداق كهوفه ، فتؤلف موسيقى داخلية لا تجد لها في غيره .

فمن لا يرتعش متى استيقظ مع الفجر ورأى بقية نور القرص الفضي تنسكب على ربي لبنان الحاملة ، فتخلق ظلالاً كثيبة ، واشباحاً حائرة . سيناء الله الازليه تزين بألف لون وتنطق بألف لسان قبل بزوغ القرص الذهبي وعند غروبه .

وما ظنك بجبار نسجت عمامته عوانس كانون ، وحاك آذار عباءته المفروقة ، وطرز نيسان قيصه ، وغنمت طيلسانه عرائس نوار ، والبحر يغني عند قدميه ، والضباب يؤزّره ليحلم ؟ أفلا يلد خياله اساطير كانت ام الثقافة العالمية ؟!

لبنان هو الأولب الاول ، وقد فاق جوفانس لما جعله الصوفيون مقراً لابدهم . انه آدم الخيال الانساني وخواؤه ، فمن قمه المتمردة رفع بنوه عرشاً لمركيل ، ومسرحاً لادونيس ، وخدراً للزهرة . ومن طيوبه صنعوا عشاً لفنيق رمز القيامة والحياة المتجددة ... رموز عبقرية افرغها الخيال اللبناني على الحقيقة فنعم بها الانسان زمناً .

مُنَى ان تكن حقاً فتلك هي المنى والا فقد عشنا بها زمناً رغدا للثقافة منبعان : دين حافل بالرموز والاسرار ، وخيال يحلم بالجمال فيخلقه ، وكلاهما انبثقا من لبنان فعماً البحار وما وراءها . ابصر اللبناني جبلاً قلق المجاز وبحراً مكاراً لا يؤخذ بالعنف ، فشرع يحتمل للنفوذ في ذلك المضيق . وتحرك الخيال اللبناني الاول فكانت فتنة بين ابناء الهواء وبنات الماء . صرعت

فأس البناني عمالقة الارز وجعلها مراكب فدان له البحر . ورأى المستقبل مظلماً
فتحرك خياله ايضاً فخلق الابطال والآلهة ، وتحرك ايضاً وايضاً فكان البناء
والارجوان والزجاج والطرف والتحف .

وتحرك اخيراً خيال الطموح فحشى البحارة ابناء الشمس فاستعمروا الشرق والغرب ،
وفتحوا الدنيا سوقاً لحضارتهم وفنونهم ، فحق لهم ان يرددوا قول ابن عمهم
مرو بن كلثوم ولا ابتهار :

كأننا (والجواري منشآت) ولدنا الناس طراً أجمعينا
ملأنا البحر حتى ضاق عنا وظهر البحر غلاًه سفينا

وابى الخيال البناني ان يستريح فانشأ سفر التكوين الاول ، وعلم افلاطون
حقيقة (الوجود للقاهم) ، واقترض (الجواهر القردة) لحل عقدة الهبولي ، ووضع
(ابجدته) مستودع الثقافة الحاضرة ، ولا يزال بعضها كما رتبوه هم منذ خمسة آلاف
سنة : ABCD ابجد KLMN كلن QRST قرشت .

فليست الثقافة البنانية وهماً من الالهام ، ولكنها حقيقة تقدم كل الكائنات
حديثها ، ولا قبلها قبل كضرة ابن الفارض .

تقدمت موسى وحمودابي وألمت هوميرو وماريني وشكسبير ، ولا يزال بعضها
حيّاً في اقدس امانينا . فمن هذه المزرعة المنتشرة على سيف بحرنا ، من هذا الميليمتر
من مصور الدنيا الضخم خرج خيال جبار كسا العراة برفيراً وارجواناً ، وبدل
الكهوف بالقصور والهياكل الرفيعة العماد . وصار معلم القرون الاولى .

فمن يصدق ان شعباً عبثياً كشف اسرار الكون لا يدرك سر احمرار مياه نهر
ابرهيم ؟ ان منطق المعتقدات يحتاج دنيا العقول ويكتسحها ... هنيئاً لهم بجدهم الغد
فلا يشوب فخرنا بهم شيء الا انهم لم يعيشوا الى ضوء نار الهدى مثلنا ، فضلوا وتاهوا
وانهم يعذبون اليوم في جهنم ... وأسفاه !!

أقولون ان احسانهم الى الانسانية لم يشفع لهم عند ربهم ؟ فلولا ابجديتهم ما
قرأنا كتبه المنزلة ، ناهيك ان جهنم عرفت بعدهم ، والقانون لا يشمل ما قبله مدنياً ،
ولا هونياً الجاهل معذور . واخيراً اقول : ما لنا وللجدل العقيم فلنسلم مشاطرين

الاب مرتين البسوعي ، صاحب تاريخ لبنان ، أسفه العميق لهلاك نفوس اوائل اللبنانيين ، مدني البشرية ...

كلما بلغت نهر ابرهيم الخيل نساء بلادي باقيات على تموز . وكلما دخلت جبيل اتمثل الكهنة يندبونه في الشوارع ، حتى اذا بلغت عين كفاح ومررت بكنيستها البعلبكية الاساس اقول في نفسي : من هنا طرد زين الآلهة ادونيس ، ليحل محله ابن اراراط ، اي مار روحانا ، الجالس سعيد آفوق مذبح كنيستنا .

وتدعى الافكار فتنبري كلمة الاخطل : هو الدين يا اخا العرب ، فأصمت . غريب اجماء بلادي ، كل حجر من حجارها سفر جليل . وان قيل أبهذه الخرافات تفتخروا ! اجبت : من منا بلا خطيئة فليرجعها بحجر .

خلقت العين البشرية جمالا قيل له كن فكان . اما العين واليد اللبنانيتان فاستلهمتا خيالا لا يضل كالحك الذي اخترعوه ، فابدعنا كونا جديداً خاف ألا بطرف الفن وروائع الفكر .

.....

وأراهم خيالهم السامي ان النطور سنة الحياة واقدس نواويسها ، فداروا مع الزمن محتفظين بخواصهم الاكسابية والغريزية ، فعدوا عن لغتهم الهرمة ، وخطبوا لغة بني عهدهم الجميلة . نصروها عزيزة ، واحبوها مقهورة ، فينا كانت كتبها تندهور في دجلة والفرات وتحمى بها الافران والحمامات كأنرا يحبسونها في احشاء كهوفهم — وهل كانت الديورة الا كهوفاً ! — وتنسكرها الناس حتى بنوها الخملاء ، فأووهاهم ونصروها . وافرغوها حلة قشبية على كتبهم المقدس ، فاحتبت ناعمة البال عن عين المذبح ، وأمست لغة خيالهم واحلامهم .

نصروا راهباً لبنانياً — المطران جرمانوس فرحات — ينتقل في أواخر القرن السادس عشر ، بين اعمدة جامع قرطبة ومجرايه ، يتأمل باعجاب واجلال آثار ذلك الفردوس المفقود . أما مات ذلك الراهب عشر مونات قبل بلوغ الاندلس ؟ وتحرك الخيال اللبناني ، بعد حين ، فرأينا كاهناً آخر يركب البحر بينهما كان شاعرنا العربي يقول :

لا اركب البحر اخشى علي منه المصايب
طين انا وهو ماء والطين في الماء ذائب

الى رومة البحر السمعاني حاملاً على سفن أجداده حاصلاتنا الثقافية ، وفي مكتبة
الفاتيكان هدا روع العربية الملهوفة، وهناك خللت ذكر السمعاني كما خلد السمعاني
ذكر العرب بما ترجم للبابا اكلينزوس الحادي عشر . هذا حديث البحر ، وقد
احتاج الى معجم كلاروس اذا همدت الى ذكر الاعلام فلنختصر .

البناني ، قديماً وحديثاً ، مطبوع على الاخذ والعطاء . وفلسفة النفس الحديثة
ثبتت ان للوراثة والجنس تأثيراً في العبقريّة ، فاذا ورث الرجل عن ابيه تخيلاً
شديداً هيأه هذا الاستعداد للشعر او للتجارة والمالية . وصورة العبقريّة تختلف بحسب
المحيط وهذا ما عملته العبقريّة اللبنانية . تعلم اللبناني لغات الغرب ، وعلم الغرب لغات
الشرق فكان تبادل الثقافات كتبادل البضائع ينعش الاسواق . وهكذا انتعشت
اللغة العربية ووجد المتشرقون .

ثابت ، علمياً ، ان التطعيم خير الوسائل وأجداها لترقية الانواع . وهذا ما عمله
الخيال اللبناني المعاصر في الادب العربي . طعمه بالثقافات الأخرى فأنتم ما بدأ به
العباسيون الاوائل . وللثقافة كلتنجر تنمو وتزداد بالتبادل والعمل المنتج ، واللبناني
تاجر عبقري . وصورة الثقافة ، كما قالوا ، تختلف باختلاف المحيط والزمان .
اعتوى لغتنا الجميلة شمل كاد يذهب بجياتها وجمالها فتعرك الخيال اللبناني فاذا
بالبازجي يقف بازاء الحريري .

ثم تحرك الخيال اللبناني وابتفض ذلك العرق الاصيل في احمد فارس الشدياق
فخلق الادب الجديد في الفارياق وكشف الحبا ، واخرج لسان العرب من سراديب
الحريري ودهاليز القاضي الفاضل .

وتحرك الخيال ايضاً فكان الكشف والاشراق على عقل الشدياق النير فابدع سر
الليال ، ثم نفخ في الصحافة نفخة احيتها وكان من ذريته النبيلة اسحق والحداد وعبد
وصروف وزيدان وتقلا وغيرهم ممن اعجز عن عدّهم .

وابى الخيال اللبناني ان يستقر فعاد مارون النقاش من اوروبا يحمل الينا المسرح ،

وكان بيته اول مسرح عربي .
وهب المعلم بطرس البستاني يطعم ويلتقم فخرج من (جنانه) ثاراً جديدة شهية ،
وجاءنا (بالهبط) الهادي ، (والدائرة) التي جعلت منه جماعة في رجل .
ثم ضاقت بالخيال اللبناني ارضه ، كما ضاقت من قبل ، فكانت الهجرة الثانية الى
الاقطار التي اكتشفها اللبناني الاول ، فعزل لغته في قلبه ولسانه ، وهب ينشرها في
قارات الدنيا الخمس .

للاديان رسل ومبشرون ، واللبناني رسول لغته لا دينه ، ينقل منها واليها . وكما
نشر اللبناني الاول ابجديته واختراعاته في دنيا الامس فما هوذا لبناني اليوم ينشر
لسانه العربي مبشراً برسائله الخالدة .

وابن الخيال اللبناني ان يبدأ فكانت المدرسة الرومنطيقية الرمزية فخلقت القصة
والشعر والنثر الجديدين .

انه لدم جديد لفتت به مدرسة جبران والريحاني ادبنا العربي الحديث فوهبتـه
مناعة ووقاية .

وابن الخيال اللبناني ان يستقر فكانت في لبنان مدرسة شعر جديدة ، فيها ازرقاق
البحر ، واخضرار الارز ، وابيضاض الثلج ، واحمرار الشفق ، ووحى الفسق ، والموسيقى
البعيدة القرار .

ولا يزال الخيال اللبناني تامل لا يستقر ، ولن يستقر . فالسديم يصير نجماً ،
والنجم يمسي كوكباً ، ثم ينطفئ . ليشع غيره . لا يتوارى نظام شمسي حتى يظهر
وراءه نظام آخر . ان الارض لا تظلم ما دام الخيال ساطعاً .

وكانني بالقاري . ينتفض قائلاً : هات لنا مثالا لخيال لا وجود له الا في خيالك .
وانا اجيب : على رأسي ثم عيني .

ان جبران خير مثال للعرق والبيئة اللبنانيين ، قديماً وحديثاً . فالشوق والضباب
الجبرانيان من هل الخيال اللبناني الاول . فسفر التكوين اللبناني ، وهو اقدم الاسفار
عهداً ، افترض الشوق فاعلا وانضباب منفعلا . فجبران في خلقه وخلقته لبناني اصيل ،
يدين بالروح والحب . ولكنها ماديان كما تخيلها اللبنانيون الاول ، فما المِطْرة نبي

جبران ، غير ميترا روح النور الالهي . وكاني بالعرق اللبناني قد تجمع كله في هذا الرجل ليجمعه مثالا لثقافته وخياله في عهديها ، ويرى الناس تطورها في مسالك العصور . عندما خطر لي هذا الموضوع خفت جماع العاطفة فافترضت عدة ديكرات هنيهة وقلت : ماذا يحدث لو انحى لبنان من سفر الوجود ؟

فرأيت السهول افقرت ، والجنان صارت هشيا ، والقرى والمدن والمدارس امست خراباً ، فقلت : حقاً ان لبنان خزّان الله العظيم .

ثم وثب الخيال وثبة اخرى فافترضت ان نسور هذا الجبل الملهم لم تطر افواجا افواجا الى آسيا وافريقيا واوروبا واميركا ، فرأيت ظل العربية يتقلص بعد انتشاره وخلت الدهر يمشي القهقري ، فارتمت كمن دهمه الغروب صلاة الظهر . فقلت : اذن والله نحن موجودون وليس ما ازعم تبجحاً وابتهاراً .

.....

فالى التفكير والتأمل ادعو الشباب المثقف والكهول العاملين ، والشيوخ الذين لم يعدوا طراوة النفس . ان الخلق يقتضيكم تأملاً عميقاً ، ونقاشاً صارماً ، وانتقاداً مرأً ، وسعيّاً متصلاً . العبقرية هبة واجتهاد وثقافة ، والاشراق لا يدركه الا المتأملون . قال ريبو : المصادفات السعيدة لا تعرض الا لمستعقبها . ففكروا لكي نستحقوها وننتجوا ثماراً شبيهة تضعونها بكل فخر على مائدة ادبنا العربي الخالد . والا فانكم تقطعون الجاه الطويل العريض الذي خلعه الخيال اللبناني على لساننا العربي المين .

فهرست الزعم

الهمزة

ارميا ، ٢٧ ، ٩٨ ، ١٥٨ ، ١٩٦ ،
 اريولا ، ٢٨ ،
 اسحق ، اديب ، ٣١ ، ٥٨ ، ٩٨ ،
 ١٢١ ، ١٢٥ ، ٢٦٨ ، ٣٠٥ ،
 الاسكندر ، ٢٧ ،
 اساعيل ، ٥٨ ،
 الاسود ابراهيم ، ٢٤٥ ،
 الاسير ، ٣٢ ،
 اشعيا ، ٢٧ ، ٩٨ ، ١٥٨ ،
 الاصبهاني ، ١١ ، ١٦٣ ،
 الاصفهاني ، ٩٦ ، ١٧١ ،
 الاعشى ، ٦٩ ، ٢٢٣ ، ٢٩٠ ،
 اقرام ، ٩٨ ،
 الاطون ، ٥٧ ،
 اكلينضوس ، ٣٠٥ ،
 آلن ، ١٨٦ ،
 الياس ، طنوس حنا ، ١٩٨ ،
 اليعازر ، ١٤ ،
 امرسون ، ١٥٩ ،
 امين ، قاسم ، ٢٧ ، ٣٨ ،
 انشتين ، ٢١٧ ،
 اطون (البطرك) ، ١٠٦ ، ١١١ ،

آدم ، ١٦٩ ،
 ابراهيم ، ١٤ ،
 ابراهيم ، حافظ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ،
 ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٤٩ ،
 ابريقون ، ٢٥٩ ،
 ابيض ، جورج ، ٢٣ ،
 الاثير ابن ، ٧٦ ، ٩٦ ، ١٣٠ ،
 احلب ، ٣٢ ،
 اخوخ ، ١١٥ ،
 الاخل ، ٨ ، ٩ ، ١٣ ، ٣٣ ، ٩٥ ،
 ٢٥٠ ، ٣٠٤ ،
 ادريس ، سبيل ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،
 ٢٦٦ ، ٢٦٨ ،
 اده ، اميل ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ،
 اده ، الياس ، ١٠٩ ،
 ادم ، اساعيل ، ٢١٣ ،
 ادونيس ، ١٨٢ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ،
 آواسم ، ٤٠ ،
 اواراط ، ٣٠٤ ،
 ارسطو ، ١٦٣ ، ١٧٤ ،
 اوسلان ، شكيب ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ،

١٧٠، ١٧٤، ١٩٢، ٢١٣، ٢٢٥،

٢١٨، ٢٥٠،

بشير، (الامير)، ١٥٦، ١٩٥،

بشير، (الارشندريت)، ٨٥، ٨٨،

البصام، صادق، ١٧٣،

بطرس، (الحواري)، ١١٠، ١١٧،

١٣٩، ٢٦٣،

بطوطه، ابن، ١٨٧،

بعيني، يوسف، ٢١١، ٢١٤،

بللمع، ١٦٠،

بلزاك، ١٨٦،

بلوين، ١٥٩،

بنوا، بيار، ٨٤،

بودلير، ٢١، ٥٨، ١٥٨،

بوذا، ٢٧، ٣٢، ٤١،

بوالوا، ١٣،

بورجه، ٢٥، ١٠٥،

بولس (مار)، ٣٠، ١١٧، ٢٣٧،

٢٧٥

البناء

ترايل، (بونسون دي)، ٤٨،

التوك، نقولا، ١٩٥،

تريز، (القديسة)، ١١٣،

تقلا، سليم، ٣٠٥،

تقي الدين، امين، ٢٤٩،

تقي الدين، خليل، ٨٢، ١١٦، ١١٧،

٢٥٢

١٥٤، ١٥٥، ١٥٧،

انطون، الخرح، ١٧، ١١٦، ٦٦،

٢٦٠، ٢٦٨،

اهرنبورغ، ١٨٨،

ايليا، ١١٥، ٢٥٤،

ايوب، ٤٠، ٩٨، ١٥٨،

الباء

البارودي، محمود سامي، ٣٢،

باز، جرجي نقولا، ٢١،

باستور، ٧،

باكون، ٢٨،

البحري، ١٢، ١٣، ٧٧، ٩٥، ١٨٦،

٢٣٣، ٢٤٨، ٢٨٩،

بشنة، ٢٨١،

بدر، ابن، ٩،

برنلو، ٢٨،

برغسون، ٣٣١،

برلام، ١١٤،

بروست، ٢٤،

بستاني، اميل، ٢٥٥،

بستاني، بطرس (المعلم)، ٣٢، ١٥٢،

٣٠٦،

بستاني، سليم، ٣٢، ٢٦٠،

بستاني، فؤاد افرام، ١١٧، ١٥٥،

بستاني، عبدالله، ٧٦، ٣٤٩، ٢٦٨،

بستاني، يوسف، ٨٢،

بشار، ١٢٤، ٦٩، ٨٥، ٩٥، ١٢٣،

٢٦١
جبران ، ٣١ ، ٦٧ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،
١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،
١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٦٠ ، ٣٠٦ ،
الجر ، شكر الله ، ٧٩ ، ١٣٨ ،
جرجاني ، ١٨٦ ،
جرير ، ٨ ، ٩ ، ٣٣ ، ٨٥ ، ٩٥ ،
٢١١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٨٨ ،
٢٩٠
الجزائري ، عبد القادر ، ٢٦ ،
جميع ، طنوس ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،
١١٥
جمعه ، محمد لطفي ، ٣٢ ،
الجميل ، قيصر ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
جهل ابو ، ٨٦ ،
جيد ، اندرة ، ١٩٥ ، ٢٦١ ،
جيس ، فرنسيس ، ٢٠٤ ،

الحاء

الحاج ، البطرك يوحنا ، ١٩٨ ،
الحافلاني ، ٢٠٠ ،
حبيب ، منصور ، ١٠٤ ،
حيش ، فؤاد ، ٧٢ ، ١١٢ ، ١٢٣ ،
١٩١
حيش ، البطرك يوسف ، ١٥٥ ،
حتي ، فيليب ، ٨٦ ، ٩٩ ، ١٢٩ ،

تقي الدين ، سعيد ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٦٥ —
٢٧٢
تمام ، ابو ، ١٣ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ١٤٧ ،
٢١٤ ، ٢٤٩ ،
التنوري (الاب اغناطيوس) ، ١٠٦ ،
تورجنييف ، ١٣٠ ،
توما ، مار ، ٧٧ ، ١٣٩ ،
التولاوي (القس بطرس) ، ٢٠٠ ،
تولوستوي ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٣ ،
٣٤ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٢٦٣ ،

توين مارك ، ١٨٦ ،
تويني ، جبران ، ٢١٦ ،
تياجم ، بول فان ، ٢٦١ ،
تيسور احمد ، ٢٦٠ ،
تيسور ، محمود ، ١٤٣ ،

الطاء

ثابت ، جورج ، ١٦٠ ،
الثعالي ، ٢٨٩ ،

الجيم

الجاحظ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، ٣٢ ، ٥٥ ،
٧٠ ، ٨٣ ، ٩٦ ، ١٦٢ — ١٧٤ ،
١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢١٩ ،
٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٤ ، ٢٨٣ ،
٢٨٩
جب ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،

الحويك ، يوسف سعد الله ، ١١٩ ، ١٢٠ ،
الحيدري بلند ، ٢٩٦

الخاء

الخازن ، رشيد ، ٢٨١
خالد ، محمد توفيق ، ١٥٧
خالويه ابن ، ٢٠
الخصيب ، ١٣
الخطاب ، عمر بن ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ،
٦٠ ، ١١٧ ، ١٥٠ ، ٢١٤
خلدون ابن ، ١٢١ ، ٢٢٤ ، ١٥١ ،
١٨٦ ، ٢٢٢
الخليل ، ١٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٧٢
الخنساء ، ١٢٥
الخوارزمي ، ٢٩ ، ٩٢
الخوري ، بشاره ، ٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ،
٢٨٢ ، ٢٩٢
خوري ، رثيف ، ١٩٢
الخوري ، شبل عيسى ، ٨٤
الخوري ، شكري ، ٧٥
الخيام ، ٧٩

الدال

داروين ، ٢٧
داني ، ٣١ ، ٢٣٥
دانيال ، ٨١
داود ، ٦٩ ، ١٠٧ ، ١١٩ ، ١٢٩ ،
١٣٠ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ١٦٤ ، ٢٣٣ ، ٢٧٤

الحجاج ، ٩٥ ، ١٩٥ ، ٢١٥ ، ٢٥٤
حجازي ، ٨٣
الخطيئة ، ٨ ، ١٥ ، ١٢٥ ، ٢١٤
الحداد ، نجيب ، ٣٢ ، ٩٨ ، ١٢٥ ،
٢٦٨ ، ٣٠٥
الحداد ، الخوري يوسف ، ١١٨ - ١٢١ ،
٢١١ ، ٢١٢
الحدثوني ، الخوري منصور ، ١٥٥
حرب ، ابن ، ٢٠١
حرب ، طلعت ، ١٥
الحريري ، ١١ ، ٦٥ ، ٩٦ ، ٣٠٥
حزام ، عروة ابن ، ٢٨٧
حسين طه ، ٣٤ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ٢١٨ ،
٢٢٢ ، ٢٦٢ ، ٢٧٦
حسن ، محمد عبد الغني ، ١٣٧
الحسين ، احمد ابن ، ١٧٥
الحكيم ، توفيق ، ١٣٠
الخلاص ، ١١٥
حلازة ابن ، ٨
حمزه ، عبد القادر ، ٢٢
حمودابي ، ٣٠ ، ٣٠٣
حمولي ، عبده ، ٢٨
الحمد ، عبد ، ٩٥
حنيفة ابو ، ٢٨٣
حواء ، ١٠٥
الحواراني ، ١٣٨
الحويك ، البطرك الياس ، ٨٥ ، ١٠٣ ،
١٥٣ ، ١٩٨

داوردروث ، ١٥٩

الدباغ ، ابراهيم ، ٣٤

الدحداح ، سليم خطار ، ٥٦

دريبر ، ٢١٧ .

دعبل ، ٧٤

دموس ، حليم ، ٧٥

دوستوفسكي ، ١٣٠ ، ١٨٦ ، ٢٦٣

دوماني ، جورج ، ٣٢

ديكارت ، ١٦٦ ، ٣٠٧

ديكنز ، ١٨٦

ديلاس ، ٢٣ ، ٣٦ ، ٤٨ ، ١٢٩

دياميل ، جورج ، ٢٩٠

الراء

راحيل ، ١٢٤

رافايل ، ٢٣٧

الرافعي ، ١٥ ، ٢٨ ، ٢١٦

ربيعه ، صر ابن ابي ، ١٢ ، ٨٥ ، ٨٧

٩٥ ، ١٠٣ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٦٩

١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢١٢

٢٨٧ ، ٢٨٨

رحمه ، الخوري اسطفان ، ٨١

رحمه سليم ، ١٠٤ ، ١١٢

رحمه ، الخوري فرنسيس ، ٨٤

رشد ابن ، ٢٣ ، ٢٩

الرصافي ، ١٧٨ ، ٢٤٨

رنان ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩

٣٠ ، ٦٥ ، ١٨٦

روبرت ، ١٣٥

روحانا ، مار ، ٣٠٤

روستان ، ٢٩

روسكين ، ٢١ ، ٢٧ ، ٦٥

روسو ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ١٥١

الروسي ، ابن ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ٧٦

٩٥ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٨٣

ريبو ، ١٢٥ ، ٣٠٧

الريحاني ، امين ، ٢٦ ، ١٠٧ ، ١٢٢

١٢٣ ، ٢٣١ ، ٢٦٨ ، ٣٠٦

ريشه ، عمر ابو ، ٧٨

الزاي

زائدة ، معن بن ، ٩١

زريق ، ابن البغدادي ، ٧٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥

زكريا ، ٢٢٧

زهير ، ابن ابي سليم ، ٨ ، ٩٤ ، ١٢١

٢١١ ، ٢٨٣

الزيات ، احمد حسن ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٨

٧٦ ، ٨٧ ، ٢١٦

زياد ، ٢٢١

زيدان ، جرجي ، ٣٣ ، ٨٩ ، ٩١

٢٢٥ ، ٢٦٠ ، ٣٠٥

زيدون ابن ، ٢٢٨ ، ٢٩٤

زين ، بولس ، ٢٤٥

زين العابدين ، ١٠٣

السين

سان بيار ، برناردين ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٨٧
 سبحان ، ١٤
 سطيج ، ١٦٥
 سلمى ، زهير ابن ابي ، ١٢
 سليمان ، ١٩٠ ، ٢٣٣ ، ٢٧٤
 سليمان فزاد ، ٢٠٦ — ٣١٠
 السعافى ، ٢٠ ، ٣٠٥
 سنيكا ، ٦٤
 سوريل ، جورج ، ٨٨
 سيويه ، ٢٥٢ ، ٢٧٢
 سيف الدوله ، ١٣ ، ٢٨٦
 مكيت ، ١٥٩
 سيمون ، جول ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٦٤
 سينا ابن ، ١٧٣ ، ١٧٤

الشين

شاتوبريان ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٦١
 شارم ، كابريل ، ٨٤
 شاول ، ٦٩ ، ١٧٨
 شبكه ، الياس ابو ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٢
 ٢٠٥ — ٢٠١
 شحير ، انطون ، ٢٢
 الشدياق ، احمد فارس ، ١١ ، ٢٠ ، ٣١
 ٣٨ ، ٤٩ ، ٧١ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٩٧
 ٩٨ ، ١١٦ ، ١٢٥ ، ١٢١ — ١٦١
 ٢٤٥ ، ٢٥٧ ، ٣٠٥

الشدياق ، اسعد ، ١٥٥ ، ١٦٠

الشدياق ، طنوس ، ١٥٥

شق افار ، ١٦٥

شكبير ، ٢٨ ، ٧٦ ، ١٦٤ ، ٢٨٠

شكور ، الخوري مارون ، ١٩٧ ، ١٩٨

ششون ، ٢٥٢

شمعون ، جوزف ، ١٥٠

الشميل ، ٢٠ ، ١٢٤ ، ١٥٢

الشغري ، ٢٢٥

الشتيري ، ٢٣٠

شهلا ، حبيب ابو ، ٩٤ ، ١٦٠

شو ، برنارد ، ٢٢

شوقي ، احمد ، ١٢ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٢

٤٦ ، ١٩٥ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣

٢٤٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٢٧٥

٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨١

٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٣٠١

الصاد

صادق ، خليل ، ٨٤ ، ١٠٥

صابري ، اسماعيل ، ٣٢ ، ٧٩ ، ١٢٤

صروف ، يعقوب ، ٢٠ ، ٢٦٠ ، ٣٠٥

صعب ، الخوري بطرس ابو ، ٣٧

صعب ، حنا ابو ، ٢٣٠

صعب ، الخوري يوسف ابو ، ٢٣٠

صفرونيوس (البطريك) ، ٥٥

صفوره ، ١٣٥

الصلت ، امية ابن ابي ، ٨٢

عفان ، عثمان ابن ، ٩٢
العقاد ، عباس محمود ، ١٥ ، ٣٤ ، ٥٨

٢١٦ ، ٧٦ ، ٧٢

عقل ، سعيد ، ٢٥٧ ، ٢٧٤

عقل ، وديع ، ٢٤٩

عقيل ، ابن ، ٢٧٢

العلايلي ، عبدالله ، ٢٥٦ — ٢٥٩

عمر ، عبد العزيز ، ١٣

عمون ، داود ، ١٥٢

العميد ، ابن ، ٩٥ ، ١٦٣

عنبرة ، ٧ ، ٨٣ ، ٩٤

الخين

غاليو ، ١٨٦

غانم ، خليل ، ٢٠٠

غوبلز ، ١٦١

غراب ، حسني ، ٧٨

غليوم ، ٣٠

غوته ، ٤٩ ، ١٠٥ ، ٢١٠

غوردكي ، مكسيم ، ٣١

غورو ، ١١٥

الفاء

فاخوري ، عمر ، ١١ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٥٢ ،

١٨٥ — ١٩٦

الفارابي ، ١٧٤

الفارض ابن ، ٩٨ ، ١٢٢ ، ٢٧٨

فارس ، فيلكس ، ٢٤

صموئيل ، ١٧٨
صيفي ، اكتم ، ١٤

الضاد

ضاهر ، بربر حنا ، ٥٧

ضاهر ، مجيد حنا ، ١٠٤

ضاهر ، نسيم حنا ، ١٠٣

ضعون ، توفيق ، ٧٨

ضودج ، ١٥٧

ضوط ، جبر ، ٢٢

الطاء

طراذ ، ميشال ، ٢١٠

طارقة ، ٨ ، ٩

طه ، محمود علي ، ٢١١ ، ٢١٤

طهرا بك ، ٨٢

العين

العاص ، عمر ابن ، ١١٧

عباد ، صاحب بن ، ١٧٧ ، ٢٦٣

العبد ، ميشال ، ١٠٦

عبد ، محمد ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٩٥

عبود ، مارون ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٠٧٨٩

٩٣ ، ٩٢ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢١

١٢٨ ، ١٢٠ ، ٢٣٩

عبيدة (ابو) ، ٥٦ ، ٦٠

عثمان ، بهيج ، ١٧٢

عز الدين ، يوسف ، ١٧٣

القارح ابن ، ٢٢٤
 قارون ، ٢٨٦
 قباني ، تزار ، ٢٦٥ ، ٢٦٦
 قزحيا ، ١٠٣
 قس ، ١٤
 قنصل ، الياس ، ٧٨
 القيس امرؤ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ٩٤ ، ١١٣ ، ١٥٠
 ٢٣٥ ، ٢٨١ ، ٢٩٠
 الكاظمي ، عبد الحسن ، ٢٣٢
 كافور ، ١٣ ، ٦٤
 كبلنغ ريدير ، ٢٨ ، ١٨٦
 كراتشكوفسكي ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨١
 كرامه ، بطرس ، ٣٢
 كرم ، يوسف بك ، ٤٦
 كلثوم ، عمرو بن ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٢٨٣
 كمال ، مصطفى ، ١٩
 كنفماير ، ١٨١ ، ١٨٢
 كنعان ، حليم ، ١١٦
 كنيدر ، ٢٥٢
 كونت اوغست ، ٢٩
 كورنيل ، ١٣

اللام

لا پروير ، ٢٦
 لافوتين ، ١٠١
 لامنس ، ١٨١ — ١٨٤
 لبيب ابو ، ٨٦
 لبكي ، صلاح ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٥

الفاضل ، القاضي ، ١١ ، ٣٠٥
 فاكه ، ٣١
 فارلين ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٨٧
 الفخري ، ١٠٤
 فراس ، ابو ، ٩٥ ، ٢٣٤
 فرانس ، افاتول ، ٥ ، ١٨٦
 فرجيل ، ٢٧٧
 فرحات ، المطران جرمانوس ، ٣٠٤
 الفردوسي ، ١٧٦ ، ١٧٧
 الفرزدق ، ٩ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، ٢١١
 ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠
 فريجه ، سعيد ، ٢٥٢ — ٢٥٥
 فيصل ، الملك ، ١٧٨
 الفيصل ، عبدالله ، ٢٨٣ — ٢٩٧
 فكتوريا ، الملكة ، ٢٤٦
 الفغالي ، المطران بطرس ، ١٩٧
 الفغالي ، المونسنيور مخايل ، ١٩٧ — ٢٠٠
 فلامريون ، ٣٠
 فلوير ، ١٨٦ ، ٢٦٣
 فورد ، فيليكس ، ٢٨
 فوزونوف ، ١٠٤
 فولتير ، ٦٢ ، ١٥١ ، ١٦٤ ، ١٧٠
 قياض ، تقولا ، ١٢٤ ، ٢٥٠
 قهي ، منصور ، ١٢٢
 الفيروز ابادي ، ٧٣

القاف

قابوس ، ابو ، ٩٤

لوط ، ٤٣ ، ١٩٥
لي ، ٧٧

الميسم

الأمون ، ١٢
ماركس ، كارل ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٤٢
المازني ، ابراهيم عبد القادر ، ٧٦ ، ٢١١
٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٠
ماسويه ، ابن ، ١٧٠
المتنبى ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ٨٦
٩٥ ، ٩٨ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣
١٦٢ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٦ ، ٢٣٦
٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦
٢٩٢

محرم ، احمد ، ٢٢
محمد (النبي) ، ٤١ ، ٧٨ ، ٢٠٩ ، ٢٣٨
مراد ، يوسف ، ٤٥
مراثي ، فرنسيس ، ٣٢
مرعب ، يوسف ، ٧٨
مروان ، ٩٢ ، ٢٥٤
مريم ، المجدلية ، ٦٤ ، ٦٥
مسره ، جورج ، ٧٨
مسعود ، حبيب ، ٧٩

المطران ، خليل ، ٢١٤ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣
٢٤٧

مظفر باشا ، ٢٤٥
العري ، ١١ ، ٩٨ ، ١٤٥ ، ١٦٣ ، ١٧٤
١٧٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٣

الملائكة ، نازك ، ٢٩٦
المعز ، ابن ، ١٦٢ ، ١٧٣
معدني كرب ، عمرو ابن ، ٥٥
المعز ، ٣٣
معلوف ، شفيق ، ٧٨
معلوف ، فوزي ، ١٥٢
معمر ، جميل ابن ، ١٢٩
المقفع ، ابن ، ٩٦ ، ١٧٤
مكوزل ، يوسف ، ٧٥
الملاط ، تامر ، ٥٢ ، ٢٤٥
الملاط ، شلي ، ٢٤٤ - ٢٥١
المنذر ، ابراهيم ، ٨٧ - ٩٠ ، ٢٤٥
منصور ، ابن ، ٢٣٣
منصور ، فهد ، ٣٤
منظور ، ابن ، ٢٥٢ ، ٢٥٧
المنفلوطي ، ٢١ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩١
٩٢ ، ٩٦ ، ٢٢١ - ٢٢٦
مواب ، ٤٣
موبسان ، ٢٦٣
مورياك ، فرانسوا ، ٣٤
موسى ، ٤١ ، ١٢١ ، ١٣٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧٧
٣٠٣
موسى ، سلامه ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣
موليير ، ١٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨
٢٧٠ ، ٢٧١
موتسكيو ، ٦٠
المهدية ، منيرة ، ٢٢ ، ٢٣
مي ، ١٠٧ ، ١٢٢ - ١٣٧

ميتر ٣٠٧

ميشلين ١٣٠، ١٢٩، ١٢٨، ١٠٧

النون

النقاش ، مارون ، ٣٠٥، ١٥٠

النايفة ، ٢٨٣

نابليون ، ١٦٠

الناكوزي ، اسكندر ، ١٢٧

نجم ، المطران يوسف ، ١٩٨

نخلة ، امين ، ٢٧٤-٢٨٣

نعمي ، ٤٣

نعيمه ، مخايل ، ٨٢، ٨٣، ٨٦، ١٠٤، ١٠٦

١٣٠، ١٢٩، ١٢٨، ١٠٧

نواس ، ابو ، ١٠، ١٢، ١٣، ٧٩، ٥٢، ١٢٨

٢٨٠، ٢٤٧ ، ١٨٦، ١٧٠، ١٥١

نوح ، ١٥١

نون ، يشوع ابن ، ١١٣

نيتشه ، ٢١، ٢٤، ٢٦، ٣٠، ٣١، ٣٢

٤٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٨٦

نيوتن ، ٤٢

الهاء

هارست ، ٣٠

هاليفي ، ٣١

هاني ، ابن ، ٢٨١

هانوتو ، ٢٩

هبنه ، ١٨٦

هرقل ، ٥٦

هر كيل ، ٣٠٢

هسكل ، ماري ، ١٠٧

الهمداني ، بديع الزمان ، ٩٤، ٩٦، ١٢١

١٦٣، ١٧٤، ٢٧٧

هوميروس ، ٣٠٣، ٢٧٧

هيجل ، ١٨٦، ٢١٧، ٢١٨

هينغوا ، ٢٨، ٢٩، ٨٦، ٩٩، ١٥٩، ٢٤٩

هيرديا (دي) ، ٧٦

هيكل ، حسين ، ٣٤ ، ١٧٧ ، ٢١٦

الواو

وارين ، ٣٠

الواقدين ، ٥٧

الوليد ابو الفضل (الياس طاعه) ٢٢٧-٢٤١

٢٤١

الياء

اليازجي ، ابراهيم ، ٣٢، ١٥٢، ٢٤٥

اليازجي ، ناصيف ، ٣٢، ٣٠٥

ياناقوس ، بابادي ، ٢٧٦، ٢٧٧

يزبك ، يوسف ، ٢٦ ، ٣١

يزيد ، ١٦٢

يسوع ، ٤٠، ٤١ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٩٩

١٠٤، ١٠٥، ١١٠، ١١٥، ١٢٨

٢٣٤ ، ١٣٢

يعقوب ، الشاعر السرياني ، ٩٨

يعقوب ، ٢٧٩

يكن ، ولي الدين ، ٢١ ، ٣٢ ، ٩٦ ، ٢١٤ ،

يهوديت ، ٢٤٦

يوحنا ، الحبيب ، ١٢٢ ، ١٣٩ ، ١٥٨ ، ١٥٩

يوسيفوس ، المؤرخ ، ٥٢

يوتاتان ، ٢٧٤



فهرست الكتاب

صفحة		صفحة	
١١٨	الحداد وجبران	٧	الادب الساخر
١٢٢	شيء عن مي	١٢	ادب الظل
١٢٧	ما بين مي وجبران	١٧	فرح انطون
١٣٨	الى شكر الله الجر	١٩	سيرته وآثاره واثره
١٤١	الشدياق والجاحظ والمتني	٢٥	في بجلته الجامعة
١٤٣	ضريح الشدياق	٣٢	فرح انطون القصصي
١٥٠	الشدياق بين مصر ولبنان	٣٦	الحب حتى الموت
١٥٤	يوبيل مثوي لكلمة	٤٤	الوحش الوحش الوحش
١٥٩	الشدياق وهيفو	٥١	اورشليم الجديدة
١٦٢	ابو الادب العربي	٦٤	مريم قبل التوبة
١٦٧	ليلة جاحظية	٦٧	حول جبران ومي
١٧٣	ابو عثمان وابو علي	٦٩	بين عين كفاح وعاليه
١٧٥	زيارة شاعر	٨٢	جبران خليل تقي الدين
١٧٩	قادة ذهبوا	٨٩	جبران عكاظ الحكمة
١٨١	الاب هنري لامنس	٩٤	لذكرى جبران الخالد
١٨٥	عمر فاخوري	٩٨	جبران اللبناني
١٨٩	عمر في يومه الاسود	١٠٣	في مدينة جبران
١٩٤	في ذكرى عمر	١٠٩	من اجل الادب
١٩٧	المونسنيوز فقالي	١١٤	خطبة بشري

صفحة		صفحة	
٢٥٦	معجم العلالي	٢٠١	بو شبكة الكاتب
٢٦٠	حول القصة	٢٠٦	فؤاد سليمان الاديب الشاعر
٢٦٥	سعيد تقي الدين	٢١١	خمسة في عام واحد
٢٧٤	دقتر الغزل (امين نخله)	٢١٦	ابراهيم عبد القادر المازني
٢٨٣	وحي الحرمان (الامير عبيد الله الفيصل)	٢٣١	المنفلوطي ورسالة الغفران
٢٩٩	يقظه ونهضة	٢٢٧	ابو الفضل الوليد (الياس طعمه)
٣٢١	اخيال اللبناني	٢٤٣	في المضار
٣٠٨	فهرست الاعلام	٢٤٤	ديوان الملاط
		٢٥٢	جعبة الصياد

تم طبع هذا الكتاب في المطبعة التجارية
بيروت - شارع المارسيان - تلون ٢٤٧٣٩

١٩٥٤ / ٨ / ٢٠